

طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

بغية الرائد

لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد

تأليف

القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي

476 - 544 هـ

ومعه تفسير نفس الحديث للحافظ السيوطي

تحقيق

صلاح الدين بن أحمد الإدلبي

محمد الحسن أجانف محمد عبد السلام الشرقاوي

1395 هـ - 1975 م



طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

بغية الرائد

لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد

تأليف
القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي
476 - 544 هـ

ومعه تفسير نفس الحديث للحافظ السيوطي

تحقيق
صلاح الدين بن أحمد الإدلبي
محمد الحسن أجانف محمد عبد السلام الشرقاوي

1395 هـ - 1975 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين ، وعلى آله وصحبه والتابعين باحسان الى يوم الدين .

وبعد ، فان من دواعي الغبطة والسرور ان يرى هذا السفر النفيس عالم النور فى شهر رمضان الابرك ، بعد ان احتبس على رفوف خزائن المخطوطات ردحا طويلا ، وزاد تشوق العلماء اليه وتشوفهم الى مطالعة فصوله الطريفة .

وان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية اذ تقدم هذا الكتاب المسمى بـ : ((بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد)) للقاضي عياض درة مدينة سبتة ومفخرة المغرب على مر العصور ، لتعتبره حلقة فى سلسلة مطبوعاتها الاصيلة ، فقد جاء طبعه بعد الجزء الاول والثاني من ((المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز)) لابن عطية ، وسيتلوه فى الايام المقبلة ان شاء الله الجزء الثالث من نفس التفسير باذن الله .

وما هذه الاعمال كلها الا حسنة جديدة تضاف الى سجل المآثر الخالدة لمولانا امير المؤمنين الحسن الثاني ايده الله ونصره ، اذ انها تشرفت بامره المولوي ورعايته السامية .

والوزارة تغتنم فرصة صدور هذا الكتاب لترفع الى السدة العالية بالله آيات الولاء والاخلاص ، سائلة الله عز وجل ان يحفظ مولانا امير المؤمنين صاحب الجلالة الحسن الثاني ، باعث نهضة هذا الوطن الفكرية والثقافية ، ورائد احياء تراثنا الاسلامي العربي الخالد ، وان يتولى برعايته صاحب السمو الملكي ولي العهد الامير الجليل سيدي محمد ، وصنوه مولاي الرشيد ، وسائر افراد الاسرة الملكية الشريفة ، انه سميع مجيب .

الداى ولد سيدي بابا
وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية

المقـــدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمد لله نحمده ، ونستعين به ونستهديه ونسترشده ، ونعوذ بالله من شرور نفوسنا ، ومن سيئات اعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

ونشهد ان لا اله الا الله ، وحدهلا شريك له ، ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله ، خير نبي للعالمين ارسله .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم ، الهادي الى صراط مستقيم ، نبيك المصطفى ، وحبيبك المجتبى ، وعلى جميــع النبييـــن والمرسلين ، وعلى آله الاتقياء ، وصحابته الاصفياء ، ومن تبع سنتهـــم واقتفى آثارهم الى يوم الدين .

وبعد : فان الامم المتطلعة الى النهضة ، اما ان تنظر في جوانـــب النهضة المستوردة من امم اخرى ، دون التفات الى ماضيها وسلفهـــا ، وبذلك تنسى وجودها ، وتمسخ ذاتها ، ويضيع كيانها اشتاتـــا ، واما ان تعير الماضي المضيء جانبا من الاهتمام ، فتستلهم العزم من عزيمة السلف ، وتستنهض به همة الخلف ، وبذلك تحافظ على استقلال شخصيتها ، وعلى عزتها وكرامتها وامجادها ، لكن ينبغي ان لا نقف عند الاعتزاز بالآباء ، بـل يجب اخذ المثل من جهدهم وجهادهم ، والاعتبار بهمتهم ، ومتابعة السعي قدما الى الامـــام .

والمغرب بلد اصيل ، له شخصية فذة ، شهد له بها القريب والبعيد ، خلال عصور التاريخ الطارف منها والتليد .

وتاريخ المغرب هو تاريخ الاسلام في هذه البقعة من الارض ، التي وقفت خلال تاريخها حصنا للاسلام ، وثغرا للدفاع عن المسلمين ، فصدت كل خطر يمكن ان يهدد العالم الاسلامي . وما تاريخ الاندلس الشامـخ الا

امتداد لتاريخ المغرب ، فمن هذا الى ذاك سرى نور الاسلام ، ومعه الايمان والعلــم والحضـــارة .

ومما تستنهض به العزائم بهمة السلف ، احياء تراثهــم ، ونشــر اخبارهم وسيرهم ، لا سيما العلماء منهم ، وطلبهم للعلم ، وحرصهم عليه ، ورغبتهم فيه ، وتصنيفهم فى سائر شعبه وفنونه .

ويدخل فى احياء التراث ما قامت بنشره وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بامر من امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله ، اذ انه قد آلى على نفسه ان ياخذ بالاصالة النابعة من هذا الشعب العظيم ، وان يصبـغ النهضة فى كل ميدان بصبغة هذا البلد المسلم الاصيل .

واذا ذكر تاريخ العلماء بالمغرب ، كان اول ما يتجلى فيه علم لامع ، وبدر ساطع ، هو « القاضي عياض » رحمه الله ، الذي قيل فيه : « لولا عياض لما ذكر المغرب » .

وللقاضي عياض رحمه الله مؤلفات مفيدة نافعة ، لعل من أطرفهــا شرحه لحديث أم زرع ، وهو كتاب لطيف ، شاع ذكره بين فقهاء المغرب خاصة ، وتردد على السنة واقلام سائر علماء العالم الاسلامي ، ولكنه بقي مخطوطا لم ير عالم النور ، حتى امتدت اليه يد وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، لتحقيقه وطبعه ، وتقديمه درة من مفاخر المغرب الدريـــة ، جمعت بين لطافة التاليف المغربي ، وحسن الاخراج والطبع المغربـــي ، يتوج ذلك امر عاهل المغرب امير المؤمنين الحسن الثاني ، نصره الله ، وايده بالعون والتوفيق والتسديد .

وان « وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية » اذ تقدم هذا السفــر اللطيف ، لترجو ان تكون قد ساهمت بلبنة اخرى في بناء صرح تراثنــا المجيد ، بعد « ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، لمعرفة اعلام مذهب مالك » للقاضي عياض ، و « التمهيد لما فى الموطأ من المعاني والاسانيد » لابن عبد البر ، و « الاعلام بحدود قواعــد الاسلام » للقاضـــي عياض و « التعريف بالقاضي عياض » لولده ابي عبد الله محمد ، وهو سفر حافل عن حياة هذا العلم الشامخ من شتى جوانبها ، ومن اعرف بالوالــد من ولده ؟ وقد قيل : الولد سر ابيه .

ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية اذ نشرت « التعريف بالقاضي عياض » فقد اغنتنا عن التوسع في ترجمته ، كما اغنتنا عن ذلــك تلــك الترجمة القيمة فى مقدمة ترتيب المدارك ، الذي طبعته الوزارة .

الا انه لا بد لنا من ان نشير الى نبذة عن القاضي عياض رحمه الله، ثم اذكر طرفا عن شرحه لحديث أم زرع .

القـاضـي عيـاض :

يقول ابو عبد الله محمد بن عياض عن أبيه : « ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي . وكان ابي رحمة الله عليه يقول (لا ادري هل محمد والد عياض أم بينهما رجل فهو جده ؟) . استقر اجدادنا في القديم بالاندلس ، جهة بسطة ، ثم انتقلوا الى مدينة فاس ، وكان لهم استقرار بالقيروان ، لا ادري اقبل استقرارهم بالاندلس ام بعد ذلك » . (التعريف بالقاضي عياض ، ص 2) .

ولد القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله بمدينة سبتة ، في منتصف شعبان سنة ست وسبعين واربعمائة ، 476 هـ .

نشا طالبا للعلم ، حريصا عليه ، مجتهدا فيه ، كان من حفاظ كتاب الله تعالى ، وله الحظ الوافر في التفسير والحديث وعلومهما .

وكان فقيها ، بصيرا بالفتيا والاحكام والنوازل ، اصوليا نحويا اديبا شاعرا ، يستعمل في شعره الغرائب ، حافظا للغة والاغربة والشعر .

اخذ عن اشياخ بلده ، ثم رحل الى الاندلس ، فدخل قرطبة ومرسية، واخذ عن شيوخ الاندلس ، واجازه علماؤها ، ثم عاد الى بلده سبتة وهو ابن اثنين وثلاثين عاما او نحوها ، وبعد ذلك بيسير اجلس للشورى ، ثم ولي القضاء ببلده ، ثم نقل الى قضاء غرناطة ، لكنه صرف بعد مدة عن قضائها ، وعاد قاضيا في سبتة .

كان القاضي عياض رحمه الله يعيش عيشة علمية ، فهو حيثما حل وارتحل يفيد ويستفيد ، دابه وحرصه على لقاء العلماء والسماع منهم ، واخذ عن نحو مائة شيخ .

ولثبات القاضي عياض رحمه الله على عقيدته السنية ، غربه الموحدون عن بلده ، فجزع رحمه الله لفراقها ، و (كان رحمة الله عليه يوم سفره الى مراكش يودع الناس ويبكي ، ويقول : جعلني الله فداءكم) . (التعريف بالقاضي عياض ، ص 115) .

وقوله هذا « جعلني الله فداءكم » على ما رجحه من جواز التفديه ، وقد حكى هذه المسالة والخلاف فيها مبسوطة في الفصل الذي خصصه للكلام على فقه حديث ام زرع اواخر الكتاب . (انظر صفحة 171)

وتوفي في مراكش سنة اربع واربعين وخمسمائة ، (544 هـ) .

وللقاضي عياض مؤلفات قيمة ، منها « اكمال المعلم بفوائد مسلم » كمل به شرح ابي عبد الله محمد بن علي المازري لصحيح مسلم ، المسمى بـ « المعلم بفوائد مسلم » ، و « الالماع في ضبط الرواية وتقييد السماع » ، و « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » و « مشارق الانوار على صحاح الآثار » .

ومنها مما طبعته الوزارة : « ترتيب المدارك » و « الاعلام بحدود قواعد الاسلام » وها هي اليوم تقدم « بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد » .

بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد :

قال ابن حجر : « وقد شرح حديث ام زرع اسماعيل ابن ابي اويس شيخ البخاري ، روينا ذلك في جزء ابراهيم بن ديزيل الحافظ من روايته عنه ، وابو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث ، وذكر انه نقل عن عدة من اهل العلم لا يحفظ عددهم ، وتعقب عليه في مواضع ابو سعيد الضرير النيسابوري ، وابو محمد ابن قتيبة ، كل منهما في تاليف مفرد ، والخطابي في شرح البخاري ، وثابت بن قاسم ، وشرحه ايضا الزبير بن بكار ، ثم احمد بن عبيد بن ناصح ، ثم ابو بكر ابن الانباري ، ثم اسحاق الكاذي في جزء مفرد ، وذكر انه جمعه عن يعقوب بن السكيت وعن ابي عبيدة وعن غيرهما ، ثم ابو القاسم عبد الحكيم بن حبان المصري ، ثم الزمخشري في الفائق ، ثم القاضي عياض ، وهو اجمعها واوسعها ، واخذ منه غالب الشراح بعده » . (*فتح الباري 11 : 163 ـ 164*) .

وقد ابتدا القاضي عياض كتابه بذكر اسانيده في روايه الحديث ، ثم ساق نصه واختلاف الرواة في بعض الفاظه ، ثم انتقل الى تفسير السند ، وبين أن بعض رواة هذا الحديث جعلوه كله من قول النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم جعلوه من قول عائشة رضي الله عنها الا قوله في آخر الحديث « كنت لك كأبي زرع لام زرع » ، وقد صوب القاضي عياض رحمه الله رواية الفريق الثاني ، تبعا للخطيب البغدادي والدارقطني ،

وهذا التصويب هو الصواب . ثم انتقل الى التعريف بهؤلاء النسوة ، وانهن كن في زمن الجاهلية ، وانهن من بطن من بطون اليمن ، او كن من قريش بمكة .

ثم انتقل الى العربية وجعل الكلام في هذا الفصل في محلين ، ثم بين ما في استهلال هذا الحديث من الفقه ثم الغريب .

وفي ذكر اثناء الكلام على الفقه بحثا نفيسا في العدالة والمروءة والشاهد ، وقال : « وهذه نكتة بالغة في هذا الفصل ، تغلغل القول بها ، لعلك لا تجدها بهذا البيان في غير هذه الاوراق » . (انظر صفحة 41) .

ثم انتقل الى قول المراة الاولى فبين غريبه ومعناه وعربيته ، ثم ذكر ما فيه من الفقه .

ثم انتقل الى قول الثانية فبين غريبه ومعناه ، ثم الثالثة ، ثم الرابعة، حتى وصل الى الحادية عشرة ، فقطع كلامها مقاطع لطوله ، وتكلم على كل مقطع فبين غريبه ومعناه وعربيته .

ثم انتقل الى فصل من الفقه ذكر فيه مسائل ، منها قول المرء لصاحبه بابي انت وامي ، وفداك ابي وامي ، ومنها ترفية المتزوج بلفظ الرفاء ، ومنها جواز المزح في الاحايين ، وقد فصل القول في هذه المسائل خاصة ، وذكر طرفا من اخبار ممازحة النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، وبين حد المزاح المباح المحمود من غيره .

ثم انتقل الى ما في هذا الحديث من ضروب الفصاحة ، وفنون البلاغة وابواب البديع .

وهكذا جاء شرح القاضي عياض رحمه الله لهذا الحديث اجمع الشروح واوسعها ، كما قال ابن حجر . ولم يسم القاضي عياض في خطبة كتابه اسم الكتاب،ولا ذكرت النسخالتي بين ايدينا تسمية للكتاب الا النسخة الزيدانية ، فقد سمته « بغية الرائد فيما في حديث ام زرع من الفوائد »، وسماه الذهبي في تذكرة الحفاظ « شرح حديث ام زرع » ، وسماه ابنه في التعريف وابن فرحون في الديباج المذهب « بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد » وهذا هو الاولى ، لان ابنه اعرف بتسمية مؤلفاته .

والقاضي عياض مالكي شديد المحبة للامام مالك رحمه الله ، ولا بد أن يظهر هذا في كلامه ، فمن ذلك قوله ـ عند الكلام على ان في استهلال هذا الحديث من الفقه حسن عشرة الرجل مع اهله ـ حيث قال : « وقد كان مالك رضي الله عنه يقول : في ذلك مرضاة لربك ، ومحبة في أهلك ، ومثراة في مالك ، ومنسأة في اجلك . قال : وقد بلغني ذلك عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وكان مالك رحمه الله من احسن الناس خلقا مع اهله وولده ، وكان يحدث يقول : يجب على الانسان ان يتحبب الى اهل داره حتى يكون احب الناس اليهم » . (انظر صفحة 32).

ويبدو من كلام القاضي عياض رحمه الله ان له دراسات نفسية ، من ذلك انه قال ـ عند الكلام على غريب قول الثانية ـ : « وقال ابو سعيد النيسابوري : انما عنت ان زوجها كثير العيوب ، متعقد النفس عن المكارم » . (انظر صفحة 60) .

وهذه اشارة الى ملاحظة ابي سعيد النيسابوري للتعقد النفسي ، وانه قد تكون عند بعض الناس عقد نفسية ، وانها ربما حالت بين الانسان وبين المكارم . ونقل القاضي عياض رحمه الله لقول ابي سعيد هذا يدل على ان له نظرا في (علم النفس) ومشاكلها .

والقاضي عياض رحمه الله مولع بغريب اللغة ، وايراد الشواهد الشعرية في سائر المناسبات ، كما ان له آراء وترجيحات في تفسير الغريب ، وبعضها لم يسبق اليه .

وقد اورد السيوطي رحمه الله حديث ام زرع في (الجامع الكبير) في قسم الافعال في أواخر مسند عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اجتمع احدى عشرة امراة ...) وساق الحديث بتمامه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كله ، وعزاه للطبراني في الكبير وابن النجار .

واورده الحافظ العراقي المغربي في هامش نسخته من الجامع الكبير في الجزء الثاني ، عند حديث . « كنت نهيتكم عن لحوم الاضاحي » قال : « كنت لك كابي زرع ... » الحديث ، رواه البخاري في النكاح في باب حسن المعاشرة مع الاهل ، ومسلم في المناقب ، والترمذي في باب السمر من الشمائل ، وابو نعيم في الحلية في ترجمة بشر الحافي ، والخطيب في ترجمة حاتم بن الليث » .

ورواية الخطيب البغدادي له في تاريخ بغداد (8 : 245) من طريق حاتم بن الليث الجوهري ، حدثنا ابن ابي أويس ، حدثني ابن ابي الزناد ، عن ابي الزناد ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كنت لك كابي زرع لام زرع) . ورواية ابي نعيم له في حلية الاولياء (8 : 356) من طريق بشر بن الحارث الحافي ، حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا هشام بن عروة ، عن اخيه عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت كابي زرع لام زرع » ثم انشا يحدث حديث ام زرع قال : « اجتمع احدى عشرة نسوة » فذكر الحديث .

اما الامام احمد فلم يروه في مسنده ، وهذا من الاحاديث الصحيحة المخرجة في الصحيحين وليست في « المسند » ، كما قال العراقي ، (تدريب الراوي للسيوطي ص 100) . وكذا اصحاب السنن الاربعة فانهم لم يخرجوا هذا الحديث في سننهم ، لكن اخرجه النسائي في « السنن الكبرى » .

نسخ الكتاب وعملنا فيه

1 ـ النسخة الموجودة بالخزانة الزيدانية من الخزانة الملكية بالرباط ضمن مجموع ، وأرمز لها بالزاي (ز) .

وهي نسخة جيدة ، مكتوبة بخط مغربي جميل ، كتبت سنة ثمانية وثلاثين ومائة والف هجرية ، ورقمها / 3883 ز / . وتنفرد احيانا بزيادات عن سائر النسخ ، الا ان فيها مواضع بيض لها الناسخ ، وعلى كل حال فهي ليست كثيرة ، ولا تتعدى مواضع البياض سطرا او سطرين . ويبدو أن هذه النسخة مصححة ومقابلة .

2 ـ النسخة الموجودة بالخزانة الملكية بالرباط ، وارمز لها بالميم (م).

وهي نسخة لا باس بها ، مكتوبة بخط نسخي مشرقي جميل ، كتبت سنة اثنتين واربعين وستمائة ، ورقمها / 6392 / . وهي اقدم النسخ التي بين ايدينا . الا ان هذه النسخةلقدمها قد اكلت منها العثة بحيث لم تبق من بعض اوراقها سوى نصفهااو اكثر او اقل في بعض الاحيان .

وهي نسخة مقابلة ومصححة ، ومضبوطة بعض الكلمات ، وفي كل عدة اوراق يكتب ناسخها على الهامش : « بلغ مقابلة وسماعا » .

3 ـ النسخة الموجودة بالخزانة الكتانية من الخزانة العامة بالرباط، وارمز لها بالكاف (ك) .

وهي نسخة مكتوبة بخط مغربي واضح ، لم يذكر ناسخهـا سنـة كتابتها ، لكن يبدو انها ليست قديمة ، ورقمها / 1857 ك / وتتفق هذه النسخة مع الزيدانية في كثير من الكلمات التي بينها فروق في النسخ . وكثيرا ما ينتقل نظر الناسخ من سطر الى سطر فيقع في انقاص شيء من الكلام . ويبدو ان هذه النسخة غير مصححة ولا مقابلة .

4 ـ النسخة الموجودة بمديرية الشؤون الاسلاميـة بالربـاط ، وارمز لها بالسين (س) .

وهي نسخة مضروبة على الآلة الكاتبة وليست منسوخة عن احدى النسخ الثلاث السابقة قطعا .

وعلى كل حال ، فانه يمكن استخلاص النص من هذه النسخ بطريقة التلفيق ، وهذا النص المستخلص ان لم يكن هو النص الصحيح الكامـل فهو اقرب ما يكون اليـه .

وبين النسخ فروق كثيرة وهي مملوءة بالاغلاط والتصحيفات ، وقد اثبتنا بعض هذه الفروق في اسفل النص ، والكلمات التي نريد اثبـات الفروق فيها نضع لها رقما متسلسلا من اول الكتاب الى آخره هكذا : «1» « 2 » « 3 » .... « 498 » « 499 » « 500 » ، ومعهـا الإشـارة الى الآيات القرءانية الكريمة ، ثم اثبتناها تحت نص الكتاب بارقامها « 1 » « 2 » « 3 » ... حتى « 500 » .

اما التعاليق ومعها تخريج الاحاديث النبوية الشريفة فنضع لهـا رقمـا متسلسلا من اول الكتاب الى آخره بهذا الشكل (1) (2) (3) ..... (119) (120) (121) ، واثبتناها تحت (الفروق وتخريج الآيات القرآنية الكريمة) مفصولا بينهما بخط ، وارقامها بهذا الشكل (1) (2) (3)... حتى (121) .

وفي الكلمات التي نذكر ما فيها من الفروق في النسخ الخطية فاننا نقدم غالبا ما ظهر لنا انه الصواب او الاصوب ، وقد نعلق على ذكر الوجهين

من الفرق او الوجوه فنقول بعد ذكرها : « ولعلـــه اصـــوب » او « وهو تصحيف » او « وهو غلط » او « وهو نقص مخل » والمراد الوجه الاخير، اذ ان الضمير يعود على اقرب مذكور .

وهذه لائحة باسماء بعض الكتـب المشار اليهـا في التعاليق مـــع بيـــان ما اعتمدناه من طبعاتهـا :

— الادب المفرد للبخاري بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
المطبعـــة السلفيـــة ـ القاهـــرة ـ 1375 هـ

— تاريـــخ بغـــداد للخطيـــب البغـــدادي
الطبعة الاولى ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ 1349 هـ

— تدريب الراوي للسيوطي بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف
الطبعة الاولى ـ المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة ـ 1379هـ

— التعريف بالقاضي عياض لولده محمد بن عياض بتحقيق الدكتـــور محمد بن شريفـــة
الطبعة الاولى ـ وزارة الاوقاف والشؤون الاسلاميـــة ـ المملكـــة المغربيـــة

— الجامع الصغير للسيوطي مع شرحه فيض القدير للمناوي
الطبعة الاولى ـ مطبعة مصطفى محمد ـ القاهرةـ1356هـ

— الجرح والتعديـــل لابن ابى حاتـــم
الطبعة الاولى ـ حيدر آباد الدكن (الهند) ـ 1371 هـ

— حلية الاولياء وطبقات الاصفياء لابي نعيـــم
الطبعة الثانية ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ 1387هـ

— سنن ابي داود بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
مطبعة مصطفى محمد ـ القاهرة ـ 1354 هـ

— الشمائل المحمدية للترمذي مع شرحه لمحمد بن قاسم جسوس
مطبعة بولاق ـ القاهرة ـ 1296 هـ

— فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر
مطبعة مصطفى البابي الحلبي — القاهـــرة — 1378 هـ

— مسنـــــد الامــــام احمـــــد
المطبعـــة الميمنيـــــة — القاهــــرة — 1313 هـ
(اذا احيل على مسند الامام احمد بذكر الجزء والصفحة فالمراد طبعة الميمنية ، واذا احيل عليه بذكر رقم الحديث فالمراد طبعته بشرح وتحقيق احمد محمد شاكر) .

— المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنة للسخاوي بتصحيح وتعليق عبد الله محمد الصديق
مكتبة الخانجي — القاهرة — 1375 هـ

تفسير حديث ام زرع للسيوطي :

وتتميما للفائدة فسيلحق ب (بغية الرائد) للقاضـــي عياض كتاب آخر هو (تفسير حديث ام زرع) للسيوطي ، وهو شرح مختصر لطيف ، منتزع من حاشيته على صحيح البخاري المسماة ب (التوشيح) .

وتوجد في الخزانة العامة بالرباط نسخة خطية من (تفسير حديث ام زرع) للسيوطي ، أرمز لها بالعين (ع) ، وفيها نسخة من (التوشيح) ، أرمز لها بالتاء (ت) . وحيث ان النسخة (ع) فيها نقص كثير عن الاخرى لان ناسخها قد نقلها باختصار ، فستكون المعتمدة هي النسخـــة (ت) سوى كلمـــات يسيـــرة .

الحـافـــظ السيـوطـــــي :

هو الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي ، امام حافظ مؤرخ مفسر محدث نحوي لغوي اديب ، صنف نحو ستمائة كتاب ، فيها الكتب الكبيرة ، ومنها الرسائـــل الصغيرة ، وبعضها الورقات اليسيرة .

ومن كتبه : (الدر المنثور في التفسير بالماثور) و (الاتقان في علوم القرءان) و (اسعاف المبطأ في رجال الموطا) و (تنوير الحوالـــك في شرح موطا الامام مالك) و (التوشيح على الجامع الصحيح) اي صحيـــح البخاري ، و (الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج) و (الجامع الصغير)

و (الجامع الكبير) و (عقود الزبرجد على مسند الامام احمد) و (مناقب مالك) و (مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا) وغيرها كثير .

ولد ـ رحمه الله ـ سنة 849 ، وتوفي سنة 911 هـ .

وفي ختام هذه الكلمة نتوجه بالشكر لمديرية الشؤون الاسلامية ، التي سهلت لنا سبل البحث العلمي ،واتاحت لنا فرصة تحقيق هذا السفر النفيس ، ونحيي وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، التي ما فتئت تعمل على احياء التراث الاسلامي الاصيل ، طبقا للتعليمات السامية لمولانا امير المؤمنين ، ايده الله ونصره .

حفظ الله مولانا امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني وأقر عينه بسمو ولي عهده المحبوب الامير الجليل سيدي محمد ، وبسائر افراد اسرته الشريفة .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

المحققون

بسم الله الرحمن الرحيم   وصلى الله على سيدنا محمد وآله

قال القاضي الاعدل ، الحجة الاكمل ، الحافظ الافضل ، المجد أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، رحمه الله :

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل صلواته على مصطفاه محمد خاتم النبيئين ، وقفت — أدام الله توفيقك ، ونهج لمهيع (1) الحق طريقك — ، على ما سألت عنه من حديث أم زرع ، وتفسير مشكل معانيه وأغراضه ، وفتح مقفل غريبه وألفاظه ، فاستعنت الله عز وجل عى اجابتك ، واستمددته التوفيق الى الصواب من قصد ارادتك ، والله يعصم كلا بتقواه ، ويسبغ عليك «1» نعماه ، بعزته لا اله سواه ، ورأينا

«1» عليك : ز س ، علينا : ك .

(1) « لمهيع » : طريق مهيع (كمقعد : اى بفتح الميم وسكون لهاء وفتح الياء) : طريق واضح واسع بين . ولفظ « مهيع » شذ عن القياس فصح ، وكان الحكم ان يعتل ، لانه « مفعل » مما اعتلت عينه ، كما قال ابن منظور . اى : كان الحكم ان يقال « مهاع » بالاعلال ، ولكن شذ عن هذا الحكم فبقي صحيحا غير معل . « لمهيع الحق » : اصل الكلام : لطريق الحق المهيع . حذف كلمة « طريق » على حذف المضاف لانها مضافة الى « الحق » ، ثم اضاف « المهيع » الى « الحق » من اضافة الصفة للموصوف .

أن نبتدىء بالحديث وسياق «2» متـــنه ، مع اختلاف ألفـــاظ نقلته ، وزيادة بعضهم على بعض فى سرده ، ثم نذكـــر بعد ذلك علة اسناده ، وشرح غريـــبه ، وعويص اعرابـــه ، ومعـــانى فصوله ، وما يتعلق به من فقه ، وتنقدح «3» منـــه من فائدة ، ويتجه فيه من وجه ، بحول الله تعالى . وطرقنا فى هذا الحديث كثيرة متشعبة ، جئنا ببعضها عن أئمة شيوخنا ، وبعضهم يزيد على بعض ، وفى متن الحديث بيـــنهم اختلافات وزيـــادات ، وتقديم وتأخير ، فجئنا بأكملها رواية ، وأحسنها سياقـــا «4» بعد تقديم أشهر أسانيدنا فيها ، ايثارا للاختصار والائتـــلاف ، واستظهارا بمن نهج لنا هذه السبيل من قدوة الاسلاف ، ونبهنا على موضع الخلاف فيها ، مما يفيد فائـــدة ، أو يزيده فقـــرة شاردة ، وثم زيادات من غير الطرق التى ذكرناهـــا ، جلبنـــا بعضها ، ونبهنا على ما أمكن منها ، والله ولى التوفيق .

حدثنا الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بـــن عتاب قراءة منى عليه ، قال : حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد «5» الطرابلسى ، قال : حدثنـــا أبو الحسن على بـــن خلـــف القابســـى الفقيـــه .

وحدثنا الشيخ الحافظ أبو على الحسين بن محمد الغسانى فيما كتب بـــه الى ، قال : أنبأنـــا القاضى سراج بن عبد الله ،

«2» سياق : س ، سياقة : زك . ولعل الاصوب الاول . والسياقـــة للماشيـــــة .

«3» تنقدح : ز س ، ينقدح : ك .

«4» سياقا : س ، سياقة : ز .

«5» حاتم بن محمد : ك ، حاتم بن عبد الرحمن : ز س وهو غلط .

قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن ابراهيم الاصيلى ، قالا «6» : حدثنا أبو زيد محمد بن أحمد المروزى ، قال حدثنا محمد بن يوسف ، قال : حدثنا محمد بن اسماعيل (2) ، قال : حدثنا سليمان بن عبد الرحمن وعلى بن حجر ، قالا : أخبرنا عيسى بن يونس ، حدثنا هشام بن عروة ، عن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة (3) قالت : جلس احدى عشرة امرأة .

وحدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمى قراءة منى عليه فأقر به وشيخنا أبو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ وغير واحد ، قالوا : أخبرنا أبو مروان ابن سراج الحافظ ، قال : أخبرنا أبو القاسم الزهرى ، قال : أخبرنا أبو زكرياء ابن عائذ .

وحدثنا أبو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه قراءة منى عليه ، قال حدثنا القاضى عيسى بن سهل ، قال : حدثنا أبو

«6» قالا : زم ، قال : س وهو غلط لان القائل القابسي والاصيلي .

---

(2) هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفى البخاري . امير المؤمنين فى الحديث ، واول من افرد الصحيح من الحديث بالتصنيف ، الف « الجامع الصحيح » و « التاريخ الكبير » فى تراجم رجال الحديث و « الادب المفرد » وجزءا فى خلق أفعال العباد وجزءا فى رفع اليدين فى الصلاة وكتابا فى الضعفاء ، وكلها مطبوعة . ولد سنة 194 هـ ، وتوفى فى قرية « خرتنك » باقليم سمرقند سنة 256 هـ .

(3) هي أم المؤمنين عائشة بنت ابى بكر الصديق عبد الله بن عثمان رضى الله عنهم . فقيهة ، ومكثرة من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكثرة علمها وفقهها وذكائها كانت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه . ولدت بعد البعثة النبوية بأربع سنين او خمس ، وماتت سنة ثمان وخمسين وقيل سنة سبع وخمسين .

عبد الله ابن عتاب ، حدثنا أبو المطرف القنازعي ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يحيى ، قالا «7» : حدثنا أحمد بن خالد ، قال : حدثنا على بن عبد العزيز ، حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام (4) ، عن حجاج ، عن أبى معشر ، عن هشام بن عروة وغيره من أهل المدينة ، عن عروة ، عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : اجتمعت احدى عشرة امرأة

وقرأت على القاضى الشهيد أبى علي الحسين بن محمد الحافظ ، حدثكم الامام أبو القاسم عبد الله بن طاهر البلخى ، عن الشيخ أبى بكر محمد بن عبد الله بن الحسين المقرى والفقيه أبى عبد الله محمد بن أحمد المحمدى والقاضى أبى على الحسن «8» بن على بن محمد الوخشى ، قالوا : أخبرنا أبو القاسم على بن أحمد بن محمد الخزاعى ، قال : أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى ، قال : حدثنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره الحافظ (5) ، قال : حدثنا على بن حجر ، أخبرنا عيسى بن يونس ، عن هشام بن عروة ، عن أخيه عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة قالت : جلس احدى عشرة امرأة . . .

«7» قالا : ز ، قال : س وهو غلط .
«8» الحسن : ز ك ، الحسين : م س .

---

(4) هو ابو عبيد القاسم بن سلام ، من كبار العلماء بالحديث والادب والفقه . صاحب كتاب « الاموال » ، وصاحب « الغريب المصنف » فى غريب الحديث وكتب اخرى . توفى سنة 224 هـ .

(5) هو ابو عيسى محمد بن عيسى بن سوره الترمذي ، صاحب « السنن » و « الشمائل » و « التاريخ » و (العلل) . توفى سنة 279 هـ .

وحدثنا الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد العتابى ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن ربيع التميمى ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن معاوية القرشى ، قال : حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (6) ، أخبرنى ابراهيم بن يعقوب ، حدثنا عبد الملك بن ابراهيم ، حدثنا محمد بن محمد أبو «9» نافع حدثنا القاسم بن عبد الواحد ، حدثنى عمر بن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة قالت : فخرت بمال أبى فى الجاهلية ، وكان ألف ألف أوقية فقال النبى صلى الله عليه وسلم . اسكتى يا عائشة ، فانى كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، ثم أنشأ «10» يحدث الحديث .

وحدثنا القاضى أبو على الحسين بن محمد الصدفى والفقيه أبو بحر سفيان بن العاصى الاسدى سماعا عليهما وغير واحد ، قالوا : حدثنا الشيخ أبو العباس أحمد بن عمر العذرى «11» ، قال : حدثنا أبو العباس الرازى .

وحدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله ابن أبى جعفر بقراءتى عليه وغيره ، قالوا : حدثنا امام الحرمين أبو عبد الله الطبرى ،

«9» ابو : ز س ، ابن : ك .
«10» ثم انشا : س ، ثم انشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ز .
«11» العذري : ز ك ، العدوي : س وهو تصحيف .

---

(6) هو ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن على بن سنان بن بحر النسائي ، صاحب « السنن » ، وهي « السنن الصغرى » او « المجتبى من السنن الكبرى » ، وله ايضا « السنن الكبرى » وغيرها . توفى سنة 303 هـ .

قال : حدثنا عبد الغافر بن محمد الفارسى ، قال هو والرازى : حدثنا أبو أحمد الجلودى ، قال : حدثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ، حدثنا مسلم بن الحجاج (7) ، حدثنا على بن حجر السعدى وأحمد بن جناب ، كلاهما عن عيسى بن يونس ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أخيه عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة . . .

وبعضهم يزيد على بعض ، ولبعضهم زيادة من غير هذه الطرق ، فأكثرها غرائب وزيادات : ما حكاه ابن الانبارى (8) من رواية الهيثم بن عدى ، عن هشام بن عروة ، عن عائشة ، أنها قالت : « جلس احدى عشرة امرأة فى الجاهلية » ، وفى رواية : « اجتمعن » ، وفى اخرى : « جلسن » ، و « نسوة » مكان « امرأة » ، ووقع فى بعض طرق النسائى : « جلس عشر نسوة فتعاهدن وتعاقدن » ، وقال بعضهم : « أن يتصادقن ولا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا » .

قالت الاولى : « زوجى لحم جمل غث » ، ويروى : « قحر » ، « على رأس جبل وعر » ، ويروى :

(7) هو ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صاحب « الجامع الصحيح » و « المسند الكبير » على الرجال وكتاب « العلل » وكتاب « الطبقات » وغيرها . توفى سنة 261 هـ .

(8) هو ابو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار المشهور بابن الانباري ، من أعلم اهل زمانه بالادب واللغة ، ومن اكثر الناس حفظا للشعر والاخبار . اجل كتبه « غريب الحديث » وله « الامالي » وشرح « معلقة زهير » و « عجائب علوم القرآن » وغيرها . توفي سنة 328 هـ .

« وعث » ، « لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقى » ، ويروى : « فينتقل » ، وفى بعض الروايات : « على رأس قوز وعث ، ليس بلبد فيتوقل ، ولا سمين فيتنقل « 12 » ، ولا لى عنده معول ، ويروى : ولا له عندى معول .

قالت الثانية : زوجى لا أبث خبره ، وفى رواية : أنث ، ويروى : أنبىء ، انى أخاف أن لا أذره ، زاد بعضهم : ولا أبلغ قدره ، ان أذكره أذكر عجره وبجره .

قالت الثالثة : زوجى العشنق ، ان انطق أطلق ، وان اسكت أعلق ، وفى رواية : على حد السنان المذلق «13» .

قالت الرابعة : زوجى كليل تهامة ، زاد بعضهم : والغيث غيث غمامة ، لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سآمة ، ويروى : لا حر ولا وخامة ، زاد الهيثم بن عدى : ولا يخاف خلفه ولا أمامه .

قالت الخامسة : زوجى ان دخل فهد ، وان خرج أسد ، ولا يسأل عما عهد ، وقال بعضهم : يأكل ما وجد ، ولا يسأل عما عهد ، ولا يرفع اليوم لغد .

قالت السادسة : زوجى ان أكل لف ، ويروى : رف « بالراء » ، ويروى : اقتف ، وان شرب اشتف ويروى : استف ، وان اضطجع — ويروى : هجع — التف ،

«12» فيتنقل : م ، فينتقل : ز س .
«13» المذلق : هذا هو الصواب ، وهي بالاصول : المدلق .

واذا ذبح اغتث ، ولا يولج الكف ليعلم البث ، ويروى : اللبث .

قالت السابعة : زوجى عياياء ، قال بعضهم : أو غياياء ، حماقاء ، طباقاء ، كل داء له داء ، شجك ، أو فلك ، أو بجك ، أو جمع كلا لك .

قالت الثامنة : زوجى : الريح ريح زرنب ، والمس مس أرنب ، وأغلبه والناس يغلب .

قالت التاسعة : زوجى رفيع العماد ، طويل النجاد ، عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد ، وزاد بعضهم : لا يشبع ليلة يضاف ، ولا ينام ليلة يخاف .

قالت العاشرة : زوجى مالك ، وما مالك ؟ ! ، مالك خير من ذلك ، له ابل قليلات المسارح ، كثيرات المبارك ، اذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك ، وفى بعض الروايات : وهو امام القوم فى المهالك ، وفى بعض الروايات : زوجى أبو مالك ، وما أبو مالك ؟ ! ، ذو ابل كثيرة المسالك ، قليلة المبارك ، وفى بعضها : كثيرة المسارح ، قليلة المبارح .

قالت الحادية عشرة : زوجى أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ ! ، أناس من حلى أذنى ، وفى رواية : أذنى وفرعى ، وملأ من شحم عضدى ، وبجحنى فبجحت الى نفسى ، ويروى : فبجحت نفسى

الى ، ويروى : فبجحت ، ويروى : أذنيه وعضديه ، واليه ، وجدنى فى أهل غنيمة بشق ، ويروى : فوجدنى فى أهلى ذات غنيمة بشق ، فجعلنى فى أهل صهيل وأطيط ودائس ومنق «14» ، ويروى : فجعلنى بين جامل وصاهل ودائس ومنق ، فعنده أقول فلا أقبح ، وأرقد فأتصبح ، وأشرب فأتقمح ، ويروى : فأتقنح ، ورواه بعضهم : فأتفتح ، زاد بعضهم : وآكل فأتمنح .

أم أبى زرع ، فما أم أبى زرع ؟ ! ، عكومها رداح ، وبيتها فساح ، زاد بعضهم : وفناؤها فياح .

ابن أبى زرع ، فما ابن ابى زرع ؟ ! ، مضجعه كمسل شطبة ، وتشبعه ذراع الجفرة ، وفى بعض الروايات «15» : وترويه فيقة اليعرة ، ويميس «16» فى حلق النثرة «17» .

بنت أبى زرع ، فما بنت أبى زرع ؟ ! ، طوع أبيها ، وطوع أمها ، ويروى : زين أبيها وزين أمها ، وغيظ جارتها ، — ويروى : عقر جارتها ، ويروى غير جارتها ، ويروى : عبر جارتها ، ويروى : حير جارتها ، ويروى : وحين ، وحبر — ، وصفر ردائها ، وملء كسائها ، ويروى : ازارها ، وخير نسائها ، زاد الهيثم فى روايته : برود الظل ، وفى الال ، كريم الخل .

«14» ودائس ومنق : ز ، ودياس : س ، والاولى رواية البخارى ومسلم ، والثانية رواية النسائى .
«15» وفى : م س ، زاد بعضهم فى : ز ، زاد فى : ك .
«16» ويميس : ز م ك ، ويميل : س .
«17» النثرة : ز ، النشرة : س وهو تصحيف .

جارية أبى زرع ، فما جارية أبى زرع ؟ ! ، لا تبث حديثنا تبثيثا ، ويروى : تنث « بالنون فيهما » ، ويـروى : لا تخـرج حديثنا تبثيثا «18» ، ولا ــ تنقل ، ويروى : تفسد ، ويروى : تهلك ، ويروى ــ تنقث ميرتنا تنقيثا ، ويروى : تقشيشا «19» ، ويروى : ولا تغث طعامنا تغثيثا ، ويروى تـغـش طعـامنـا تغشيشا ، ولا تملأ بيتنا تعشيشا ، ويروى : تغشيشا ، زاد ابن عدى : ولا تنجث عن أخبارنا تنجيثا ، وزاد :

ضيف أبى زرع ، فما ضيـف أبى زرع ؟ ! ، ف شـبـع ورى ورتـع .

طهاة أبى زرع ، فما طهـاة أبى زرع ؟ ! ، لا تفتـر ولا تعدى ، تقدح قدرا ، وتنصب أخرى ، فتلحق الآخرة الاولى .

مال أبى زرع ، فما مال أبى زرع ؟ ! ، على الجمـم «20» معكوس ، وعلى العفاة محبوس .

قالت : خرج أبو زرع يوما والاوطاب تمخض ، وف رواية ابن السكيت (9) : والوطاب تمخض ، فلقى امرأة معهـا ولدان كالفهدين ، ويروى : كالصقرين ، يلعبان من تحت خصرهـا برمانتين ، ويروى : من تحتها ويـروى : من تحت صدرهـا ،

«18» تبثـيثا : ز ، تنثيثا : م ك .
«19» تقشيشا ز م ك ، تقثيثا : س .
«20» على الجمم : ز ك ، على الجم : س وهو غلط .

---

(9) هو ابو يوسف يعقوب بن اسحـاق ، المشهور بابن السكيـت ، صاحب كتاب « اصلاح المنطق » وله « غريب القرآن » وكتـب اخرى ، توفي سنة 224 هـ .

ويروى : فمر بجارية «21» شابة يلعب «22» من تحت درعها برمانتين ، فطلقنى ونكحها ، زاد بعضهم : فاستبدلت وكل بـدل أعور ، فنكحت بعده رجلا ـ ويروى : شابا ـ سريـا ، ركب فرسا شريا ، ويروى : عربيا ، ويروى : أعوجيا ، وأخذ رمحـا خطيا ، وأراح على نعما ثريـا ، وأعطانى من كل رائحـة ـ ويروى : سائمة ـ زوجا ، وفى روايـة : وأراح على من كـل سائمة زوجين ، ومن كل آبدة اثنين ، وفى كتاب مسلم : من كل ذى رائحة ، وقال : كلى أم زرع ، وميرى أهلك . فلو جمعت كل شىء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبى زرع ، ويروى : فلو جمعت كل شىء أصبته منه فجعلته فى أصغر وعاء من أوعية أبى زرع ما مـــلأه .

قالت عائشة رضى الله عنها : قال لى رسول الله صلـــى الله عليه وسلم : كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، وفى رواية ابن حبيب : قالت عائشة : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلـم كثيرا ما يقول اذا داعبنى : يا عائشة كنت لـك كأبى زرع لأم زرع ، زاد فى بعض الروايات : انه طلقهـا وانى لا أطلقـك ، ذكرها أحمد بن خالد (10) فى مسنده ، وكـذا زاده مصعـب الزبيرى وغيره عن هشام بن عروة ، وروى مثـله عن اسماعيل

«21» بجارية : ز م ك ، بجارة : س .
«22» يلعب : س ، تلعب : ز .

(10) هو أبو عمرو احمد بن خالد بن يزيـد القرطبى ، كان شيـخ الاندلس فى عصره . له « مسند مالك » وغيره . توفى سنة 322 هـ

ابن أبى أويس (11) عن أبيه عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال فيه : غير أنى لا أطلقك ، وفى رواية أخرى : كنت لك كأبى زرع لأم زرع فى الالفة والرفاء ، لا فى الفرقة والخلاء ، رواها ابن الانبارى ، وهو من معنى الرواية الاخرى ، وبهذا تتم الفائدة . قالت عائشة : قلت يا رسول الله بل أنت خير لى من أبى زرع .

وقد روينا من طريق الزبير بن بكار (12) هذا الحديث بغير سياق من تقدم ، وفيه زيادات ومخالفة «23» فرأينا سياقه «24» على نصه . حدثنا الفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله املاء من لفظه سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، قال : حدثنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفى ، قال : حدثنا الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الواحد بن جعفر ، حدثنا أبو

«23» ومخالفة : ز ك ، مخالفة : م س .
«24» سياقه : س ، مساقه : ز .

---

(11) هو ابو عبد الله اسماعيل بن عبد الله بن عبد الله ابن ابي عامر الاصبحي ، ابن عم مالك بن انس وابن اخته وزوج ابنته . وقيل : اسم ابيه عبد العزيز ، وقيل غير ذلك ، والاصح الاول كما قال القاضي عياض فى ترتيب المدارك . توفى اسماعيل سنة 226 هـ ، وقيل : سنة 227 . وتوفى ابوه سنة 169 هـ . وهو وابوه متكلم فيهما .

(12) هو الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الاسدي المكي . عالم بالانساب واخبار العرب ، راوية له تصانيف منها « اخبار العرب وايامها » توفى سنة 256 هـ .

الحسن الدارقطني (13) . قال الشيخ أبو الحسين : وحدثنا القاضي أبو الحسين ابن المهتدى «25» وأبو الفضل عبيد الله بن أحمد الكوفى ، قالا : حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الصيدلاني المقرى واللفظ له ، قالا «26» : حدثنا يزداد بن عبد الرحمن الكاتب ، حدثنا الزبير بن بكار ، حدثنا محمد بن الضحاك بن عثمان ، عن عبد العزيز بن محمد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى بعض نسائه ، فقال : يا عائشة أنا لك كأبى زرع لأم زرع ، قالت : يا رسول الله : وما حديث أبى زرع وأم زرع ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان قرية من قرى اليمن كان بها بطن من بطون اليمن ، وكان منهم احدى عشرة امرأة ، وانهن خرجن الى مجلس لهن ، فقال بعضهن «27» لبعض : تعالين فلنذكر بعولتنا بما فيهم ولا نكذب ، قال : فبايعن على ذلك .

فقيل للاولى : تكلمى بنعت زوجك ، فقالت : الليل ليل تهامة ، والغيث غيث غمامة ، ولا حر ولا وخامة .

قيل الثانية ــ وهى عمرة بنت عمرو ــ : قولى ، فقالت :

«25» ابن المهتدي : س ، المهتدي : ز .
«26» قالا : زم ، قال : س .
«27» بعضهن : ز س ، بعضهم : م .

---

(13) هو ابو الحسن علي بن عمر بن احمد بن مهدي الدارقطني ، امام عصره ، لقب بأمير المؤمنين فى الحديث . من تصانيفه كتاب « السنن » و « العلل الواردة فى الاحاديث النبوية » وغيرها . توفى سنة 385 هـ .

المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب ، وأغلبه والناس يغلب .

قيل للثالثـة : تكلمى – وهى حبى «28» بنـت كعب – ، قالت : مالك ، وما مالك ؟ ! ، له ابل كثيـرة المسارح ، عظيمـة المبارك ، اذا سمعن صوت الضيف أيقن أنهن هوالك .

قيل للرابعة : تكلمى – وهى مهدد بنت أبى هرمة «29» – قالت : زوجى لحم جمل غث ، على جبل وعث ، لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقى «30» .

قيل للخامسة : تكلمى – وهى كبشـة – ، قالت : زوجى رفيع العماد ، كثير الرماد ، قريب البيت من النـاد ، لا يشبـع ليلـة يضاف ، ولا ينام ليلة يخاف .

قيل للسادسة : تكلمى – وهى هند – ، قالت : زوجى كل داء له داء ، إن حدثته سبك ، وان مازحته فلك ، والاجمع كلا لك .

قيل للسابعة : تكلمى – وهى حبى بنت علقمة – ، قالت : زوجى اذا خرج فهد «31» ، واذا دخل أسد «32» ، ولا يسأل عما عهد ، ولا يرفع اليوم لغـد .

«28» حبا : ز س ، حبى : ك . وما اثبته من فتح الباري ، وقال : بضم المهملة وتشديد الموحدة مقصور .
«29» هرمة : كذا فى النسخ ، وفى فتح البارى : هزومة .
«30» فينتقى : ز ، فينتقل : س .
«31» فهد : ز ، ففهد : س .
«32» فأسد : ز س . والاولى : « اسـد » .

قيل للثامنة : تكلمي — وهى ابنة دوس «33» بن عبد — ، قالت : زوجي اذا أكل التف ، واذا شرب اشتف ، ولا يدخل «34» الكف فيعلم البث .

قيل لتاسعة : تكلمي ، قالت : زوجي هو من لا أذكره ، ولا أبث خبره ، أخاف أن لا أذره ، ان أذكره أذكر عجره وبجره .

قيل للعاشرة : تكلمي — وهي كبشة بنت الارقم قالت : نكحت العشنق ، ان سكت علق ، وان تكلمت طلق .

قيل لام زرع — وهي أم زرع بنت أكيمل بن ساعدة ، وسماها الدريدى «35» فى غير هذا الحديث : عاتكة ، ذكر ذلك فى كتابه المسمى بالوشاح — : تكلمى : قالت : أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ ! ، أناس من حلى أذنى ، وملأ من شحم عضدى ، بجحنى ، فبجحت ، وجدنى فى غنيمة أهلى ، فنقلنى الى أهل جامل وصاهل فبينما أنا عنده أنام فأتصبح ، وأشرب فأتقمح ، وأتكلم فلا أقبح ، وبنت أبى زرع ، وما بنت أبى زرع ؟ ! ، مضجعها كمسل «36» الشطبة ، وتشبعها ذراع الجفرة ، ووليدة أبى زرع ، وما وليدة أبى زرع ؟ ! ، لا تفسد ميرتنا تقثيثا «37» ، ولا تخرج حديثنا تنثيثا «38» ، فخرج من

«33» دوس بن عبد : كذا فى النسخ ، وفى فتح البارى : اوس بن عبد ، وفى نسخة منه : اوس بن عبدود .
«34» يدخل : زم ، يولج : س .
«35» الدريدي : زم ك ، الدريوي : س وهو تصحيف .
«36» كمسل : ز ، مسل : س .
«37» تقثيثا : س ، تنشيثا : ز .
«38» تنثيثا : م ك ، تبثيثا : ز ، تشبيتا : س .

عندى أبو زرع والاوطاب تمخض ، فاذا هو بـأم غلامـين كالفهدين ، يرمى من تحت خصرها برمانتين «39» فتزوجها أبو زرع وطلقنى ، واستبدلت بعده ـ وكل بدل أعور ـ ، فتزوجت شابا سريا ، ركب أعوجيا ، وأخذ خطيا ، وأراح نعمـا ثريـا ، فقال : كلى أم زرع ، وميرى أهلك ، فجمعت أوعيته فلم تعـدل وعاء واحدا من أوعية أبى زرع ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا لك كأبى زرع لأم زرع .

قال أبو بكر الخطيب : (14) هذا حديث غريب ، لا أعلـم رواه هـكذا الا محمد بن الضحـاك ، وقـال أبـو الحسـن الدارقطنى ـ وذكر «40» حديـث محمد بن الضحـاك عـن الدراوردى «41» هذا ـ قال : وسمى فيه النسـوة ونسبهن ، قال : واتبعه الزبير بن بكار عن عمه مصعب عن أبيـه عبد الله عن هشام نحو «42» حديث الدراوردى «43» . يريد ما نذكره عن الزبير بعد هذا بسندنا المقدم عنه ، فانه قال عند تمام الحديث: قال الزبير : وحدثنى عمى مصعب بن عبد الله ، عن جدى عبـد

«39» برمانتين : ز ، بالرمانتين : س .
«40» وذكر : س ، وفى : ز .
«41» الدراوردي : ز م ، الداروردي : س .
«42» نحو : م س ، عن : ك ، بن محمد : ز .
«43» الدراوردي : زم ، الداروردي : س .

---

(14) هو ابو بكر احمد بن على بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادى ، احد الحفـاظ المؤرخين المقدمين ، صاحب « تاريخ بغـداد » وكتاب « الكفاية فى علم الرواية » ولـه كتب كثيـرة . تـوفى سنـة 463 هـ .

الله بن مصعب ، عن هشام بن عروة مثله . وزاد : وقال رسول الله صلى عليه وسلم : أنا لك كأبى زرع لام زرع ، انه طلقهـا وانى لا أطلقك .

زاد النسائى فى مسنده عن عبد الرحمن بن محمد بن سلام قال : حدثنا ريحان بن سعيد بن المثنى ، حدثنا عباد بن منصور ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : يا عائشة كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، قالت عائشة : بأبى وأمى يا رسول الله ، بل أنت خير لى من أبى زرع . وذكر نحوه من حديث عمر بن عبد الله بن عـروة ، عن عـروة ، عن عـائـشـــة .

تفسير السند

اختلف فى سند هذا الحديث ورفعه ، مع أنــه لا خلاف فى صحته وأن الائمة قد قبلوه ، وخرجه فى الصحاح البخارى ومسلم فمن بعدهما ، ولا مخرج له ـ فيما انتهى الى ـ الا من روايـــة عروة عن عائشة رضى الله عنها ، فروى من غير طريق عن عروة عنها من قول النبى صلى الله عليه وسلم كله نصـــا ، هكذا رواة عباد بن منصور وعبد العزيز بن محمد الدراوردى وعبد الله بن مصعب الزبيرى ويونس ابن أبى اسحاق السبيعى كلهــم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبى صلى الله عليــــه وسلم . وهكذا رواه أبو معشر عن هشام الا أنه قال : عن هشام وغيره من أهل المدينة عن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم . ورواه أيضا أبو معشــــر عن عبد الله بن اسحــــاق الطلحى عن عائشة وأسنده بطوله . وكذلك رفعه القاسم بن عبد الواحد الا أنه قال : حدثنى عمر بن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم هكذا ، قال النسائى : عن عروة عن عائشة «44» ، وقال الدارقطنى : عن أبيه عن عائشة

«44» عن عائشة : ز م ك ، عن عائشة عن النبى صلى الله عليــــه وسلـــم : س .

فجعلوه من قول النبى صلى الله عليه وسلم نصا من غير احتمال ، وأسندوه بطوله ، وهكذا ظاهر رواية حنبل بن اسحاق عن موسى بن اسماعيل المنقرى عن سعيد بن سلمة عن هشام ، الا أنه «45» قال : عن هشام عن أخيه عن أبيه عن عائشة قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، ثم أنشأ يحدث حديث أم زرع ، وساق الحديث بطوله . وكذلك قال أحمد بن داود الحرانى عن عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن أخيه عبد الله عن أبيه عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكذا «46» حكاه عنه القاسم بن سلام . وكذلك رفعه الهيثم بن عدى عن هشام ، الا أنه قال : عن أخيه يحيى بن عروة عن عروة ، وساقه كله من قول النبى صلى الله عليه وسلم نصا .

ورواه على بن حجر وابن جناب وسليمان بن عبد الرحمن ومحمد بن جعفر غندر وهشام بن عمار ومحمد بن جعفر الوركانى وصالح بن مالك الخوارزمى عن عيسى بن يونس عن هشام بن عروة ، عن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة من قولها . وكذلكأسنده سويد بن عبد العزيز عن هشام وحسن الحلوانى عن ابن أبى الحسام عنه «47» . وكذلك رواه أبو عقبة عن أبيه عقبة بن خالد ، عن هشام الا أنه قال : عن هشام عن أبيه عن عائشة . وهكذا قال فيه ابن أبى أويس : عن أبيه عن هشام .

«45» الا انه : س : الا ان سعيدا : ز .
«46» وكذا : زم ، وكذلك : ك ، كذا : س .
«47» ابن ابي الحسام : م ك ، ابن الحسام : ز ، ابي الحسام : س .

وكذا قال يوسف بن زياد وسليمان بن بلال وعبد الرحمن ابن أبى الزناد عن هشام وأبو معاوية الضرير عنه مختصرا . وكذا ساقه داود بن شابور عن عمر بن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، ويقال : عن أبيه ، عن عائشة من قولها . وقال عقبة بن خالد أيضا : قال هشام : فحدثنى يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله مختصرا . يريد قوله عليه السلام : كنت لك كأبى زرع لام زرع . وكذا قال أبو أويس وابراهيم ابن أبى يحيى عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله . وكذلك رواه أبو الزناد عن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال أبو عبد الرحمن النسائى باثر حديث عقبة : يعنى آخر الحديث . يريد قوله : كنت لك كأبى زرع لام زرع . وقد وقع مفسرا عن غير «48» أبى عبد الرحمن فذكر أحمد بن عمرو البزار (15) رواية عقبة عن هشام عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة ، قال أحمد فذكر منه حرفا وقال : كنت لك كأبى زرع لام زرع . وفى رواية ابن الانبارى قال عقبه «49» : انما يراد هذا الحديث لهذا الحرف ، فذكره .

قال الفقيه القاضى أبو الفضل رضى الله عنه :

ولا خلاف فى رفع قوله فى هذا الحديث : كنت لك كأبى زرع

«48» عن غير : ك ، عند ، س .
«49» عقبه : م ، عروة : ز س وهو غلط .

---

(15) هو ابو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق ، المشهور بالبزار ، حافظ من العلماء بالحديث . اشتهر بتصنيف كتابه « المسند » وله مسندان : كبير وصغير . توفى سنة 292 هـ .

لام زرع ، وانما الخلاف فى بقيته , وقد قال أبو بكر بن ثابت الخطيب البغدادى الحافظ : المرفوع من هذا الحديث الى النبى صلى الله عليه وسلم قوله لعائشة : كنت لك كأبى زرع لام زرع ، وما عداه فمن كلام عائشة رضى الله عنها ، حدثت به هى النبى صلى الله عليه وسلم ، بين ذاك عيسى بن يونس فى روايته وأبو أويس وأبو معاوية الضرير .

وقد روى أن القائل – فى حديث سعيد «50» بن سلمة : ثم أنشأ يحدث الحديث – هو هشام ، حكى أن أباه أنشأ يحدث الحديث ، فأوهم السامع أن عائشة أخبرت بذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو الحسن الدارقطنى : الصحيح عن عائشة أنها هى حدثت النبى صلى الله عليه وسلم بقصة النسوة ، فقال لها حينئذ : كنت لك كأبى زرع لام زرع ، (وقول عيسى بن يونس وسعيد بن سلمة وسويد بن عبد العزيز ومن تابعهم عن هشام عن أخيه عبد الله عن أبيه عن عائشة : انها هى حدثت النبى صلى الله عليه وسلم بقصة النسوة فقال لها حينئذ : كنت لك كأبى زرع لام زرع) «51» .

«50» سعيد . ز م ك ، سعد : س وهو غلط .
«51» ما بين القوسين زيادة من نسخة : ز .

وقول عيسى بن يونس وسعيد بن سلمه وسويد بن عبد العزيز ومن تابعهم عن هشام عن أخيه عبد الله عن أبيه عن عائشة : هو الصواب ، ولا يدفع قول عقبة «52» عن هشام عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة .

«52» عقبة : س ، عتبة : ز .

التعريـــف

ذكـــر فى الخبر المتقدم أن هـــؤلاء النســـوة كن فى زمـــن الجاهلـــيـــة ، وذكـــر فى الـــخـــبـــر الآخـــر الـــــذى رواه الدراوردى أنهن من بطن من بطون اليمن ، وأخبرنا أبو الحسن على بن محمد النسابة الاديب أنه وقف على تعليق بخـــط أبـــى محمد ــ هو ابن حزم «53» ــ على بن أحمد الفـــارسى (16) فى قصتهن فذكر فيه أنهن من « خثعم » ، وخثعم بطن من بطون اليمن كما ورد فى الحديث المتقدم ، وهو خثعم بن أنمار بـــن أراشه ، ويقال أراش ، ويقال ارش ، بن عمرو بن الغـــوث بن نبت ــ وهو قرن «54» ــ بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبـــأ بن يشحب بن يعرب بن قحطان ، كـــذا قال الهمذانى «55» . وحكى ابن اسحاق عن اليمنيين : أراش بن لحيان بن عمرو .

«53» هو ابن حزم : ك ، ــ : ز س .
«54» وهو قرن : ز ، ــ : س .
«55» الهمذاني : زم ، الهمداني : ك ، المهداني : س .

---

(16) هو ابـــو محمد علي بن احمد بن سعيـــد بن حـــزم ، الفارسي الاصل ، صاحب كتاب « المحلى » وغيره ، امـــام الظاهرية ، وعلامة الاندلس ، توفى سنة 456 هـ .

ويقال : ابن عمرو «56» بن لحيان بن «57» الغوث ، ونساب مضر يزعمون أن خثعم : ابن أنمار بن تزار «58» ، وانهـم حالفوا ولد أنمار بن سبأ ، فجر أنمار بن سبأ نسبهم الى سبأ باسم أبيهم ، والاول أصح ، ويصدقه حديثه عليه السلام فى ذكر سبأ وولده فسمى منهم أنمارا ثم قال : الذين منهم خثعم وبجيلة . قال الهمذانى «59» : واسم خثعم أفتل ، (وسمى خثعم باسم جبل نزله بنوه ، وقيل باسم جمل كان له ، اسمه خثعم ، فيقال : احتل خثعم ، ونزل خثعم . وقيل : بل نحروا عند تحالفهم بعيرا وتلطخوا بدمه ، وهو التخثعم فى لغتهم) «60»

وقد روى فى هذا الحديث من رواية أحمد بن عبيد بن ناصح «61» عن الهيثم بن عدى الطائى بسنده عن عائشة قالت : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم – وقد اجتمع عنده نساؤه ليخصنى بذلك – : يا عائشة أنا لك كأبى زرع لام زرع ، قالت : يا رسول الله ومن أبو زرع ؟ قال : اجتمع نسوة من قريش بمكة احدى عشرة امرأة ، وساق الحديث بطوله ، فهذا مخالف للاول ، والهيثم بن عدى – عندهم – : متكلم فيه «62» . قال البخارى : الهيثم بن عدى – على علمه وفضله – يروى مناكير . وضعفه أبو حاتم الرازى ويحيى بن معين .

«56» ويقال ابن عمرو : م س ، – : ك .
«57» بن الغوث : س ، ثم الغوث : ز .
«58» تزار : م س ، نزار : ز ، بزار : ك .
«59» الهمدانى : م ، الهمداني : ز س .
«60» ما بين القوسين ناقص من نسخة : ز .
«61» ناصح : ز ك ، فاصح : م س .
«62» متكلم فيه : س ، متروك : ز .

وقرأت فى كتاب «63» بعض الادبــاء أن امــرأة زوجت احدى عشرة ابنة فى ليلة ، ودخل بهن أزواجهن فأمهلتهن سنة ، ثم زارتهن فسألت كل واحدة عن زوجها ، فأخبرتهــا بصفتــه . فوافق من حديث أم زرع كلام صاحبة « المس مس أرنــب » بنصه ، وكلام صاحبة « رفيــع العمــاد » ، وكــلام صاحبة « زوجى لحم جمل غث » ، وخالف فى البواقى . ويشبــه أنــه حديث موضوع ، فان ألفاظه تنبىء عن ذلك ، ركب على بعض حديث أم زرع ، ولا يصح أن يكون هو هذا «64» لصحة سند حديث أم زرع وضعف هذا ، وانا قد ذكرنا فى بعــض روايات حديث أم زرع ما دل على أنهن غير اخوات ، والموفق الله .

«63» كتاب : س ، كتب : ز ك .
«64» هو هذا : س ، هوهو : ز .

العربية

وقع فى بعض روايات النسائى لهذا الحديث : « اجتمعن » ، وفى رواية الطبرى من صحيح مسلم فيما حدثنا به عبد الله بن محمد الفقيه عنه : « جلسن «65» احدى عشرة امرأة » ، وفى بعضها : « نسوة » . ووقع فى بعض روايات البخارى : « جلس أحدى عشرة نسوة » ، وهكذا وجدتها فى أصل الاصيلى أبـــى محمد بخطه داخل الكتاب ، وأصل كتابه على رواية أبى أحمد «66» الجرجانى أحد شيخيه فى الصحيح المذكور . وروى أبـــو عبيد القاســم بن سلام هــذا الحرف : « اجتمعت » بالتــاء .

فتقدير الكلام فى هذا الفصل فى محلين :

المحل الاول : قوله : « اجتمعن ــ أو جلسن ، أو اجتمعت ــ احدى عشرة » ، فأظهر فى هذه الروايات علامة التأنيث ونون الجماعة مع تقدم الفعل ، وبابه فى العربية والاحسن فى الكلام حذفه ، وترك علامة التثنية والجمع ، وافراد الفعل .

قال سيبويه : حذفوا ذلك اكتفاء بما أظهروا (يريـــد : من صيغة الجمع والتثنية) فقالوا : قــام أبواك ، وقام قومــك ،

«65» جلسن : م ك ، جلس : ز س .

«66» احمد : ز م ك ، محمد : س .

فاستغنوا بما أظهروا عن : قامــوا وقامــا ، وكذلك فعلــوا فى المؤنث فقالوا : قامت جاريتاك ، وقامت نساؤك ، الا أنهم أدخلوا التاء للتأنيث ، وحذفوا علامة الجمع والتثـنية كمــا فعلــوا فى المذكر . ولو بدأت بأسمائهم لم يكن بد للمضمر أن يجيء بمنزلة المظهر فى المذكر والمؤنــث والتــثــنــية والجمــع ، فتقــول أخواك قالا ، وقومك قالوا ، وجاريتاك قالتــا ، ونساؤك قلــن ، لانه قد وقع هنا اضمار فى الفعل هو أسمــاء المذكورين ، فلــم يكن بد أن يجاء به مجيء المظهر ، والفعل المقدم لم يكن فيــه اضمار فيظهر ، وليست تاء التأنيث فيه علامــة اضمار فيلزم اظهارها فى الجمع ، وانما هى علامة تأنيث كهــاء « طلحــة » . هذا تعليل سيبويه (17) .

وأما الفارسى (18) فقال : لزمت التاء ها هنــا فى المؤنث الحقيقى لتشعر بتأنيثه حسب لزومه له وحقيقته ، ولم يلــزم ذلك «67» الجمع والتثــنية اذ ليسا بلازمين لزوم التأنيث .

وقد قال بعض العرب : قال امرأة . كأنهم جعلوا اظهــار

«67» ذلك : ك ، فى ذلك : م س .

---

(17) هو ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنــبر ، المشهور بسيــبويه ، ومعناها بالفارسية : رائحة التفاح . امام النحــاة ، واول من بسط علم النحو ، وصنف كتابه المسمى « كتاب سيــبويه » . توفى شابا سنة 180 هـ .

(18) هو ابــو علي الحسن بن احمد بن عبــد الغفــار ، المشهــور بالفارسي . واحد زمانه فى علم العربية ، اخذ عن الزجاج واخذ عنه ابن جني . صنف « الايضاح » فى النحــو و « التكملة » فى التصريف وتعليقة على كتاب سيبويه . توفى سنة 377 هـ .

المؤنث بعده يغنى عن العلامة ، وهو اذا طال الكلام أحسن وأكثر كما قال :

لقد ولد الاخيطل أم سوء

قال سيبويه : وهو فى واحد الحيوان قليل ، (يريد : فيما تأنيثه حقيقى) ، وهو فى الموات «68» كثير . (يريد : ما ليس بحقيقى التأنيث) . وهو فى القرآن العزيز بالوجهين كقوله تعالى : « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى «69» و (قد جاءتكم موعظة) «70» ، (وأخذ الذين ظلموا الصيحة «71») ، (وأخذت الذين ظلموا الصيحة «72») ، (ولو كان بهم خصاصة «73») ، وكذلك اذا تقدم الفعل جماعة مؤنث حقيقيا كان أو غيره ففيه وجهان ، قال الله تعالى : (وقال نسوة فى المدينة «74») و (جاءهم البينات «75») و (جاءتكم البينات «76») و (قالت رسلهم «77») و (جاءتهم رسلنا «78» و (استيأس الرسل «79») ، لانه يصلح فيه جماعة وجمع وجميع .

«68» الموات : ز ك ، المؤنث : م س وهو غلط .
«69» سورة البقرة ، الآية 275 .
«70» سورة يونس ، الآية 57 .
«71» سورة هود ، الآية 67 .
«72» سورة هود ، الآية 94 .
«73» سورة الحشر ، الآية 9 .
«74» سورة يوسف ، الآية 30 .
«75» سورة آل عمران ، الآية 105 .
«76» سورة البقرة ، الآية 209 .
«77» سورة ابراهيم ، الآية 10 .
«78» سورة المائدة ، الآية 32 .
«79» سورة يوسف ، الآية 110 .

قال : ومن العرب من يقول : ضربوني قومك ، وضربانى أخواك ، فشبهوها بالتاء المظهرة فى : قالت جاريتك ، كأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلت للتأنيث ، وهى قليلة كما قال الفرزدق :

يعصون «80» السليط أقاربه

وقال الآخر :

يلومونني فى اشتراء النخيل أهلى فكلهم يعدل

وعلى هذا حمل الأخفش (19) قوله تعالى : « وأسروا النجوى الذين ظلموا «81» » . وفى صحيح مسلم حديثه صلى الله عليه وسلم : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » . وقال بعض العرب : « أكلونى البراغيث » .

قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :

فاذ قررت لك من كلام امام الجماعة وحذاق الصناعة ما رأيت ، نظرت فى قوله : « اجتمعن » و « جلسن احدى عشرة » ، فان حملته على هذه اللغة الاخيرة وتأويل الاخفش فى الآية كان وجها حسنا ، وفيه وجه آخر وهو أن تحمله على المعروف فى الكلام ، وتجعل « احدى عشرة » بدلاً من الضمير

«80» يعصون : س ، يعصرن : ز ك .
«81» سورة الانبياء ، الآية 3 .

---

(19) الاخافش احد عشر ، اشهرهم ثلاثة . ولعل هذا هو ابو الحسن سعيد بن مسعدة ، وهو الاخفش الاوسط وهو احد الاخافش الثلاثة المشهورين . قرا النحو على سيبويه . صنف « الاوساط » فى النحو و « معاني القرآن » وغيرهما . وتوفى سنة 210 هـ .

فى « اجتمعن » ، وهذا تأويل سيبويه فى الآيـة ، وحكاه عـن يونس (20) ، قال : وكأنه قال : انطلقوا ، فقيل : من هـم ؟ ، فقيل : بنو فلان . ولكن يتحقق هذا فى الحديث : بأن نقدر أنـه صلى الله عليه وسلم أخبر عنهن على هذا الوجه ، وقد جرى من ذكر الخبر ما صار كالمخبر عنهن ، بتأخير الفعل وأنهن فى نفسه وذكره مقدمات ؛ وتكون النون ضميرا اسما لا حرف علامـة ، فيكون ما بعدها بدلا منها ، كما كان «82» فى الآيـة ، لتقـدم الذكر لمن يعود عليه الضمير ، الا ترى أنه قـد جرى شىء من حديثهن قبل ؟ وهو قوله صلى الله عليه وسلم : كنت لـك كأبى زرع لام زرع ثم سؤال عائشة له عن قصـة أم زرع ، قالت : فأنشأ يحدثنا الحديث . وقد يكون أيضا قوله « احدى عشرة » خبرا لمبتدأ مضمر ، كأنه قيل : من هن ؟ فقـال : هـن احدى عشرة ، وهو أحد التأويلات فى الآية ، وبهذا قدر سيبويه فيها البدل فانظره . وفيه وجه رابـع : أن تجعل « احدى عشرة » نصبا بـ « أعنى » ، وهو أحد تأويلات الآية . وفى الاية وجوه أخر غير هذه لا نطول بذكرها ، اذ ليست من غرضنا . وأما على رواية أبى عبيد (21) فعلى أحد الوجهين المعروفين فى تقـدم الفعل «83» الجماعة كما ذكرنا .

«82» كان : س ، ــ : ز .
«83» الفعل : س ، فعل : ز .

---

(20) هو ابو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي . بارع فى النحو ، من اصحاب ابى عمرو بن العلاء ، سمع من العرب وروى عن سيبويه . توفى سنة 182 هـ .

(21) هو القاسم بن سلام . وقد تقدم ذكره وترجمته .

المحل الثانى : قوله « احدى عشرة نسوة » : وباب العدد فى العربية أن ما بين الثلاثة الى العشرة مضاف الى جنسه ليبينه ويوضحه ، ومن احد عشر الى تسعة وتسعين مميز بواحد منصوب على التمييز يدل على جنسه ، وما بعد هذا مضاف الى واحد من جنسه ، وقد جاءهاهنا « النسوة » وهو جنس بعد « احدى عشرة » «84» ، وهو خارج عن وجه الكلام ، ولا يصح نصبه على التفسير ، اذ لا يفسر فى العدد الا بواحد ، ولا يصح «85» اضافة العدد الذى قبله اليه ، اذ لا يضاف ما بعد العشر من العدد الى المئة ، فوجه نصبه عندى : على اضمار « أعنى » ، أو يكون مرفوعا بدلا من « احدى عشرة » وهو الاظهر فيه ، وعلى هذا أعربوا قوله تعالى « وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا «86» » ، فـ (أسباطا) بدل من (اثنتى عشرة) وليس بتفسير ، قاله الفارسى وغيره . وحمل هذا الموضع من الحديث على هذا أولى عندى وأحسن ، وبالله التوفيق .

«84» احدى عشرة : ك ، احد عشر : ز م ، احدى عشر : س .
«85» يصح : لعلها كذا ، وهي فى النسخ : يصلح .
«86» سورة الاعراف ، الآية 160 .

الفقه

فى استهلال هذا الحديث من الفقه حسن عشرة الرجل مع أهله وتأنيسهن واستحباب محادثتهن بما لا اثم فيه ، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم هاهنا بحديثه لعائشة رضى الله عنها ومن كان معها من أزواجه بخبر هؤلاء النسوة ، وهكذا ترجم البخارى عليه « باب حسن المعاشرة مع الاهل » وقد وردت الآثار الصحيحة بحسن عشرته صلى الله عليه وسلم لاهله ومباسطته اياهم ، وكذلك عن السلف الصالح ، وقد كان مالك (22) رضى الله عنه يقول : فى ذلك مرضاة لربك ، ومحبة فى أهلك ، ومثراة فى مالك ، ومنسأة فى أجلك . قال : وقد بلغنى ذلك عن بعض اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان مالك رحمه الله من أحسن الناس خلقا مع أهله وولده ، وكان يحدث «87» يقول : يجب على الانسان أن يتحبب الى أهل داره حتى يكون أحب الناس اليهم .

«87» يحدث : م س ، ـــ : ز ك .

---

(22) هو امام دار الهجرة ابو عبد الله مالك بن انس بن مالك ، صاحب « الموطأ » وكتب اخرى . توفى سنة 179 هـ .

وفيه من الفقه منع الفخر بحطام الدنيا وكراهته ، الا ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعائشـــة حين فخرت فى أول هذا الحديث بمال أبيها ، قال لها : اسكتى يا عائشة . ثم انـــه آنسها بأن قرر عندها فخرا آخر ، هو أولى بهـــا وأسعد لها ، بقوله : كنت لك كأبى زرع لام زرع ، فمكانتها «88» منه ومن محبته وزوجيته وحسن عشرته وكثرة منفعتها لدينها ودنياها به صلى الله عليه وسلم أعرق فى الفخر ، وأرفع فى الصيت والذكر ، من كثرة مال أبى بكر ، رضى الله عنه .

وفيه من الفقه جواز اخبار الرجل زوجـــه وأهـــله بصورة حاله معهم ، وحسن صحبته اياهم ، واحسانه اليهم ، وتذكيرهم بذلك تطييبا لانفسهم ، واستجلابا لمودتهم ، واذا جاز لـــه أن يكذبهم وأبيح له أن يمنيهم «89» بالمواعيد غير الصادقة فهذا أجوز ، واذا جاز من النساء كفـــران العشيـــر جاز تذكيرهـــن بالاحسان لهن ، وحسن ذلك فيهن .

وفيه من الفقه اكرام الرجل بعض نسائه بحضرة ضرائرها «90» ، بما يراه من قول أو فعل ، وتخصيصها بذلك ، كما قالت عائشة رضى الله عنها : ليخصنى بذلك ، ولانها كانت المقصودة بـــهـــذا الـــحـــديـــث ، وهـــذا اذا لـــم يكـــن قـــصـــده الاثرة والميل لها بذلك ، بل «91» لسبب اقتضاه ومعنى أوجبه

«88» فمكانتها : ز ، فمكانها : م ، لمكانتها : س وهو غلط .
«89» ان يمنيهم : م س ، تمنيتهم : ك ، تمنيهم : ز وهو غلط .
«90» ضرائرها : ز م س ، بعض ضرائرها : ك .
«91» لها بذلك بل : ز ، بل : م ك ، ـــ : س وهو نقص مخل .

من تأنيس وحشة بدت منها ، أو مكافأة جميل صدر عنها . وقد اجاز له بعض أهل العلم تفضيل احداهما على الاخرى في الملبس اذا وفى الاخرى حقها ، وان يتحف احداهما «92» ويلطفها اذا كانت شابة ، أو هي أبر به . ولمالك نحو من هذا ولاصحابه ، قال ابن حبيب (23) : والمساواة أولى . والمكروه من ذلك كله «93» ما قصد به الاثرة والميل والتفضيل لا لسبب سواه . والنبى صلى الله عليه وسلم — وان لم يكن العدل فى القسم بين النساء واجبا عليه لقوله تعالى « ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء «94» » — فقد التزمه صلى الله عليه وسلم ، وأخذ به نفسه ، تفضلا منه ، وتخلقا بالعدل ، ولتقتدى به أمته ، حتى قال : اللهم هذا قسمى فيما أملك ، فلا تؤاخذنى فيما لا أملك (24) . يريد القلب .

وفيه من الفقه جواز تحدث الرجل مع احدى زوجاته ومجالستها فى يوم «95» الاخرى ، ومحادثته اياها ، لقول

«92» احداهما : س ، الاخرى : ز .
«93» كله : س ، — : ز .
«94» سورة الاحزاب ، الآية 51 .
«95» يوم : ز م ك ، بيت : س .

(23) هو ابو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمى الالبيري القرطبي ، عالم الاندلس وفقيهها فى عصره . له تصانيف كثيرة منها « الواضحة » فى السنن والفقه و « تفسير موطأ مالك » . توفى سنة 238 هـ .

(24) روى ابو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ، ويقول « اللهم هذا قسمى فيما املك ، فلا تلمنى فيما تملك ولا املك » تعني القلب . كتاب النكاح ، باب فى القسم بين النساء (رقم : 2134) .

عائشة رضى الله عنها : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اجتمع عنده نساؤه ، وفى الرواية الاخرى : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى بعض نسائه ، فالظاهر أنه فى بيتها ، وقد روى عنه فى الصحيح : أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى العصر يدخل على نسائه فيدنو من احداهن (25) ؛ وانهن كن يجتمعن عند التى هو يومها . وقد اختلف العلماء فى هذا ، فأجازه بعضهم ، وقال مالك — فى كتاب محمد — باجازة دخوله عند احدى نسائه فى يوم صاحبتها لحاجة ، أو عيادة ، أو يضع ثيابه عندها ، اذا كان ذلك منه على غير الميل ، وقد حكى بعضهم أنه لا يختلف العلماء — فيما علمه — فى الدخول الخفيف للحاجة يقضيها ، قال : وليس حقيقة القسم الا بالليل خاصة . ووقع لمالك أيضا لا يقيم «96» عندها الا من عذر لا بد منه . وعن معاذ (26) انه كانت له زوجان فكان

«96» لا يقيم : ز م ك ، لا يقوم : س ولعله اصوب .

---

(25) روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من احداهن . كتاب النكاح ، باب دخول الرجل على نسائه فى اليوم . وكتاب الطلاق ، باب لم تحرم ما احل الله لك ؟
وقال ابن حجر فى فتح البارى (كتاب النكاح ، باب القرعة بين النساء اذا اراد سفرا ج 11 ص 223) : وقد اخرج ابو داود والبيهقى — واللفظ له — من طريق ابن ابى الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن ابيه ، عن عائشة : « قل يوم الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف علينا جميعا فيقبل ويلمس ما دون الوقاع ، فاذا جاء الى التى هو يومها بات عندها » .

(26) هو ابو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو ، الانصاري الخزرجي ، الامام المقدم فى الحلال والحرام ، صحابي جليل . امره النبى صلى الله عليه وسلم على اليمن . توفى سنة 17 هـ ، او التي بعدها .

لا يشرب الماء من عند «97» احداهما فى يوم الاخرى . وقال عبد الملك بن الماجشون (27) : يقف بباب احداهـن ويسلـم ولا يدخل . وتأول أهل هذه المقالة ما روى عنه عليه السلام فى الحديث المذكور خصوصا للنبى صلى الله عليـه وسلم ، اذ لم يكن القسم واجبا عليه كما تقدم ، وانه انما كان يفعل هـذا نادرا واحيانا ، وغالب أمره العدل والتسوية ، ليسـن العـدل ويحسن العشـرة .

وفيه من الفقـه جـواز الحديـث عن الامـم الخاليـة ، والاجيال البائدة ، والقرون الماضية ، وضرب الامثـال بهـم ، لان فى سيرهم اعتبارا للمعتبـر ، واستـبصارا للمستـبصر ، واستخراج الفائـدة للبـاحث المستكـثـر ، فـان فى هـذا الحديث ـ لا سيما اذا حدث به النساء ـ منفعة فى الحض على الوفـاء للبعـولة ، والنـدب لقصـر الـطـرف والقـلـب عليهم ، والشكر لجميل فعلهم ، وحسن المعاشرة معهم ، كحال أم زرع وما ظهر من اعجابها بأبى زرع ، وثنـائها عليـه وعلى جميع أهله ، وشكرها احسانه لهـا ، واستصغارهـا كل شىء بعده . وبسبب قصتها كان جلب الحديث ، كما وقع مبينا فى بعض الروايات ، مع ما فيه من التعريف بصبر الاخر اللاتى ذممـن أزواجهن ، والاعلام بما تحملنه من سـوء عشرتهـم وشراسة

«97» من عند : ز م ك ، عند : س .

---

(27) هو أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيـز بن عبد الله ، المشهور بابن الماجشون . فقيه مالكي فصيح ، من كبار ائمـة المالكية ، دارت عليه الفتيا فى زمانه ، وعلى أبيه قبله . توفى سنة 212 هـ

أخلاقهم ، ليقتدى بذلك من النساء من بلغها خبرهن فى الصبر على ما يكون من الازواج وتتأسى بمن تقدمها فى ذلك .

وفيه من الفقه التحدث بملح الأخبار وطرف الحكايات ، تسلية للنفس ، وجلاء للقلب ، وهكذا ترجم أبو عيسى الترمذي عليه : باب ما جاء فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السمر . وأدخل فى الباب هذا الحديث وحديث خرافة (28) .

ويروى عن على رضى الله عنه (29) انه قال «98» : سلوا

«98» عن علي رضي الله عنه : ز م ك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : س .

(28) وهو : عن عائشة قالت : حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة نساءه حديثا ، فقالت امرأة منهن : كأن الحديث حديث خرافة ، فقال : « اتدرون ما خرافة ؟ ان خرافة كان رجلا من عذرة ، اسرته الجن فى الجاهلية ، فمكث فيهم دهرا ، ثم ردوه الى الانس ، فكان يحدث الناس بما راى فيهم من الاعاجيب ، فقال الناس : حديث خرافة » . وفى اسناد هذا الحديث مجالد بن سعيد الهمداني الكوفى . قال عبد الرحمن بن مهدى : حديث مجالد عند الاحداث ليس بشىء . يعني انه تغير حفظه فى آخر عمره . وقال عنه يحيى بن سعيد القطان : فى نفسى منه شىء . وقال يحيى بن سعيد القطان ايضا لمن اراد ان يكتب السيرة عن مجالد : تكتب كذبا كثيرا ، لو شئت ان يجعلها لى مجالد كلها عن الشعبى عن مسروق عن عبد الله فعل . وسئل عنه احمد بن حنبل فقال : ليس بشىء ، يرفع حديثا كثيرا لا يرفعه الناس ، وقد احتمله الناس . وقال يحيى بن معين : مجالد لا يحتج بحديثه . وقال عنه ايضا : مجالد ضعيف واهي الحديث . وسئل ابو حاتم الرازى عنه ايحتج بحديثه ؟ قال : لا . (انظر ترجمته فى الجرح والتعديل لابن ابى حاتم ص 361 — 362 من القسم الاول من المجلد الرابع ، رقم الترجمة 1653) . فالحديث ضعيف جدا ، ولعله من وضع مجالد .

(29) هو امير المؤمنين ابو الحسن على بن ابى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، القرشى الهاشمى ، لم ينقل لاحد من الصحابة من المناقب ما نقل لعلي رضى الله عنه ، توفى سنة 40 هـ .

هذه النفوس ساعة بعد ساعة ، فانها تصدأ كما يصدأ الحديد .
ويروى عن عبد الله بن عباس (30) انه كان يقول اذا أفاض من عنده فى الحديث بعد القرآن والتفسير : أحمضوا . أى اذا مللتم من الحديث والفقه وعلم القرآن فخذوا فى الاشعار وأخبار العرب ، كما أن الابل اذا ملت ما حلا من النبات رعت الحمض ، وهو ما ملح منه .
ومنه قول الزهرى (31) : هاتوا من أشعاركم فان الاذن مجاجة والنفس «99» حمضة . أى انها لتشتهى الشىء بعد الشىء كما تفعل الابل . ومنه قول أبى الدرداء (32) : انى لاستجم نفسى ببعض اللهو ليكون ذلك عونا لى على الحق . وقال على رضى الله عنه : القلب اذا أكره عمى . وقال بعض الحكماء : أن للاذان مجة ، وللقلوب مللا ، ففرقوا بين الحكمتين ، ليكون ذلك استجماما .

وهذا كله مالم يكن دائما متصلا ، وانما يكون فى النادر والاحيان ، كما قال : ساعة بعد ساعة ، وأما أن يكون ذلك عادة

«99» مجاجة والنفس : م ، مجاجة وللنفس : ز ك ، فى مجاجة والنفس : س .

(30) هو ابو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، القرشى الهاشمى ، حبر الامة ، وترجمان القرآن ، دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل » . توفى سنة 68 هـ .

(31) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى . احد اجلاء التابعين ، واحد اكابر الحفاظ والفقهاء . توفى سنة 124 هـ

(32) هو الصحابى ابو الدرداء الانصاري الخزرجى ، اختلف فى اسمه واسم ابيه ، واسمه عامر او عويمر ، ولاه معاوية قضاء دمشق فى خلافة عمر ، توفى سنة 32 هـ او التى بعدها .

الرجل حتى يعرف بذلك ويتخذه ديدنا ويطرب «100» به الناس ويضحكهم ــ دأبه ــ فهذا مذموم ، غير محمود ، دال على سقوط المروءة ورذالة الهمة ، وخلع برد نزاهة النفس ، واطراح ربقة الوقار والسمت ، مولجا صاحبه فى باب المجون والسخف . وقد عد هذا الفن الفقهاء فيما يقدح فى عدالة الشاهد ، فذكر أبو بكر الابهرى (33) وغير واحد من أئمتنا ان التزام المروءة مشروط «101» فى العدالة ، ونحوه للشافعى (34) وأئمة أصحابه . وذكر شيخنا الامام أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى (35) أن الشاهد يتنزه عن كل ما يسقط مروءته : من الاكل على الموائد فى الاسواق وفى الطرقات غير مستخف ، وكشف رأسه وبدنه بحضرة الناس ، ومد رجليه بحضرتهم ، وذكر «102» الحكاية المضحكة ، وذكر

«100» يطرب : م س ، يطرف : ز ، يطرق : ك .
والنفس : س .

«101» مشروط : ز ، مشترط : ك ، مشترطة : م س .

«102» وذكر : س ، ــ : ز م ك .

---

(33) هو ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح الابهرى ، الفقيه المالكى ، له تصانيف فى شرح مذهب مالك والاحتجاج له والرد على من خالفه ، وكان امام اصحابه فى وقته . توفى سنة 375 هـ .

(34) هو الامام ابو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، القرشى المطلبى . تلميذ الامام مالك بن انس وشيخ الامام احمد بن حنبل رضى الله عنهم . صاحب كتاب « الام » و « المسند » وغيرهما . توفى سنة 204 هـ .

(35) هو ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف ، القرشى الفهري ، الاندلسي الطرطوشي ، ويقال له ابن ابى رندقة ، اديب ، من فقهاء المالكية الحفاظ ، توفى سنة 520 هـ .

أهله بالسخف ، قال : فهذا وما يشبهه يسقط العدالة عند العلماء ، ولا تقبل الشهادة معها .

قال الفقيه القاضى أدام الله توفيقه :

وما قاله صحيح ، لان المداومة على هذا مما يسقط مروءة ذوى المروءات ، ويزيل سمت أصحاب السمت والتصاون ، واشتراط التزام المروءة مشترط فى الشهادة والعدالة كاشتراط اجتناب المحارم ، ولكن لكل واحد مروءة ما ، ولهذا قالوا فيه : ملتزما لمروءة مثله ، وقد قال بعض أئمتنا من القرويين — وهو أبو القاسم ابن محرز — : المروءة المطلوبة فى الشاهد هى الصيانة ، والسمت الحسن ، وحفظ اللسان ، وتجنب السخف والمجون وكل خلق دنىء . وقال بعض أئمة البغداديين : العدالة عبارة عن استقامة السيرة والدين ، ويرجع حاصلها الى هيئة راسخة فى النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعا ، قال : وقد شرط فى العدالة التوقى عن بعض المباحات القادحة فى المروءة ، نحو الاكل فى الطرق ، والبول فى الشارع ، وصحبة الارذال ، وافراط المزاح ، وقال القاضى أبو بكر ابن الطيب فى صفات العدل : تجنب ما يمرض القلوب ويورث التهم فيما جل وقل ، قال : ومن علمائنا من صار الى أن عدم (36) التوقى عن المباحات القادحة فى المروءة : كالاكل فى

(36) كلمة « عدم » غير موجودة بالاصول التي بيدي ، لكن لا يستقيم الكلام بدونها .

الاسواق ، والجلوس على الطرقات ، ومصاحبة الارذال ، والاكثار من المداعبة ، يقدح فى العدالة ، قال : ولا أقطع بذلك ، وعندى أن ذلك مفوض الى اجتهاد القاضى «103» ، فرب شخص فى نهاية من التدين وتجنب التكلف يصدر ذلك منه فلا يتهم ، ورب شخص يؤذن ذلك منه بقلة المبالاة ، وهذا يختلف باختلاف الاوقات والاشخاص والاحوال ، وهو مفوض الى الاجتهاد .

قال الفقيه القاضى أبو الفضل رضى الله عنه :

وما قاله القاضى سيف السنة من ذلك صحيح حق بين ، وهو بمعنى قول غيره الذى قدمناه من أن لكل واحد مروءة ما ، فتلك معتبرة ، وذلك ان من اسقط مروءته ولم يهتبل بها دل على اختلال فى ميزه ، اذ لم يحتط لنفسه ، ولا اهتبل بصلاح خاصته ، فتعلقت «104» تهمتنا له بذلك فى دينه ، ولم نستتم «105» الى باطنه لما اضطرب علينا ظاهره . وهذه نكتة بالغة فى هذا الفصل ، تغلغل القول بها ، لعلك لا تجدها بهذا البيان فى غير هذه الاوراق ، وقد طاش سهم «106» القول — بما اعترض — عن الغرض ، فلنكتف بما اقتضبناه من معقول ومنقول ، ونعود الى بغيتك فنقول :

وفيه من الفقه بسط المحدث والعالم لما أجمل من علمه لمن

«103» القاضى : س ، القلب : ز .
«104» فتعلقت : س ، فتعدت : ز ك .
«105» نستتم : ك ، نستنم : ز ، نستسنم : س .
«106» سهم : ز س ، بينهم : م .

حوله ، وبيانه عليهم ، من تلقاء نفسه ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث ، وقد قال لعائشة : كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، قالت : ثم أنشأ يحدث الحديث . وقد ورد فى غير ما حديث صحيح ابتداؤه صلى الله عليه وسلم لأصحابه المسائل جملا وتفصيلا .

وفيه من الفقه سؤال السامع العالم شرح ما أجمله له ، فقد وقع فى بعض طرقه عن عائشة رضى الله عنها أنها ــ لما قال لها : أنا لك كأبى زرع لأم زرع ــ قالت : يا رسول الله وما حديث أبى زرع ؟ فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث .

الغريب

قول عائشة (كان أبى ألف ألف أوقية) أى : جمع . قال الله تعالى : « ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم «107» » . ومن رواه (آلف) بالمد : بمعناه «108» . وهو فعل مشتق من الالف . يقال : ألفت القوم فألفوا اللازم والمتعدى واحد ، قاله الهروى (37) . أى جمعتهم ألفا ، أو صيرتهم ألفا . (وقال ابن اسحاق : آلف فلان ايلافا وهو أن يجتمع له ألف من البقر أو الغنم أو غير ذلك . قال الكميت :

بعام يقول له المولفو ن هذا المقيم لقا المرحل) «109»

وقولها (تعاهدن وتعاقدن) : أى ألزمن أنفسهن بالقول موثقا وعهدا ، وعقدن على الصدق والوفاء من ضمائرهن بذلك

«107» سورة الانفال ، الآية 63 .
«108» بمعناه : س ، فمعناه : زم وهو تصحيف .
«109» ما بين القوسين زيادة من نسخة : ك .

(37) هو ابو عبيد احمد بن محمد بن عبد الرحمن الباشانى ، الهروي ، له « كتاب الغريبين » غريب القرآن وغريب الحديث ، و « ولاة هراة » ، توفى سنة 401 هـ .

عقدا . قال الله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغـو فى ايمانـكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان «110» » أى بما وافق بـه نطقكم نيتكم . والاصل ان العهـد والعقـد فى اللغـة بمعنـى واحد ، قاله الخليل وابن دريد ونفطويه (38) ، وكلـه «111» معناه التوثق ، من : عقدت الحبـل والشىء بـالشىء ، وهـو التوثق منه وربط بعضه ببعض ، فكأن هؤلاء النسوة ربطن على الصدق قولهن الظاهر ، باخلاصهن الباطن . وقولها فى الروايـة الاخرى (تبايعن) : من هذا المعنى ، ومنه «112» مبايعـة الأمراء ، وهو توثقهم من النـاس ، ومعاهدتهم ايـاهم على الطاعة ، وأصله من البيع ، وذلك أن المتبايعين يمد كل واحـد منهما يده الى صاحبه بشىء ، وقيل : بل كانـوا يضرب كـل واحد منهما بيد «113» صاحبه عند التبايع ، ولهذا سميـت صفقة ، لاصفاق أيديهم بعضها «114» ببعض عندهـا . ولمـا كان الامراء يأخذون عند التوثق بأيدى من عاهدوا وأشبه ذلك فعل المتبايعين سميت مبايعة لذلك .

«110» سورة المائدة ، الآية 89 .
«111» ونفطويه وكله : ز ، وغيرهما و : س .
«112» ومنه : ز ، واصله : س .
«113» بيد : م ، يد : ز س .
«114» بعضها : س ، بعضهم : ز م .

---

(38) هو ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفـة الازدي العتكـي ، المشهور بنفطويه ، امام فى النحو ، وكان فقيها ، راسا فى مذهب داود ، مسندا فى الحديث ثقة ، توفى سنة 323 هـ .

غريب قول الأولى

(لحم جمل غث) أى مهزول ، قال الشاعر :

فأمست «115» قريش قد أغث «116» سمينها

والغث أيضا : الفاسد من الطعام ، ومنه : الغثيثة : وهي المادة التى تجتمع فى الجرح . ويقال : غث الطعام يغث ، وأغث .

والاصح «117» أن يكون هنا : الهزيل ، لقولها بعد : لا سمين فينتقى . ومن رواه (قحر) فمعناه : هرم قليل اللحم ، صفة للبعير . يقال : جمل قحر وقحارية «118» . قال ابن الانبارى : تريد : لحم جمل مهزول . يريد ابن الانبارى ان المسنة الغالب عليها الهزال .

وقولها (على رأس جبل وعر) أى حزن غليظ . والقوز : مثل الجبل ، من الرمل . والجمع : أقواز وقيزان وأقاوز .

ومن رواه (وعث) فمعناه ذو وعث ، والوعث : الدهس ،

«115» فأمست : س ، وامست : ز .
«116» اغث : ز ك ، اغثت : م ، اغتث : س وهو غلط .
«117» والاصح : ز ك ، والاصل : م س .
«118» وقحارية : ز ك ، وتحاربه : س وهو غلط .

وهو مما يشتد فيه المشي ويشق ، فاستعمل لكل ما شق ، ومنه : وعثاء السفر ، أي شدته ومشقته .

وقولها (ليس بلبد فيتوقل) أي ليس بمستمسك فيسهل صعوده . يقال : لبد بالشيء يلبد لبودا ، اذا لزق به . ولبد الغيث الارض : أي الزق بعضها ببعض وجعلها لا تسوخ فيها الارجل . والتوقل : اسراع المشي ، قاله ابن الانباري ، وقال غيره : هو الاسراع في الصعود ، وقال ابن دريد (39) في الجمهرة : توقل في الجبل توقلا فهو متوقل ، وكل صاعد في شيء «119» متوقل ، والاسم منه الوقل والوقل .

وقولها (لاسهل فيرتقى) أي يطلع اليه ، تعنى الجبل ، لحزونته ووعره .

(ولا سمين فينتقى) تعنى اللحم ، أي ليس بسمين له نقى — أي مخ — فيخرج ، هذا نحو لفظ الهروى ، وفيه تجاوز (40) ، اذ ليس يستبين «120» منه المعنى ، وقريب منه قول أبى عبيد ويعقوب (41) . وبيان معنى ما وقع هاهنا أن يقال : ليس بسمين له نقى فيطلب لاجل نقيه ، فلذلك قال (ينتقى) أي

«119» شيء : س ، مشي : ز .
«120» يستبين : م س ، يتبين : ز ك .

---

(39) هو ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدى ، من ائمة اللغة والادب ، من كتبه « الجمهرة » و « الاشتقاق » و « المقصور والممدود » توفى سنة 321 هـ .
(40) لعل الاصوب ان يقال : « وفيه تجوز » بدلا من قوله « وفيه تجاوز »
(41) يعقوب : هو ابن السكيت ، وقد تقدم .

يطلب طيبه لاجل ما فيه من النقى ، لا أنه أراد استخراج نقيه — وهو مخه — ، وذلك ان الجمل اذا هزل فلا بد أن يبقى فيه «121» نقى عظامه . قال الخليل : النقى مخ العظام وشحم العين . قالوا : وآخر ما يبقى فى الجمل اذا هزل مخ السلامى ومخ العين ، فاذا لم يكن فيه ذلك فلم يبق فيه شىء من خير ولا ينتفع به ، بدليل قوله :

لا يشتكين «122» عملا ما أنقين ما دام مخ فى سلامى أو عين

ومن رواه (فينتقل) أى ينتقله الناس الى بيوتهم فيأكلونه ، ولكنهم يزهدون فيه . قال أبو سعيد النيسابورى : ليس شىء أخبث غثاثة فى الانعام من الجمل ، لانه يجمع خبث الريح وخبث الطعم . يريد : فلذلك ضربت به المثل (.. هزيلا ، وقولها « ولا لى عنده معول » أى رجاء منفعة ، وأصله من : عال الرجل عياله عولا ، أى : مانهم وكفاهم ، واصله من العول الذى هو الثقل . يقال : عول على ، أى : حملنى من ثقل شؤونك ما تشاء .

ومن رواه « ولا له عندى معول » : فاما أن يكون بمعنى الاول ويكون « له » بمعنى « عليه » ، أو يكون بضده ، اى : انه لا يشتغل بها ، ولا يلجأ الى شىء من امورها ، تهاونا بها ، وسوء عشرة لها ، وانها .. فيه ، لا يطمع فى نيل شىء من جهتها ، ولا يرجو تحملها شيئا من أموره ولا معونتها .) «123»

«121» يبقى فيه : ك ، يبقى منه : ز ، ينتقى فيه : م ، ينتقى منه : س.
«122» لا يشتكين : ز ك ، لا تشتكين : م س .
«123» ما بين القوسين زيادة من نسخة : ز .

معنـــاه :

وصفت هذه المرأة زوجها بالبخل وقلة الخير ، وبعده من أن ينال خيره ــ مع قلته ــ ، كاللحم الهزيل أو الفاسد المنتن الذى يزهد فيه فلا يطلب ، فكيف اذا كان فى رأس جبل صعب وعر ؟ أو قوز رمل دهس لا يمكن المشى فيه ولا ينال الا بمشقة ؟ والى هذا أشار القاسم بن سلام وغيره ، وذهب الامام أبو سليمان الى أن تمثيلها له بالجبل الوعر هاهنا اشارة الى سوء خلقه ، والذهاب بنفسه وترفيعها تيها وكبرا ، تريد انه مع قلة خيره يتكبر على عشيرته ، فيجمع الى البخل سوء الخلق ، وليس عنده من الخير ما يحتمل سوء عشرته له .

عربيتـــه :

قولها هذا ، اعلم انه يجوز فى « غث » الرفع وصفا للحم ، والكسر وصفا للجمل ، وروى بالوجهين ، لان الوصف بالهزال فيهما معا صحيح ، ومن رواه « لحم غث » فالرفع على ما تقدم ، والكسر على الاضافة بتقدير حذف « جمل » واقامة وصفه مقامه ، واما من رواه « قحر » فلا يجوز فيه الا الكسر ، لانه لا يكون الا وصفا للجمل .

وقولها « لا سهل فيرتقى » يجوز فيه ثلاثة اوجه ــ كلها مروية ــ : نصب لام « سهل » دون تنوين ، ورفعها ، وخفضها منونة ، واعربها عندى هاهنا الرفع فى الكلمتين ، ووجهه أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف ، تقديره : لا هو سهل ، أولا هذا سهل

ولا ذاك سمين ، أو لا الجبل سهل ولا اللحم سمين ، فتكون كل واحدة من الكلمتين خبرا لمبتدأ محذوف ، كما قال :

فأصبح اليــوم لا معط ولا قــار

أي لا هو معط ولا هو قار ، ويصح أن يكون « سهل » مبتــدأ والخبر محذوف مقدر ، أى لا سهل فى هذا «124» مرتقــى ، ولا سمين من هذا منتقى ، ومثله قوله تعالى « لا بيــع فيه ولا خلة «125» » ، قرىء بالوجهين الرفع والنصب ، وتكـــــون « لا » هاهنا بمعنى ليس ، كما قال :

فــأنــا ابــن قــيــس لا بـــــراح

وأما وجه نصب « سهل » فعلى اعمــال « لا » وجعلــهــا ناقصة محذوفة الخبر ، فتنصب بها ، والتقدير : لا سهل فيــه أو منه ، مثل قولهم : لا بأس ، ولا خــوف ، ومنــه قولهــم : لا حول ولا قوة الا بالله .

وأما الخفض فعلى وجهين : على النعت للجبل وترك اعمال « لا » وتقديرها ملغاة زائدة فى اللفظ لا فى المعنى ، وهذا احد وجوهها عند النحاة ، كقولهم سرت بلا زاد وعجبت من لا شىء ، فان « لا » ملغاة العمل زائدة فى اللفظ لا فى المعنى ، ومنه قوله تعالى : « وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعــة «126» » وقوله « وظل من يحمــوم ، لا بــارد ولا كريــم «127» » ،

«124» فى هذا : ز س ، هذا : م .
«125» سورة البقرة ، الآية 254 .
«126» سورة الواقعة ، الآية 33 .
«127» سورة الواقعة ، الآية 44 .

فـ « مقطوعة » و « ممنوعة » : نعت للفاكهـة ، و (بـارد) و (كريم) : نعت للظل ، ولكـن بتقديـر « لا » فى المعنـى والغائها فى العمل ، لانك لـو لـم تلغـهـا لعملـت عملهـا وحالت بين العامل فى النعت والمنعوت فكأنها فى التقدير ، ولو أبطلت أيضا حكمها فى المعنى لبطل المعنى وكان ما بعدها اثباتا من حيث كان نفيا ، فهى ملغاة فى العمل زائدة ، غير فاصلة بين العامل والمعمول فيه ، فكذلك قولها « لا سهل » « ولا سمين » .

وقد يكون له أيضا وجه آخر : وهو أن تقدر « لا » بمعنى غير ، فيكون « سهل » خفض بالاضافة اليها ، فاذا تقرر هـذا فى قولها « لاسهل » : فلك أن ترد قولها بعد ذلك « ولا سمين » على ذلك كله ، وتجريه على اعراب ما قبله من الوجوه الثلاثـة عطفا عليه ، وان شئت نونت « سميـنا » فى حـال النصب ، وان شئت قلت : « لا سهل ولا سمين » فأبقيـت الاول على حاله ورفعت الاخير على الوجهين اللذين ذكرناهما قبل فى رفـع الحرفين معا ، وان شئت قلت « لا سهل ولا سمـين » فرفعت الاول ونصبت الثانى ، كقوله تعالى « فلا رفـث ولا فسـوق ولا جدال فى الحج «128» » فى قراءة ابى عمرو ، وكقول أمية ابن أبى الصلت :

فلا لغـو ولا تأثيم فيهـا   وما فاهوا به أبدا «129» مقيم

«128» سـورة البقرة ، الآية 197 .
«129» ابدا : س ، لهم : زم .

بيـــــــــــان :

ان قلت : ذكرت أن أعرب الوجوه عندك الرفع فى الحرفين ، وأصل « لا » العاملة نصب النكرة المنفية المفردة التالية لها ، وقصاراك ان عطفت النكرات عليها مـــع تكرارهـــا أن تجــوز الرفع تجويز النصب ، فأما ترجيحه عليه فدعوى ، وكيف وقدوة الجماعة يقول · النصب أجود وأكثر من الرفع ؟ . فاعلم ــ وفقك الله ــ أنى اذا بينت لك قولى ورفعت مناره ، رأيت ترجيحــه وايثاره ، وذاك أنى لم أر ذلك من جهة مذهب النحاة وتقويــم الالفاظ ، ولكن من جهة المعنى وتصحيح الاغراض ، وترتيب الكلام ونظامه ، ورد اعجازه لصدوره وتفصيل أقسامه ، وذلك أن هذه المرأة أودعت أول كلامها تشبيه شيئين من زوجهـــا بشيئين كما تقدم ، فشبهت باللحم الغث بخله وقلــة عرفــه ، وبالجبل الوعث شراسة خلقه وشموخ أنفه ، فلما أتمت كلامها جعلت تفسر ــ مستأنفة ــ كل واحــدة من الجملتين ، وتفصل ــ ناعتة ــ كل قسم من التشبيهين ، ففصلت الكلام وقسمته ، وأبانت الوجه الذى به علقت التشبــيه وشرحتــه ، فقــالت : لا الجبل سهل فلا يشق ارتقاؤه لاخذ اللحم الغث المزهود فيه ، لان الشىء المزهود فيه ربما أخذ اذا جاء عفوا وتنوول «130» اذا سهل مأخذه ، ثم قالت : ولا اللحم سمين فيتحمل فى طلبــه وانتقائه «131» مشقة صعود الجبل ومعانــاة وعــورته ، اذ

«130» تنوول : ز ، يتناول : ك ، تنول : م ، تناول : س .
«131» وانتقائه : س ، واقتفائه : م .

الشىء المرغوب فيه قد تتحمل المشاق دونه ، فاذا لم يكن هذا ولا ذاك ، واجتمع قلة الحرص عليه ، ومشقة الوصول اليـــه ، لم تطمح اليه همة طالب ، ولا امتدت نحـــوه أمنيـــة راغب ، نكذلك زوجها قد أيس من خيره لهذين الوجهين . فقطع الكلام عند تمام التشبيه والتمثيـــل ، وابتـــداؤه بحكـــم التقـــسيـــر والتفصيل ، أليق بنظم الكلام ، وأحسن من نفى التبرية «132» وسرد الصفة فى نمط البيان ، وأجلى فى رد الاعجاز على صدور هذه الاقسام ، وتأمل كتاب الله العزيز ، فان المنفيات فيه حيث ترددت معطوفة لشىء واحد جاءت بالوجوه الثلاثة ، كقولـــــه تعالى « وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعـــة ولا ممنوعـــة » «133» و « كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم » «134» و (يوم لا بيع فيـــه ولا خلة) «135» قرىء بالوجهين الرفع والنصب ، و « لا رفث ولا فسوق ولا جـــدال فى الحـــج » «136» ، وحيـــث وردت المنفيات فيه اصفات «137» أشياء أو لشيئين يختص كل واحد منها بوصف وقصد كل شىء منها بنفى عيب : ابتدأ الكلام «138» حينئذ مستأنفا فقال « بيضاء لذة للشاربين ، لا فيها غول ، ولا هم عنها ينزفون » «139» ، فقوله (لا فيها غول) من صفـــة

«132» التبـــرية : ز ك ، البتـــرية : س .
«133» سورة الواقعة ، الآية 33 .
«134» سورة الطور ، الآية 23 .
«135» سورة البقرة ، الآية 254 .
«136» سورة البقرة ، الآية 197 .
«137» لصفات : زم ، لصفة : س .
«138» ابتدا الكلام : ك ، ابتدىء الكلام : م ، ابتدا فى الكلام : س .
«139» سورة الصافات ، الآية 46 — 47 .

المشروب ، وقوله (ولا هم عنها ينزفون) من صفة الشاربين ، وهذا من الترتيب البديع ، والتناسب العجيب ، فانه جعل الوصف الاول للموصوف الاول ، والثانى للثانى ، وهو من أبدع أنواع التأليف ، وأحسن أساليب الترصيف «140» ، ومثله قول امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
ــ لدى وكرها ــ العناب ، والحشف البالى

فأتى (بالعناب) أولا (للقلوب الرطبة) المذكورة أولا ، و (بالحشف) ثانيا (لليابسة) المذكورة ثانيا ، وقول بعضهم :

سل عنه ، وانطق به ، وانظر اليه ، تجد
ملء المسامع ، والافواه ، والمقل

فانه قابل بقوله (ملء المسامع) أولا فى الشطر الثانى قوله (سل عنه) أولا فى الشطر الاول ، وأتى (بالافواه) ثانيا فى الثانى مقابلا (للنطق) ثانيا فى الاول ، وأتى (بالمقل) ثالثا فى الثانى مقابلا (للنظر) ثالثا فى الاول ، ومثله :

قلبى وطرفى منك ، هذا فى حمى   قيظ ، وهذا فى رياض ربيع

فانه حمل (حمى القيظ) الذى جاء به أولا فى العجز على (القلب) الذى جاء به أولا فى الصدر ، وحمل (رياض الربيع) الذى أتى به فى العجز آخرا على (الطرف) الذى أتى به فى الصدر آخرا ، فتناسب النظم على نسقه ، وتطارد الترتيب على جادة طلقه ، وكذلك جاء فى بعض روايات حديث أم زرع

«140» الترصيف : م ك ، التصريف : ز س وهو تصحيف .

بتقديم « لا سمين » لعـوده على اللحـم المقـدم ، وتأخيـر « لا سهل » لعطفه على الجبل المؤخر ، وقد ترامى بنـا القول هنا الى لمحة والماعة مما فى كلامها من أبواب البلاغة ، وهـو فصل لم نر التطويل به هاهنا ، وسنذكره بعد مع أشباهه مما فى كلام صواحبها ان شاء الله تعالى .

فـقـهـــه :

استدل بعض العلماء من هذا الحديث على أن ذكـر السوء والعيب اذا ذكره أحد فيمن لا يعرف بعينه واسمه أنـه ليـس بغيبة ، وأن الغيبة أن تقصد معينا بما يكـره ، فان النبى صلى الله عليه وسلم قد حكى عن بعض هؤلاء النسوة مـا ذكرنه من عيب أزواجهن ، ولا يحكى عن نفسه أو غيره صلى الله عليـه وسلم الا ما يجوز ويباح ، وقـال مثـل ذلك أبـو سليـمان الخطابى ، ورأيت شيخنا الامام أبا عبد الله محمد بن علـى التميمى (42) لا يرتضى هذا القول ، وقال : انمـا كان يكون هذا حجة لو سمع النبى صلى الله عليه وسلم امـرأة تغتـاب زوجها ولا تسميه فأقرها عليه ، وأما هذه الحكايـة عن نسـاء مجهولات غير حاضرات ينكر عليهن فليس بحجة فى جواز ذلك ، وحالهن كحال من قال : فى العالم من يسرق ويزنى ، فلا يكون غيبة ، قال : ولكن المسألة لو نزلت فوصفت المرأة زوجها بما

(42) هو ابو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري ، محدث ، من فقهاء المالكية ، له « المعلم بفوائد مسلم » و « الكشف والانباء » فى الرد على الاحياء للغزالى ، توفى سنة 536 هـ .

هو غيبة وهو معروف عند السامع فان ذلك ممنوع ، ولو كان مجهولا لكان لا حرج فيه على رأى بعضهم الذى قدمناه ،. قال : وللنظر فيه مجال .

قال الفقيه القاضى أبو الفضل أعلى الله قدره :

وما قاله الشيخ رضى الله عنه فيه للنظر – أيضا – مجال عندى ، وتحقيق المسألة أن فائدة النهى عن الغيبة الحماية «141» عن أذى المؤمن ، فاذا ذكر المجهولين عند القائل والسامع بالقبيح دون أن يذكر لهم اسم أو وصف عساهم أن يعرفهم به غيرهما ليس بغيبة ، لان مثل هذا لا يصل به أذى للمقول فيه ، اذ لا يتأذى الا بتعيينه اما عند القائل أو السامع أو من يبلغه الخبر . وهذا مثل قولك : فى العالم من يفسق ، وفى بنى آدم من يسرق ، فهذا ليس بغيبة ، وقد أشار الى نحو هذا الحارث «142» بن أسد المحاسبى (43) رحمه الله ، قال : وقال ابراهيم (44) : لا يكون غيبة ما لم يسم صاحبها ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن أحد شىء لم يصرح به ،

«141» الحماية : ك ، حماية : ز م س .
«142» الحرث : ز ك ، الحديث : س ، والصواب : الحارث . ولفظ المحاسبي زيادة من نسخة : ز .

---

(43) هو ابو عبد الله الحارث بن اسد المحاسبى ، الزاهد المشهور ، من اكابر الصوفية ، كان عالما بالاصول والمعاملات ، واعظا مبكيا ، وله تصانيف فى الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم ، من كتبه « الرعاية لحقوق الله » ، توفى سنة 243 هـ .
(44) لعل المراد : ابو اسحاق ابراهيم بن ادهم بن منصور التميمى البلخي ، زاهد مشهور فقيه ، توفى سنة 161 هـ .

وكان يقول : ما بال أقوام يفعلون كذا ، وهو — صلى الله عليه وسلم — وان عرفهم فليس بمغتاب لهم ، اذ نيته غير الغيبة والاذى ، بل التحذير والعظة ، ولو فعل ذلك انسان لمثل هذا لم يكن مغتابا ، اذا لم يصرح ولم يعرض باسمه تعريضا يفهم عينه ، وكذلك قوله فى هذا الحديث : « اجتمع احدى عشرة امرأة » ، فذكر نساء مجهولات الاعيان والاسماء ، مجهولات الازواج ، بائدات الزمان ، فما حكى عن بعضهن من قبيح ذكر أزواجهن ليس بغيبة ، نعم وان كان قد سمى فى بعض الطرق — كما ذكرنا — بعضهن ، فان أزواجهن غير مسمين ، ومع ان «143» تلك التسمية — لقدم «144» الزمان — لم تزد معرفة ، وأيضا فانه أخبر عن قوم من أهل الجاهلية : الله اعلم «145» هل كانوا على ديانة أو لا ؟ فلم يكن فيهم — ولو عرفوا ، ان كانوا على الجاهلية — غيبة . وأما متى كان المقول فيه معروفا عند القائل أو السامع فهو غيبة ، وكذلك لو لم يعرفاه ولكن بلغ أحدا من الناس أن فلانا الـ كذا أتى دناءة كذا أو تخلق من القبيح بكذا فحدث به من لا يعرف المسمى واستمع الآخر اليه لكانا مغتابين ، لان ذلك المسمى لو بلغه ذلك أو سمعه لتأذى به ، الا أن يكون القائل يعرفه ولكن لم يفصح عنه

«143» ومع ان : كذا فى النسخ ، ولعل الاصوب : « مع ان » بدون واو .
«144» لقدم : ز ك ، لقديم : م س .
«145» الله اعلم : م س ، والله اعلم : ك .

«146» ، أو ذكر «147» عيبه لضرورة التحذير أو الوعظ كما تـــقـــدم .

قال الفقيه القاضى أبو الفضل وفقه الله :

وقول شيخنا أبى عبد الله « وانما حكى عن نساء مجهولات غير حاضرات ينكر عليهن » غير سديد عندى ، فان الحجة انما هى فى حكاية النبى صلى الله عليـــه وسلم عنهـــن «148» أو الحكاية له عليهن ما حكى ، ولو حكى رجل عن غائبة أنها قالت فى زوجها كذا ونبزته بكذا لكان غيبة من الراوى والسامع له ، وانما الحجة من هذا الحديث حكايتـــه صلى الله عليه وسلم عن المجهولات ، والمقول فيهم مجهولون عنـــد جميـــع السامعين ، والحمد لله رب العالمين .

تنـــبيـــه : كنت نويت أن أذكر ما فى كـــلام كل «149» واحدة من هؤلاء النسوة من ابواب الفصاحة ، وأنبه على مـــا فيه من فنون البلاغـــة ، وابين مـــا اشتمل عليـــه من ابـــواب البديع على مذهب أهل هذه الصناعة ، فان كلام هؤلاء النسوة من الكـــلام العـــالى الفصيـــح ، الجامـــع للفـــظ المخـــتـــار والنـــظـــم المتـــناســـب المـــليـــح ، والمعنـــى الـــجـــيـــد البليغ الصحيح ، لكنى رأيت أن افراد الكلام عليـــه عند شرح قول كل واحدة يطول ، لما يتوجه من التكرار والمداخلة فى بعض

«146» عنه : س ، به : ز م ك .
«147» او ذكر : ك ، وذكر : ز م س .
«148» عنهن : ز ، — : م ك س .
«149» كلام كل : س ، كل كلام : ز .

الفصول ، فرأيت تأخير ذلك الى آخر الحديث اولى ، ليتــأتى الكلام عليه دفعة ويفيض سجلا ، جريا على مـــا اشترطته من الاختصار ، وكرها لما بسطته من عذر الاكثـــار ، والعـــون من الله جـــل اسمـــه .

غريب قول الثانية

لا أبث : لا أنشر وأذكر ، ومن رواه « انــث » فمن هذا .
يقال : « بث الحديث ونثه » : بمعنى ، الا أن النــون أكثـر ما يستعمل فى الشر ، وهو بمعنى أنبىء فى الرواية الاخرى أى أعلم ، قال أبو عبيد : والعجر تعقد العصب والعروق فى الجسد حتى تراها ناتئة ، والبجر : مثلها ، الا أنهـا مختصة بالبطن .
وقال نحوه الاصمعى (45) ، وقال ابن الاعرابى (46) : العجرة نفخة فى الظهر ، فاذا كانت فى السرة فهى بجرة ، ثم ينتقلان الى الهموم والاحزان ، ونحوه عن ثعلب (47) والاصمعى ، قــال :

---

(45) هو ابو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ، الباهلي الاصمعي البصري اللغوي ، احد ائمة اللغة والغريب والاخبـار والملـح والنوادر ، صنف « غريب القــرآن » و « معــاني الشعــر » وغيرهما ، توفى سنة 216 هـ . او التى قبلهـا .

(46) هو ابو عبد الله محمد بن زياد ، المشهور بابن الاعرابى ، كان نحويا عالما باللغة والشعر ، راوية للاشعار ، حسن الحفظ لها ، له كتاب « النوادر » و « معاني الشعر » وغيرهما . توفى سنة 230 هـ .

(47) هو ابو العباس احمد بن يحيى بن يســار ، المشهور بثعلـب ، امام الكوفيين فى النحو واللغــة ، صنف « غريـب القــرآن » و « معاني القرآن » و « اختلاف النحويين » وغيرهـا . تـوفى ســنــة 291 هـ .

ومنه قول على رضى الله عنه يوم الجمل : الى الله أشكو عجرى وبجرى . أى همومى وأحزانى ، وقال احمد بن عبيد (48) : العجر : فى البطن والجنب ، والبجر : فى السرة ، وقال الاصمعى : انها تستعمل فى المعايب أيضا ، قال الهروى : عجره وبجره : أى عيوبه ، وقاله ابن أبى أويس «150» وابن حبيب ، وقال ابن السكيت : أسراره ، وقال نحوه المبرد (49) ، وبه فسر قول على رضى الله عنه قال : أى ما أسر من أمرى ، وحكى نحوه عن الاصمعى قال عنه : وهو كلام سائر ، ومن أمثال العرب : لقى فلان فلانا فأبثه عجره وبجره أى أسراره ، وقال أبو سعيد النيسابورى : انما عنت أن زوجها كثير العيوب ، متعقد النفس عن المكارم .

معناه :

قولها « لا أبث خبره ، أخاف أن لا أذره » : أى أترك حديثه ، والهاء عائدة على الخبر ، أى انه لطوله وكثرته ان بدأته لم أقدر على تمامه ، والى هذا ذهب يعقوب ، ويعضد هذا ما ورد فى بعض زيادة بعضهم : « ولا أبلغ قدره » ، وفيه تأويل آخر ذكره احمد بن عبيد بن ناصح : أن الهاء

«150» ابن ابي اويس و : ز ، ـ : م ك س .

(48) هو ابو جعفر احمد بن عبيد بن ناصح ، النحوي الكوفي الديلمي الاصل ، يعرف بأبي عصيدة ، صنف « عيون الاخبار والاشعار » و « المقصور والممدود » وغيرهما ، توفي سنة 278 هـ .

(49) هو ابو العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الازدي البصري ، المشهور بالمبرد ، امام العربية ببغداد فى زمانه ، له من التصانيف « معاني القرآن » و « الكامل » وغير ذلك ، توفي سنة 285 هـ .

عائدة على الزوج ، وكأنها خشيت فراقــه ان ذكرتــه وكرهت ذلك ، وتكون « لا » هاهنا ــ على قوله ــ زائدة ، كما قـــال تعالى (ما منعك أن لا تسجد «151») وشبهه ، فيكون «أذره» على هذا التأويل : افارقــه ، ويحتمل على رجـــوع الهـــاء الى الزوج تأويلا آخر : أى انـــى ان أخبـــرت بشىء من عيوبـــه ونقائصه افضى الى ذكر شىء آخر اقبح منه ، وقــد عاهدت صواحبها على أن لا تكتم شيئا من صفاته عنهن ، فهذه كرهت ما تعاقدت عليه معهـــن . وذهبت الى ستـــر عيـــوب زوجهـــا لكثرتها ، ولم تر أن تذكر بعضا دون بعض ، وانها ان ذكرت شيئا تسبب «152» ذكر شىء آخر ، فرأت الامساك أولى ، ويدل على هذا ما وقع فى بعض طرقه : أخاف أن لا اذره مـــن سوء . ومعنى قولها « ان أذكره أذكر عجـــره وبجـــره » فعلى مذهـــب ابن الاعـــرابى وثعلـــب والاصمـــعـــى : أى انـــى ان ذكرته ذكرت همومى وأحزانى به ، وعلى مذهب الاصمعى الاخر والهروى والنيسابورى : ان ذكرتـــه ذكـــرت معايبـــه وقبائحه ، وعلى مذهب ابن السكيت : ذكرت أسراره ، وبعضها قريب من بعض ، قال الخطابـــى : أرادت عيوبـــه الباطنـــة ، وأسراره الكامنـــة .

قـــال الفقيـــه القاضى رضى الله عنه :

وأرى ــ والله أعلم ــ أنه كان مستـــور الظاهـــر ، ردىء

«151» سورة الاعراف ، الآية 12 .

«152» تسبب : م س ، سبب : ز ، يسبب : ك .

الباطن ، فلم ترد هتك ستره ، وانها ان تكلمت بما قـد عاقدت عليه صواحبها كشفت من قبائحه ما استتر ، وابدت من سـوء حالها وعظم همها به ما – قبل – لم يظهر ، ولكنها وان لوحت وما صرحت ، واجملت وما شرحت ، فقـد بثـت وان قالـت لا أبث ، اذ لا بد للمصدور أن ينفث ، وهذا كما قال :

ولولا أن يقال صبـا نصيب لقلت بنفسى النشأ الصغار

ففى ضمن الصريح أنه لم يقل ، وفى نص الصريح أنه قد قال . ولكن هذه اكتفت بالايماء والاجمال فى الخبر عنه ، ولم تهتـك حجاب الصون عن عورات ما عرفت منه .

غريب قول الثالثة

قولها « زوجى العشنق » فالعشنق الطويل ، قاله أبو عبيد وغيره من الشارحين ، وخطأه فى ذلك عبد الملك بن حبيب ، وقال : العشنق : المقدام على ما يريد الشرس فى أموره ، بدليل بقية وصفها له ، وقال أبو سعيد النيسابورى قولا يجمع التفسيرين قال : العشنق : الطويل النحيف ، الذى ليس أمره الى امرأته ، وأمرها اليه ، فهو يحكم فيها بما يشاء ، وهى تخافه ، وقال أبو منصور الثعالبى : العشنق والعشنط : المذموم الطول ، قال غيره : ومثله القاق والقوق «153» ، وهذا يقرب من قول النيسابورى ، وقال صاحب العين : العشنق : الطويل العنق ، وقال ابن أبى أويس : العشنق : الصقر من الرجال ، المقدام الجرىء ، قال : ويقال للطويل من الرجال العشنق ، وحكى ابن الانبارى عنه أنه : الطويل الجرىء والقصير ، قال أبو بكر : فكأنه جعله من الاضداد ، والمشهور أنه الطويل .

تنبيه :

قال القاضى : الذى قرأناه فى حديث ابن أبى اويس :

«153» القاق والقوق : ز ك ، الفاق والفوق : م س وهو غلط .

الصقر ، كما ذكرناه ، ولم يذكر — فيما رأيت — احد من أهـل اللغة العشنق فى القصـار ، ولعلـه تصحيف من أبـى بكـر ، والله أعـلـم .

وقولها : « اعلق » أى يتركنى معلقة ، كمن لا زوج لهـا ، ولا هى ايم : قال الله تعالى : (فتذروها كالمعلقة) «154» ، و « السنان » الرمح و « المذلق » المحدد ، أى انها معه على مثل سنان محدد ، وذلق كل شىء حده ، ومنـه قولهم : لسـان ذلق ، أى حديد فصيح ، أرادت انها لا تجـد معـه قـرارا ، وانها معه على حذر ، كمن هو على طرف السنان ، أو أنه هـو لهوجه لا يستقر على حالة .

معـنـــاه :

وصفها له بالطول على رأى ابى عبيد : تريد مدحه بذلك ، لان العرب تمدح الرجال والسادة بطـول القامـة ، وفخامـة الظاهر ، ومنه قول الاخرى : طويل النجاد ، وقال الشاعر :

فجاءت به سبط العظام كأنمـا عمامتـه بين الرجال لـواء

وقـال آخـــر :

خدف يضيـق السرج عنه كأنما يمد ركابيه من الطول مانح

«154» سورة النساء ، الآية 129 .

وقــال غــيـــره :

بطل كأن ثيابه فى سرحــة   يحذى نعال السبت ليس بتوأم

يقول كان ثيابه من طوله على سرحــة ، أى شجـرة عظيمــة طويلة ، لكمال خلقه ، وانه ولد وحده ، غير توأم لولد آخـــر زاحمه فى الرحم فاضعفه ونقص خلقه . ومنــه قــول الشعبى : لولا انى زوحمت فى الرحم ما قامت لاحد معى قائمة ، واقتصارها من صفاته على الطول وحده : قال الاصمعى : أرادت بذلك أى ليس عنده أكثر من طوله بلا نفع ، فان ذكرت ما فيه من المعايب طلقنى ، وان سكت تركنى معلقة : لا ايمــا ، ولا ذات بعــل ، تعنى ينتفع به منفعة البعولة ، ولست مطلقة فاستريح واتفرغ لغيره من البعولة وأيأس منه ، ولا أحسن صحبتى فاغتبط به ، فأنا كالشىء المعلق بين العلو والسفل ، غير المستقر فى احدهما ، وقيل : يحتمل قولها أن يكون من علاقة الحب ، ولذلــك كانــت تكره أن تنطق لئلا يفارقها وان سكتت لقيت بعلاقتها ولم يهتبل بها ، ولا وصلها فشفى غليل صدرها ، قال أبو بكر الانبارى : أرادت أن زوجى له منظر بلا خبــر . وعلى المذهب الآخــر : فمقتضى جميع ما وصفته به سوء الخلــق والعشــرة ، وانهــا لا تأمن أذاه وضره ، وانه مع هذا مذمــوم المرأى والخلقــة ، وانها على حذر من صحبته ، غير مطمئنة النفس ، ولا مستقرة الجأش معه ، متوقعة أذاه أو فراقه ، فهى معه كمن هو على حد السنان من المخافة والحــذار «155» ، وعــدم الطمأنــيــنة

«155» والحذار : ز م ك ، والحذر : س .

والاستقرار ، والعرب تقول لمن يكون على حذار «156» وغير استقرار : كأنه على مثل سن الرمح ، ومثل حد السيف ، ومثل قرن الظبى ، قال امرؤ القيس :

كأنـــى واصحـــابى على قـــرن اعفـــرا

وقد أبان هذه العلة أبو العلاء ابن «157» سليمان بقوله :

كأننـــى فـــوق قرن الظبى من حـــذر

«156» حذار : م س ، حذر : ز ك . والحذار المحاذرة .
«157» ابن : م ك ، ـــ : ز س .

غريب قول الرابعة

« زوجى كليل تهامة » : القر : البرد ، والسآمة : الملال ، والوخامة : الثقل ، يقال رجل وخيم : أى ثقيل ، وطعام وخيم : ثقيل غير مستمرىء ، ومرعى وخيم : لا تنجع عليه الماشية .

عربيته :

يجرى فى قولها « لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سآمة » ما تقدم من الوجوه فى قول الاخرى « لا سهل ولا سمين » ، ولكن كلام هذه أجلى فى بعض الوجوه من الكسر على الصفة لتكرر الاوصاف ولكونها كلها أوصافا لشىء واحد ، وسيبويه يستقبحه اذا لم تتكرر الاوصاف ، ومن العطف على الموضع اذا نصبت أولا ورفعت آخرا لكونها جملة واحدة واشتراكهما (158) فى الخبر كما قال تعالى (لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) «159» وكما قال :

لا أم لى ان كان ذاك ولا أب

«158» واشتراكهما : س ، واشتراكها : ز .
«159» سورة البقرة ، الآية 254 .

معنـــــــاه :

وصفته بحسن صحبتها ، وجميل عشرتها ، واعتدال حاله ، وسلامة باطنه ، وثقتها به ، وضربت المثل بليل تهامة لان تهامة من بلاد الحجاز – مكة وما والاها – بلاد حارة راكدة الريح ، وبهذا سميت تهامـة . قـال الاصمعى : العـرب تقـول اذا انحدرت من ثنايا ذات عـرق فقـد اتهمـت الـى البحـر ، واذا تصوبـت مـن ثنـايـا العـرج فقـد استـقبلـت الاراك والمرخ وشجر تهامـة واتهمـت ، قـال الاصمعـى : والتـهـمـة · الارض المتصـوبـة الـى البحــر ، قـال ابن دريد : التهم : الحر ، وركود الريح ، وبه سميت تهامـة ، وأنشـد غيـــره :

نجد برد نجد بعد ما لعبت بنا تهامة فى حمائها «160» المتوقد

وقال الحسن الهمدانى : تهامة : ما استطال من جزيرة العـرب بين بحرها «161» الغربى والسراة وكانت فيه طمأنينة وحرارة .

قـال القـاضى :

فليلها لا قر فيه ، أى ليس فيه ريـاح بـاردة شديـدة ، ولا حر ، لان برد الليـل على كل حال «162» يطفيـه ويكسر سورته ، فهى معتدلة ، وبلاد الحجاز بالجملة موصوفة بطيـب

«160» حمائها : س ، حمامها : ز .
«161» بين بحرها : س ، من نجدها : ز .
«162» حال : س ، حالة : ز .

الليل والاصائل والظلال ، وقد أكثر فى ذلك شعراؤهم ومنـــه قــول بعضهــم :

ألــم تعلما أن المصلى مكانه وأن العقيق ذا انظلال وذا البرد
وان بها لــو تعلمان أصائــلا وليلا رقيقا مثل حاشية البرد

نقول : لا أذى عنده ولا مكروه ، كمثل هذه الليـــلة التى ليــس فيها حر ولا برد ولا ريح ، لان فى الريح والحــر والبــرد أذى اذا اشتد ، وتقول : لا عنده غائلة ولا شر فأخافه ، ولا يسأمنى ولا يستــثــقلنى فيمل صحبتى ، ويكــون هذا معنى قولهــا : « ولا وخامة » ، أو يرجع قولها « ولا وخامة » الى صفة ليــل تهامة ، لان بلاد تهامة واشراف بلاد الحجاز ونجــد صحيحــة الهواء ، غير وخمة ، ولا وبيئة ، وقد يكون قولها « ولا وخامة » أى انه ــ تعنى زوجها ــ ليس فيه ثقل ولا فدامة ، بــل هــو حلو الشمائل ، خفيــف على المصاحب ، مستــلان الجانــب ، وقولها فى الرواية الاخرى : « ولا يخاف خلفــه ولا أمامــه » ، قال ابن الانبارى «163» تريد أن باد تهامة لا يخاف أهله من أمامهم ولا من خلفهم ، لتحصن أهله بالجبال . ويحتمل عندى أن ترد « خلفه » و « أمامه » على زوجهــا ، أى انــه مأمــون ، لا تخشى مضرته «164» من جهة من جهاتــه ، كما قالــت : « ولا مخافة » ، أو تخبر أنه حام لذماره ، مانــع لحوزة داره وجاره ، ثم وصفته بالكرم والسخاء بقولهــا « والغيث غيــث غمامة » أى ان جوده ينهل ، ويحيى به الانام ، كغيث الغمام .

«163» الانباري : س ، الاعرابي : ز .
«164» مضرته : س ، ان تاتي مضرة : ز .

غريب قول الخامسة

« زوجي ان دخل فهـد » ، قال ابن الانبارى : أى نـام وغفل فصار كالفهد ، لكثرة نومه ، يقال : أنوم من فهد . قال أبو عبيد : تصفه بكثرة النوم والغفلـة ، على وجـه المدح لـه ، وقولها « ان خرج أسد » تمدحه بالشجاعة . أى صار كالاسد ، يقال : أسد الرجل واستأسد اذا «165» صار كذلك ، وقولهـا « عما عهد » أى رأى فى البيت وعرف ، قال ابو عبيد : لا يتفقد ما ذهب من ماله ، ولا يلتفت الى معايب البيت وما فيه ، فكأنه ساه عن ذلك ، وقوله «166» هذا يقتضى تفسيرين لـ «عهد» ، احدهما : عهد قبل ، فهو يرجع الى تفقد المال ، والثانى عهـد الآن ، فهو بمعنى الاغضاء عن المعايب والاحتمـال «167» ، وقال ابن أبى اويس : تقول ان دخل وثب على وثوب الفهـد ، وان خرج كان كالاسد على الناس «168» جـرأة واقدامـا ، فقوله «169» « وثب على » يحتمل أن تريد به البطش بهـا ، والضرب لها ، أو تريد به المبادرة الى جماعها ، وكثرة الحظ من استمتاعها ، أو سوء «170» تناوله ذلك دون ملاعبتها «171»

«165» اذا : س ، اي : ز .

«166» وقوله : س ، وقولها : ز وهو غلط لان المراد قول ابي عبيد .

«167» الاحتمال : م س ، الاختلال : ز ك .

«168» على الناس : ز ، ـــ : م ك س .

«169» « فقوله » : كذا فى النسخ ، ولعل الصواب : فقولها .

«170» او سوء : م س ، وسوء : ز ك .

«171» ملاعبتها : ز م س ، مداعبتها : ك .

وتقديم الايناس قبل الابساس بمواقعتها . قال ابن حبيب : وصفته بأنه فى اللين «172» والدعة والغفلة عندها كالفهد ، واذا «173» خرج كان كالاسد فى شجاعته ، ولم تـرد النـوم كمـا قـال شارح العراقيين ، قال : وقد ورد للنبى «174» صلى الله عليه وسلم مثل هذا فى وصف على وذم من كان بخلافه ، فروى عنه أنه صلى الله عليـه وسلم قـال : « ان الله يبغـض الـذواق المطلاق ، الذى أراه لا يأكل ما وجد ، ويسأل عما فقـد ، وهو عند أهله كالاسـد ، وكـان خارجـا كالثعلـب ، لكـن علـى لفاطمة يأكل ما وجد ، ولا يسأل عما فقد ، وهو عندها كالثعلب وخارجا كالاسد » (50) .

«172» فى اللين : ز ك ، من اللين : م س .
«173» واذا : م س ، فاذا : ز ك .
«174» للنبي : ز م ك ، عن النبي : س .

---

(50) اورد الحافظ السخاوي فى « المقاصد الحسنة » حديث : « ان الله يكـره الرجل المطلاق الذواق » برقـم 248 ، وقـال انـه لا يعرفه ، وكذلك لم يعرفه الحافظ العجلوني ، واورد السخاوي حديث : « ما احل الله شيئا ابغض اليه من الطلاق » برقم 10 ، وقال : رواه ابو داود والحاكم ، واورد حديـث : « لا احـب الذواقين من الرجال ، ولا الذواقات من النساء » برقم 1281 ، وقال : رواه الطبراني عن ابى موسى مرفوعـا ، والديلـمي والدارقطني عن ابي هريرة ، اما النـص الذي اورده القاضـي عياض وفيه « .. الذي اراه لا يأكل ما وجد ، ويسأل عما فقد ... » فغـير معـروف .
لكن وردت صفة التغافل للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقـد روى الترمذي فى الشمائل عن سيدنا علي رضي الله عنه فى صفة خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتغافل عما لا يشتهي » .
(شرح جسوس 2 : 184) .

قال القاضي أيده الله :

والاولى أن يكون ذكر « فهد » هاهنـــا «175» على معنى الاستعارة ، جعلت كثرة تغافله كالنوم والله أعلم ، لا سيما وقد وصف الفهد بالحياء وقلة الشره ، وهذه كلها خلق مدح «176» وهي راجعة الى ما أشار اليه أبو عبيد ، ومما يبيـــنه قولهـا « ولا يسأل عما عهد » ، وكثيراً ما وصفت العـرب الكرمـاء والســادة بالتغافــل والحيــاء في بيوتــهمـا وأنــديــتهـا ، قالت ليلـــى الاخيليـــة :

تخالــه وسط البيوت من الحياء سقيما

وقـــال الآخـــر :

نزر الكلام من الحياء تخاله ضمنا وليس بجسمه سقم

وقـــال آخـــر :

كريم يغض الطرف دون حيائـــه
ويدنـــو وأطراف الرماح دوائر «177»

وأما كثرة النوم فمذموم ، وقلته محمودة ، دالـــة على اليقظـــة والذكاء ، قال الهذلـــي :

فاتت به حوش الفؤاد مبطنـــا سهدا اذا ما نام ليل الهوجل

«175» هاهنا : س ، هذا : ز م ك .
«176» مدح : س ، تمدح : ز .
«177» دوائر : م س ، دوان : ز ك .

وقـــال الآخـــر :

وأفضل أبنـــاء الرجـــال المسهد

وقال عبد الملك بن مروان لمعلم بنيه : علمهم العـــوم ، وخذهم بقـــلة النـــوم .

قـــال الفقيـــه القاضى رضى الله عنه :

وقد يظهر لى فيه وجه آخر مع صحة ما ذكروه ، وبيانه : وذلك أنهم بنوا قولها « فهد » على الاشتقاق من خلق الفهد والمثل المضروب به فى النوم ، وفى الفهد أيضا مثل آخر ذكره أصحاب الامثال كما ذكروا الاول وهو قولهم : اكسب من فهد ، قال أبو عبد الله حمزة بن الحسن الاصبهانى فى شرح الامثـــال : وذلك ان الفهود الهرمة التى تعجز عن الصيد تجتمع على فهـــد فتـــى فيصيد عليها كل يوم شبعها . قلت : فلا يمتنع أن يكون قولهـــا « اذا دخل فهد » أى اذا جاء المنزل جـــاءه «178» بالكســـب والخير والفوائد ، كما يفعل الفهد فى كسبه ، ولا فرق بين هذا فى التأويل وبين الاول ، اذ كل واحـــد انمـــا اشتـــق من خلـــق الفهد ، وكانت العرب تتمادح بالكسب والاستفادة ، وفى حديث ابى بكر : انـــك تكسب المعدوم ، ومثله فى وصف ورقـــة للنبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا أحد التأويلين فى هذيـــن الحديثين . وقال المساور بن هند من أناشيد ابى تمام :

تجـــرد «179» فيها متلف المال كاسبه

«178» جاءه : س ، جاء : ز .
«179» تجرد : ز م س ، تجود : ك .

فلا يبعد هذا التأويل عندى ، وان كان الاول أظهر واليق بالكلام ، لمطابقة لفظه ومعناه قولها « واذا «180» خرج أسد » ، كما سنبينه عند الكلام على ما فيه من البلاغة وأبواب الفصاحة ان شاء الله ، كما أن أيضا قولها : « ولا يسأل عما عهد » من معنى « اذا دخل فهد » على التأويل الاول ، وفيه مطابقة ومماثلة للتأويل الثانى ؛ فحمل كل فقرة على معنى مفرد ، أولى بالكلام الفصيح وأسعد .

عربيته :

قولها « فهد » : فعل مشتق من اسم «181» الفهد لاتصافه بوصفه كما ذكرنا ، مثل قولها « أسد » فعل مشتق من الاسد أيضا كذلك ، وكثيرا ما أتت افعال «182» التخلق والتغير المشتقة من ذلك على فعل وفعل ، وقد يحتمل أن يقال ان فهد هاهنا اسم ويكون خبرا امبتدأ مضمر أى فهو فهد ، كما قال عليه السلام : « الحمو الموت (51) » ، وكما تقول : زيد الاسد ، أى مثل الاسد ، ويكون كسر الهاء هاهنا كما قالوا فخذ وفخذ ، أو لمناسبة قولها فى السجع الآخر ، وهو

«180» قولها واذا : ز ، وقولها اذا : س ، والصواب الاول .
«181» اسم : ز ، ــ : م ك س .
«182» افعال : ز ك ، ــ : م س .

(51) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الانصار : يا رسول الله افرايت الحمو ؟ قال : « الحمو الموت » . (مسند الامام احمد 4 : 149 ، 153) . ورواه الترمذي فى الرضاع والدارمي فى الاستئذان .

باب من الاتباع يتقدم لتحسين الكلام ومناسبة الالفاظ ، ومنه قوله عليه السلام : « ارجعن مأزورات غير مأجورات (52) » وحقه موزورات ، ولكنه حمله على لفـــظ « مأجورات ». لتحسين الكلام ، وللعرب فى هذا الباب مذهب معلوم ، ويعضـــد هـــذا التأويل انه قد روى ففهد وفأسد ، وقد يحتمل أن تكون هاتان اللفظتان اسما للفاعل من فهد وأسد ، فكثيرا ما جاء اسم الفاعل من فعل على هذا الباب كحرج وخجل ووجل وعم وشرق وبرق وفرق ، فى أمثلة كثيرة ، لكن حمل ذلك على فعلين وحذف الفاءين أفصح ، وتقابلهما اسهل للكلام وأسمح .

مـــعـــنـــــاه :

وصفته بأنه كريم الطبع ، نـــزه «183» الهمـــة ، حســـن العشرة ، لين الجانب فى بيته ، ليس يتفقد ما ذهب من مالـــه ، ولا يلتفت الى جانب البيت ، ولا يطلب ما فقد منه وعهد فيه من طعام أو مأكول وشبهه ، ولا يسأل عنه لسخاوة نفسه ، وسعة قلبه ، فكأنه ساه أو نائم أو غافـــل عن ذلك ، فشبهته بالفهـــد لذلك ، وهذه الخصلة من مكارم الاخلاق ، وقد قيل : العاقل : الفطن المتغافل ، وبينت ذلك بقولها : يأكل ما وجـــد ، فعرفت أنه نزيه «184» الهمة ، قنوع النفس ، ليس ببرم ولا لعموظ ، (53) ، ثم أكدت ذلك كله من أوصافه بقولها : ولا يرفـــع اليوم

«183» نزه : ز م س ، نزيه : ك ، وكلاهما سواء .

«184» نزيه : س ، نزه : ز م .

---

(52) رواه ابن ماجه فى كتاب الجنائز .

(53) رجل لعمظ ولعموظ اي حريص شهوان ، واللعموظ : المتطفل ، والنهم : الشره ، والذى يخدم بطعام بطنه . (من لسان العرب) .

لغد ، أى انه ممن لا يعد الزاد ويدخره ، بل يفنـيه من يومه ، ويجود به لحينه ، ويوسع عيشة من معه فى جميعه ، وقد كانت هذه خاق نبينا صلى الله عايه وسلم وأشراف العرب ، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن خلافها ، فروى عنه أنس : انـه كان صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد ، حدثناه القاضى «185» أبو على الحسين بن محمد الصوفى ، قال : حدثنـا الامام أبـو القاسم البلخى يعرف بابن شافور ، قال حدثنا القاضى أبو على الوخشى وغيره ، قالوا حدثنا أبـو القاسم الخـزاعى حدثنـا الهيثم بن كلاب «186» الشاشى حدثنا أبـو عيسى الترمـذى حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس وروى عنه أن خادما له خبأ له شيئا من طعامه فأتـاه بـه من الغد ، فقال له : « ألم أنهك عن هذا ؟ ان الله يأتى برزق غد » (54) ، وقد تقدم حديثه فى ذكر على ، وقد قال النابغة فى هذا المـعـنـى :

ولست بخابىء أبدا طعامى   حذار غـد ، لكل غد طعام

تـنـبـيـه :

ان قيل : كيف يصح ما تأولته من هذه الاحاديث ان خلـق

«185» القاضي : س ، قاضي القضاة : ز .
«186» كلاب : س ، كليب : م .

---

(54) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : اهديـت لرسول اللـه صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر ، فاطعم خادمه طائرا ، فلمـا كان من الغد اتته به ، فقال لها رسـول الله صلـى الله عليـه وسلم : « الم انهك ان ترفعى شيئا ؟ فان الله عـز وجـل ياتى برزق كل غد » . (مسند الامام احمد 3 : 198) .

نبينا صلى الله عليه وسلم موافقة لقولها : « ولا يسأل عما عهد » على التفسير الذى ذكرته ؟ وفى الصحيح عنـــه صلى الله عليـــه وسلم وقد أتى بادم من ادم البيت فقال : « ألـــم أر برمة فيـــها لحم ؟ » فقيل لحم تصدق به على بريرة ، فقال : « هو عليهـــا صدقة ، ولنا هدية (55) » ؟ فالجواب أن ما تأوانه ظاهر بين من الاحاديث المذكورة ، ونص بلفظه فى حديث على كما قدمناه ، أما قصة بريرة فايس من هذا ، فان السؤال عمـــا عهـــد قبـــل والاستقصاء عنه والمناقشة فى حيث «187» ذهب هو المذموم ، وأما استدعاؤه «188» الشىء الحاضر العتيد كلحم بريرة فليس من هذا ، فكيف وقد يمكن أن يكون سؤاله عـــن لحـــم بريـــرة واستدعاؤه ليبين لهم هذه السنة التى هى احدى سنن الحديث ؟، وفهم عنهم صلى الله عليه وسلـــم اذ قدمـــوا لـــه «189» ادم البيت وتركوا سيد الادام «190» اللحـــم ، وهـــو حاضـــر ، انهم حملوا اخباره بتحريم الصدقة عليهم عاما فى مثـــل هـــذا ، ودل أن هذا قصدهم احتجاجهم عليه بأنه صدقة ، فبين لهم صلى الله عليه وسلم سنته لذلك . وقد يحتمل أن يكون قولهـــا « ولا يرفع اليوم لغد » كناية عن الحزامة والاخذ بالجـــد فى أمـــره ، وترك التوانى فيما يهم به ، ووصفتـــه على التأويـــل الآخـــر

«187» حيث : س ، خبء ما : ز .
«188» استدعاؤه : س ، استدعاء : ز م .
«189» له : ز ك ، اليه : م ، ــ : س .
«190» الادام : س ، الادم : ز م .

(55) رواه البخارى ومسلم وابو داود والنسائي وابن ماجـــه والدارمي والامام احمد . وفى صحيح مسلم فى كتاب الزكاة انه لحم بقر .

بالاكتساب والاستفادة والوفر والتوسعة على أهل منزله ، ثـم وصفته أيضا بالشجاعة اذا خرج للناس وباشر الحرب فكأنـه الاسد الذى يخافه كل سبع ، وبقولها « اذا خرج اسد » ، ثـم مدحها له بقولها « اذا دخل فهد » على التأويل المشهـور ، اذ قد كان يظن أن ذلك من تغافله واغضائه وتناومه غريزة ضعف وطبيعة مهانة وفسولة ، ولكن لما أبانت أنه خارجا بخلاف هذه الصفة بان أن ذلك منه سجية كرم وشمائل نزاهة همـة وحسن عشـــرة .

وأمـا روايـة مـن رواه « اذا خـرج فـهـد واذا دخل أسد » فهو وهم بخلاف سائـر الروايات المشهورة الصحيحة ، لذلك وانقلاب المعنى الذى فسره بـه من تقـدم ، الا أنه قد يظهر لى فيه وجه ، وهو أن يكون معنى « اذا خرج فهد » تصفه فى الندى بالرزانـة والسمـت والحيـاء والحلـم والاغضاء تشبيها بالفهد ، وذلك أنه حيوان ثقيل كثير النـوم ، على أنه سريع الوثب ، موصوف بالحياء ، وقلة الشره ، أو أنها وصفته اذا خرج بالكسب والنجعة كما قدمناه فى صفة «191» الفهد ، ويكون تأويل « واذا دخل أسد » أن تكـون وصفتـه بالكرم فى بيته وبين أقاربه ، والتفضل والمواسـاة ، فالاسـد يوصف بذلك ، وقالوا فى المثل : أكرم من أسد ، وذكر أصحاب الحيوان أن الاسد اذا افترس أكل بعض فريسته وترك لمـن

«191» صفة : ز س ، صفات : م .

يجتمع حوله من الوحوش باقيها «192» ، ولم يهاوشهم «193» عليها ، ولا دافعهم عنها ، وانه قل ما يعرض لصبى ولا لامرأة ولا نائم ، كرم «194» طباع ، ونزاهة نفس ، فتقول على هذه الرواية : انه داخلا كالاسد كرم اخلاق ونزاهة نفس ، وانه خارجا كالفهد تغافلا واغضاء وسمتا وحياء وجمعا للمال وكسبا ، وهذه مادحة زوجها على رأى الجماعة ، وهو ظاهر مذهب عروة بن ازبير فى سرد الذامات بجهة ، وقد حمل ابن الانبارى بعض تفسير ابن أبى اويس على الذم وبعضه على المدح ، وهو محتمل أن يكون مدحا كله أو ذما كله أو منقسما بينهما ، فان تفسيره « فهد » بوثوبه وثوب الفهد عليها محتمل كما ذكرناه ، وتفسيره « أسد » بالجرأة على الناس والاقدام محتمل للمدح والثناء ان أرادت به الدفاع وحضره «195» الهيجاء ، ومقتض للذم ان كانت أرادت به العداء والظلم «196» وان كان من العرب من يمدح أيضا بهذا الوصف اذ هو دليل عزة الجانب وعدم الخوف .

«192» باقيها : س ، والبهائم : ز ، ــ : م ك .
«193» يهاوشهم : م س ، يهارشهم : ز ك ، والمعنى لم يقاتلهم وينازعهم .
«194» كرم : ز م س ، فى كرم : ك .
«195» وحضره : ز ، وحضرة : س .
«196» العداء والظلم : ز ، الظلم : س .

غريب قول السادسة

قولها « اذا أكل لــف » ، اللف فى الاكــل الاكثــار منه ، والتخليط من صنوفه ، واستقصاؤه حتى لا يبقى منـــه شىء «197» ، ومن روى « رف » فمعناه الاكثار من الاكل ، حكاه الهروى ، ويقال منه رف يرف ، ومن روى « اقتــف » فمعنــاه قريب من هذا ، قال صاحب العين : القفان الجماعة ، وقفان كل شىء جماعه واستقصاؤه .

قال الفقيه القاضى أدام الله عــزه :

ومن هذا سميت القفة ، لجمعها ما جعل فيها وضمه ، قال صاحب الجمهرة : القفة وعاء تجعل فيه المرأة غزلهــا وشبهــه ، ومنه ــ والله أعلم ــ سمى القفاف الذى يسرق بكفه ، لانه يجمــع ويضم ، قال الشاعر :

فــقــف بكــفــه سبعــين منــهــا

« والاشتفاف » فى الشرب استقصاء ما فى الاناء ، مأخوذ من الشفافة وهى البقية تبقى فى الاناء ، فاذا شربهــا صاحبهــا قيل اشتفها ، ومن رواه « استف » بالسين المهملة فمعناه قريب من الاول فى الاستــقــصــاء والاكثــار . وقــولــهــا « واذا

«197» شيء : س ، شيئا : ز .

اضطجع التف » تعنى رقد ناحية ولم يباشرها ، ويروى رقـد وهجع ، وهما بمعنى واحد ، وقولها « يولج الكف » : أى يدخل يده « ليعلم البث » الحزن ، أى فيعلم مـا أهتم بـه ويحزننى أمره ، وسنبين معناه بعد ، قال ثابت : والبث أيضا الامر الذى لا يصبر عليه ، والبث الشكوى ، قال الله تعالى (انما أشكو بثى وحزنى الى الله «198») وفيه لغتان : بثثت وأبثثت ، ومنـه قول بعض العربيات لقد ابثـثتك مكتومى وأطعمتـك مادومى ، أى أخبرتك بسرى ، ومن رواه « اللبث » فمعناه ان لم يكـن وهما الاقامة وانصبر عليه ، وقولها « واذا ذبح اغتث » فمعناه عندى : اذا ذبح للضيفان اختار الهزيل من نعمه ، وقد فسرنـا أن الغث الهزيـل .

معـنـاه :

هذه امرأة ذمت زوجها فوصفته أولا باللؤم والبخل والبرم والنـهـامـة والـجـرازة ، وسـوء المعـاشـرة والمرافقة ، وأنه لا يبقى فيما يأكل ويشرب ولا يذر ، ويجمـع كل ما يجده من ذلك ويحطمه ، وليس هذا من مكارم الاخلاق ، والعرب تذم بالبرم وكثرة الاكل والشرب ، وتمدح بقلتهـما ، قـال الشاعـر :

تكفيه حزة فلذ ان ألم بـها من الشواء ويروى شربه الغـمر

وقـال :

لا يأترى لما فى القدر يرقبـه ولا تراه أمام القوم يقتفـر

«198» سورة يوسف ، الآية 86 .

وقال آخر يهجو بضده :

ألستم أقل الناس عند لوائهم وأكثرهم عند الذبيحة والقدر

وفى صفة نبـــينا عليه السلام أنه كان يجتزىء بالعلقـــة (56) ، قـــال الشاعـــــر :

واجتـــزى من كفـــاف القـــوت بالعلـــق

العلقة البلغة ، وقد قيل : لكل كريم فضله ، وقيـــل :

وللارض من كـــأس الكـــرام نصيـــب

ويروى عن جرير بن عبد الله أنه قال لبنيه : يا بنى اذا شربتم فأسئـــروا ، أى اتركـــوا فى الانـــاء سـؤرا ، وهـــو بقيـــة الشراب . وفى حديث آخر : فانه أجمل . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لا خير فى طعام ولا شراب ليس له سؤر » ، وفى المثل : ليس الرى عن «199» التشاف ، ثم أكدت وصفه باللؤم بأنه اذا نزل الاضياف به «200» واضطر للذبح «201» لهم عدل عن خيار ماله وسمينه الى هزيله ورديئه ومـــا لا خير فيه . وهو قولها : « اذا ذبح اغتث » ، وهذه «202» نهاية فى

«199» عن : م ك ، فى : س .
«200» الاضياف به : س ، به الاضياف : ز م .
«201» للذبح : س ، الى الذبح : ز م .
«202» وهذه : س ، وهذا : ز م .

---

(56) روى البخارى ومسلم واحمد عن عائشة رضى الله عنها حديث الافك ، وفيه قولها : وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يثقلـــن ، ولم يغشهن اللحم ، وانما يأكلن العلقة من الطعام .

اللؤم ، وكانت عادة أجواد العرب ضد هذا من اختيار جياد المال للاضياف كما قال بعضهم :

فاعضضته الطولى سناما ، وخيرها بلاء وخير الخير ما يتخير

وقال آخر أيضا :

تشقى به كل مرباع مودعة عرفاء يشتو عليها تامك«203»سنم

وقال آخر أيضا :

اذا القوم أموا بيته فهو عامد لأحسن ما ظنوا به فهو فاعله

وقال آخر يصف ناقة ذبحها «204» للضيفان :

فصادف السيف منها ساقمتلية جلس فصادف منه ساقها عطبا
زيافة بنت زياف مذكرة لما نعوها لراعى سرحنا انتحبا

ثم وصفته بعد بقلة الاشتغال بها ، والتعطيل لها ، وأنه اذا نام التف فى ثيابه ولم يضاجعها ، ولا أدناها من نفسه ، وأنه لا همة له فى المباضعة ، التى هى من ممادح الرجال ، فان العرب كانت تتمادح بالقوة على الجماع ، لانها دليل صحة الذكورية ، وتذم بضده كما قالت الاخرى « عياياء » ، واختلف المتأولون فى معنى قولها « ولا يولج الكف ليعلم البث » ، فذهب أبو عبيد الى أنه كان بجسدها عيب أو داء يكرثها ويحزنها ، فكان لا يدخل يده فى ثوبها ليلمس ذلك العيب ، فيشق عليها ،

«203» تامك : ز ك ، تانك : م وهو غلط ، والتامك : السنام .
«204» ذبحها : س ، عقرها : ز م ك .

فان هذه خصلة مدحته بها ، ورد القتبى والخطابى وابن حبيب وابن الاعرابى وغيرهم عليه هذا القول ، وقالوا انما شكت هذه الخصلة من زوجها ، وذمته بذلك ، واستقصرت حظها منه ، وانه لا يضاجعها ، ولا يدنو منها ، وينام ناحية عنها ، كما قالت : « واذا رقد التف » ، ولا يدنيها من نفسه ويدخل يده اليها ويباشرها ويلمسها فيكون منه اليها ما يكون من الرجال لازواجهم ، فيعلم بثها بذلك ، ومحبتها له ، وحزنها لعدم ذلك منه لها ، وقلة تفقده لحاجته منها ، قالوا : وليس وجه الحديث ما ذهب اليه أبو عبيد من أنها مدحته بالغفلة عن داء كان بجسدها ، لانها قد ذمته فى صدر كلامها ، كما قال ابن الانبارى ، ولا حجة على ابى عبيد فى هذا ، لان النسوة كن تعاقدن على أن لا يكتمن شيئا من أخبار أزواجهن ، فمنهن من وصنت زوجها بالخير فى جميع أموره ، ومنهن بضد ذلك ، ومنهن من وصفت ما فيه من الخير وما فيه من الشر .

قال الفقيه القاضى وفقه الله :

ويؤيد ما ذهب اليه القتبى واصحابه من معنى الذم ما أشار اليه عروة بن الزبير فى بعض طرق هذا الحديث فانه قال فى خمس سردهن «205» على التوالى فى حديثه ، هذه منهن ، فقال : هؤلاء خمس «206» يشكون ، حدثناه أبو بكر محمد ابن عبد الله الفقيه من لفظه ، قال : حدثنا أبو الحسن ابن

«205» سردهن : ز ك ، شرحهن : م س .
«206» خمس : ز ، خمسة : س .

أيوب ، حدثنا أبو على بن شاذان ، حدثنا أبو عمرو ابن السماك ، حدثنا حنبل بن اسحاق ، حدثنا موسى بن اسماعيل أبو سلمة المنقرى ، حدثنا سعيد بن سلمة ، عن هشام ، عن عروة ، عن أخيه ، عن أبيه عروة . وأيضا فان ما ذهبوا اليه هو الاظهر والمستعمل فى الكلام والمستحسن فى الكناية ، ومثله فى حديث عبد الله بن عمرو أن أباه زوجه امرأة قرشية ، فشغل عنها بالعبادة ، فدخل عليها عمرو بن العاصى فقال لها كيف وجدته ؟ قالت : كخير الرجال من رجل ، لم يفتش لنا كنفاً ، فهذه الكناية بمعنى تلك ، ومثله فى حديث عائشة ووصفت رجلا بالعفة فقالت : ما كشف عن «207» كنف أنثى قط ، أى انه لم يكن ممن يشتغل بالنساء ، ولا له فيهن مذهب ، فعبرت عن ذلك بكشف الكنف ، وهو الثوب الذى يكنفها أى يسترها ، ومنه قوله : فى كنف الله وحفظه ، أى ستره ، حدثنا بحديث عبدِ الله ابن عمرو : أبو الحسين «208» سراج بن عبد الملك «209» الحافظ بقراءتى عليه قال : حدثنى ابى ومحمد بن محسن الفقيه ، قالا حدثنا القاضى يونس بن عبد الله ، قال : حدثنا أبو الفضل الصقلى ، أخبرنا ثابت بن قاسم عن أبيه قاسم بن ثابت وجده ثابت ، قالا : حدثنا موسى بن هرون ، حدثنا موسى بن الصباح ، اخبرنا هشيم ، عن حصين ومغيرة ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو بالقصة ، ومثل قول هذه المرأة قول اخرى

«207» عن : س ، من : ز م .
«208» ابو الحسين : س ، ابن الحسين : ز وهو تصحيف .
«209» عبد الملك : ز ك ، عبد الله : س .

لزوجها تعيره : ان شربك الاشتفاف ، وان ضجعتك الانجعاف ، وان شملتك الالتفاف ، وأنشد القتبى لاوس بن حجر فى هذا :

وهبت الشمال البليـل واذ بات كميع الفتاة ملتفعا

أى ملتفـا ناحيـة .

قـال القاضى أيده الله :

وقد يحتمل عندى قول هذه المرأة « ان شملتك الالتفاف » ، وقول صاحبة أم زرع « واذا رقد التف » معنى غير هذا ، وهو أن يريدا ضعف أزواجهما ، وعجزهما ، وقلة نفعهما وحمايتهما ، لانـه لا ينـام هـذه النومـة الا العاجـز القليـل الغنـاء ، ولهذا ذموا النـؤوم ومدحوا ضـده ، كمـا تقـدم ، ولهـذا سـمـوا الـرجـل الضـعـيـف العـاجـز الـقـلـيـل الغناء : زميلا وزملا وزمالا ، وقال بعضهم : أصله من التزمل ، أى انـه اذا نـام تـزمـل فى ثـوبـه ، وتـلـفـع فى دثـاره ، ولـم يـهـتـم «210» بـحـراسـة شأنه ، ولا حماية ذماره ، ولهذا قالت له هذه المرأة «211» من صواحب أم زرع «212» فى آخر كلامها وذمها : « وانك لتنـام ليلة تخاف «213» ، وقالت التاسعـة من صواحـب أم زرع تمدح بضده : « لا ينام ليلة يخاف » ، وقال الشاعر :

فلا تصلى بكل فتى نـؤوم اذا أمسى يعد من العيـال

«210» يهتم : س ، يعن : ز .
«211» المراة : م ك ، ـــ : ز س .
«212» من صواحب ام زرع : س ، ـــ : ز م ك .
«213» تخاف : ز م س ، يخاف : ك .

وقيل ان معنى قولها « لا يولج الكف » أى انه لا يتفقد أمورى ، وما يهمنى من مصالحى ، وهو كقولهم : ما أدخل يده فى الامر ، أى لم يشتغل به ولم يتفقده ، فضربت المثل بذلك ، قاله أحمد بن عبيد بن ناصح ، ونحوه عن ابن أبى اويس .

تفسير قول السابعة

قولها « عياياء » وفى الرواية الاخرى « أو غيايــاء » هو شك من الراوى ، قال أبو عبيد : هكذا يروى بالشك .

تـــنـــبـــيـــه :

قـــال القاضى أيـــده الله :

الاكثر روايته بغير شك ، وانما رواه بالشـــك أصحـــاب عيسى بن يونس عنه وعقبة بن خالد السكونى ، وبين هشـــام بن عمار فى حديثه هذا عن عيسى أن الشاك فيه عيسى ، وسائر الرواة يقولونه بالعين المهملة دون شك .

غـــريـــبـــه :

قال أبو عبيد : الصحيح « عياياء » بالعين المهملة ، فأمـــا بالمعجمة فليس بشىء ، والعياياء من الابـــل : الذى لا يضرب النوق ، وكذلك فى الرجال ، كأنه عيى عن ذلك ، قال الهـــروى : العياياء العيى الذى تعييه مباضعة النســـاء ، وأراه مبالغـــة من العى فى ذلك ، قال الشـــاعر :

مغتلـــم الوجـــه عيايـــا سائـــره

وقال ابن أبى أويس : « عياياء طباقاء » عيى مطبق عيا ، لا يتصرف ولا يتوجه لوجه ، قال ابن السكيت : العياياء العيى الذى لا يهتدى لوجه .

تنبيه :

قال القاضى وفقه الله :

وقول ابى عبيد ان الغياياء بالغين المعجمة ليس بشىء ، ولم يفسره ، وتابعه على ذلك سائر الشارحين ، فقد ظهر لى فيه معنى صحيح ان شاء الله فى اللغة ، بين فى التأويل ، وهو أن يكون مأخوذا من الغياية وهى كل ما أظل الانسان فوق رأسه من سحاب وغيره ونحو ذلك ، ومنه سميت الراية غاية ، فكأنه غطى عليه من جهله ، وسترت عنه مصالحه ، وهو كقولهم : طباقاء ، قال ابن الاعرابى : الطباقاء هو المطبق عليه حمقا ، قال ابن دريد : هو الذى تنطبق عليه أموره فلا يهتدى لوجهها ، قال الاصمعى : هو الذى أموره منطبقة عليه ، ونحوه عن يعقوب ، وقال أبو عبيد : هو العيى الاحمق الفدم ، وكل هذا قريب بعضه من بعض ، فلا فرق اذا بين قولها « غياياء » بالغين و « طباقاء » «214» ، فلا يصح اذا قول من قال : ان الغين ليس بشىء ، وقد يمكن أن يكون أيضا مأخوذا من الغى ، وهو الانهماك فى الشر ، أو من الغى وهى «215» الخيبة ، قال الله تعالى (فسوف يلقون غيا «216») قيل خيبة ، وقيل غير

«214» وطباقاء : ز س ، وعيايا : ك .
«215» وهي : س ، وهو : ز .
«216» سورة مريم ، الآية 59 .

هذا ، كأنه خائب من كل فضيلة ، وقال ابن ولاد (57) : فــلان طباقاء اذا لم يكن صاحب غزو ولا سفر ، وقال الخليل (58) : الطباقاء : الاحمق ، والطباقاء البعير الذى لا يضرب ، وقال أبو عبيد عن الاصمعى : العياياء الطباقاء من الرجــال والابــل : الذى لا يضرب ، وحكى ابو على عن بعضهــم : الطباقــاء من الرجال الثقيل الصدر الذى يطبق صدره على صدر المرأة عنــد المباضعة ، وهو من مذام الرجال عند النســاء ، ويروى أن أم جندب قالت لامرىء القيس وكان مفركا للنســاء : انك ثقيــل الصدر ، خفيف العجزة ، سريع الاراقة ، بطىء الافاقة .

تــنــبــيـــــه :

ان قيل يرد هذا التفسير الذى ذكرته ما تقدم من تفسير عياياء انه العى عن المباضعة فكيف يوصف مرة بالعى عنها «217» ومرة بثقل الصدرة «218» فيها ؟ قيل : هذا لا يلــزم اذ قــد يكون عياياء «219» فى حين ، طباقاء فى حين ، وقــد يمكن أن

«217» عنها : م ك ، ـــ : ز س .
«218» الصدرة : كذا فى « لسان العــرب » ، والصدرة من الانسان ما اشرف من اعلى صدره ، وهي فى النسخ : « الصدر » .
«219» عياياء : س ، عييا : ز م ك .

(57) هو ابو العباس احمد بن محمد بن الوليد ولاد ، النحوى التميمى المصرى ، له كتب منهــا « المقصور والممــدود » و « الانتــصار لسيبويه من المبرد » ، توفى سنة 332 هـ .
(58) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عبد الرحمن ، الفراهيدى الازدى ، نحوى لغوى عروضى ، بل هو واضع علم العروض ، صنف كتاب « العين » المشهور فى اللغة ، على الراجح ، اذ من اللغويين من نسب كتاب « العين » لغيره ، ولــه كتب اخرى ، توفى سنة 175 هـ .

يكون اطباقه صدره من سبب العى والعجز لمعالجته «220» ما لا يقدر عليه ، ومعاناة ما قد أعياه ، وقولها « كل داء له داء » أى كل ما تفرق فى الناس من الادواء والمعايب اجتمع فيه ، وقولها « شجك أو فلك ، أو بجك » ، أى جرحك ، قال الهروى : الشج فى الرأس خاصة ، والفل فى سائر الجسد ، وقال ابن دريد : بج القرحة اذا شقها ، وكل شق بج ، قال الراجز :

بج المزاد موكرا موفورا .

وقال الزبيدى «221» : البج الطعن ، قال ابن الانبارى : يقال : فلك كسرك ويقال ذهب بمالك ، ونحوه عن ابن أبى اويس ، ويقال كسرك بخصومته وعذله .

عربيته :

قولها « حماقاء طباقاء » من ابنية المبالغة ، وكذلك قولها عياياء وغياياء ، وهى من الكلمات التى على وزن فعالاء من الابنية التى الحقت فيها الالف ، ومثالها فى الاسماء ثلاثاء وعجاساء وبراكاء .

معناه :

وصفته بالحمق ، والتناهى فى جميع النقائص والعيوب ،

«220» لمعالجته : س ، لمعالجة : ز ك .
«221» الزبيدي : ز ك ، الزهري : س .

وسوء العشرة مع الاهل ، وعجزه عن حاجتها ، مع ضربها وأذاه اياها ، وانه اذا حدثته سبها ، واذا مازحته شجها ، واذا غضب اماشجها فى رأسها أو كسر عضوا من أعضائها ، وهو معنى « فلك » ، ومنه قيل للمنهزمين « فل » ، أو شق جلدها أو طعنها ، وهو معنى « بجك » ، أو جمع ذلك كله لها ، من الضرب والجرح وكسر الاعضاء ، أو الكسر بالخصومة ، وموجع الكلام ، وأخذ مالها .

غريب قول الثامنة

قولها « زوجى المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب » ، الزرنب ضرب من الطيب معروف عند العرب قال الشاعر :

يا بابى أنت وفوك الاشنب كأنما ذر عليه الزرنب
أو زنجبيل فهو عمرى «222» أطيب

واختلف أصحاب النبات من القدماء والمتأخرين فى صفته ، فقال بعضهم : هى شجرة عظيمة بجبل لبنان بالشام ، لا تثمر ، لها ورق طويل بين الخضرة والصفرة ، يشبه ورق الخلاف ، ورائحته كرائحة الأترج ، وتستعمل ورقه وقضبانه ، وقال أكثرهم انها حشيشة دقيقة طيبة الرائحة ، وقال بعضهم : تشبه ورق الطرفاء صفراء كرائحة الأترج من الافواه الطيبة ، ولهذا استعملها العطارون ، وتخلط بالطيب لعطريتها ، وتسمى أرجل الجراد لشبهها بها ، وليست من نبات أرض العرب وان «223» ذكروها .

«222» عمري : زم ، عمر : ك ، عندي : س .
«223» وان : س ، وان كانوا : ز ك .

معنـــــاه :

هذه تصف زوجها بلين الجانب للاهل ، وحسن الخلق والعشرة معهن «224» ، كمس الارنب لليانة مجسها ، ولدونة وبرها ، أما تشبيهها اياه بريح الزرنب ففيه تأويلات : احدها أنها أرادت بذلك طيب ثنائه فى «225» الناس وانتشاره ، والثانى أنها أرادت طيب جسده وعطر أردانه ، والثالث أنها أرادت لين عريكته ، وحسن خلقه ، فيكون بمعنى الفصل الاول . ثم وصفته بالشجاعة والحزامة وأكدت ما تقدم من وصفه بلين الجانب مع الاهل بقولها : « وأغلبه والناس يغلب » ، وهذا مثل ما وقع فى الحديث ان الاعشى الحرمازى المازنى أنشد النبى صلى الله عليه وسلم أرجوزة يشكو فيها امرأته ، قال فى آخرها .

وهن شر غالب لمن غلب

فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل بذلك ويقول وهن شر غالب لمن غلب (59) ، ومنه قول معاوية : يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام .

«224» معهن : ز ك ، لهن : س .
«225» فى : ز ك ، من : م س .

---

(59) اخرجه الامام احمد فى مسنده ، فى ضمن مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن الاعشى الحرمازى عبد الله بن الاعور (6 : 201 — 202) .

غريب قول التاسعة

« رفيع العماد » أصله عماد البيـت ، وهى العيـدان التى تعمد بها البيوت ، وجمعه عمد وعمد ، وأعمدة ، وقولها « طويل النجاد » النجاد : حمائل السيف ، والنادى : مجتمـع رجـال الحى ومجلس مشورتهم وحديثهم ، ويقال ندى ومنتدى ، قال الله تعالى (فى ناديكـم المنكـر «226») وقـال (واحسـن نـديـا «227») .

معـنـاه :

قولها « رفيع العماد » وصفته بالشرف فى نسبه ، والسؤدد فى قومه ، واستعارت لرفعة بيت حسبه المعنوية رفعة العمـاد من بيت المسكن المرئية ، كما قال :

فامـا بيـتكم ان عـد بيـت   فطال السمـك واتسع الفنـاء
وامـا اسـه فعلـى قديـم   من العادى ان ذكـر البنـاء

وقد قيل فى قول السموءل بن عادياء :

لنـا جبل يحتلـه من نجيره   منيف يرد الطرف وهو كليـل

«226» سورة العنكبوت ، الآية 29 .
«227» سورة مريم ، الآية 73 .

رسا اصله تحت الثرى ، وسما به

الى النجـم فرع لا ينـال طويل

انما عنى به شرفهم وحسبهم ، وقيـل : أراد حصنـه الفـرد الابلق ، وقد قيل ان معنى قولها « رفيع العماد » على ظاهره ، وانما أرادت عماد البيـت نفسـه ، اذ هـى عـادة بيـوت الاشـراف وأهـل السـؤدد ، وقـال ابـن ابـى أويـس : أرادت أنه رفيع البيت ، طويـل من الرجـال ، وقـد روى : « طويل العماد » ، فيكون طوله امـا لطول ساكنـه وامتـداد قامته ، كما أشار اليه ابن أبى اويس ، أو لكرمه واظهار بيـته ليراه الوارد ، ويهتدي برفعة سمكه لـه القاصـد «228» ، أو لجلالة مكانه ، وسعة ثرائه ، وحاجته الى اعلاء سمائه «229» ، وتوسعة أرجائه ، ليحـمد لكثـرة «230» خيـره ، وجمـاع غاشيته ، ومنتابى بره ، الا ترى قول أم زرع « بيتها فساح » ، وعلى هذا حمل من قال هذا قول الخنساء :

طويل النجاد ، رفيع العمـا د ، ساد عشيرته امـردا

وعليه حمل ثعلب قول الاعشى :

طويل النجاد ، رفيع العما د ، يحمى المضاف ، ويعطى الفقير

وقد وصف أبو الطيب خيمة سيف الدولة فقال :

وتركـز فيهـا القنـا الـذبـل

«228» برفعة سمكه له القاصد : س ، بارتفاع سمكه القاصد له : ز .
«229» سمائه : س ، بنائه : ز .
«230» لكثرة : ز ، كثير : س .

وذموا بضد هذا ، فقال بعضهم :

اذا دخلوا بيوتهم أكبوا على الركبات من قصر العماد

وقال آخر :

قصار البيوت لا ترى صهواتها من اللؤم جثامون عند الثرائد

وقد يكون تريد بالعماد البيت ، ومعنى رفعته اشرافه لموضع مرتفع ، ليقصده الاضياف ، ثم وصفته بالكمال فى صورته ، وامتداد «231» القامة فى بنيته ، وعرضت لذلك بقولها :

« طويل النجاد » فان الطويل القامة يحتاج الى تطويل نجاده ، وهذا مما تمدح «232» به الشعراء ، وتذم بضده ، قال عقيل بن علفة «233» المدنى «234» :

طويل نجاد السيف وهم كأنما
تصول «235» اذا استنجدته بقبيل

وقال أبو خراش :

طويل نجاد السيف ليس بحيدر

اذا اهتز واسترخت عليه الحمائل

وقال مروان بن أبى حفصة :

قصرت حمائله عليه فقلصت

«231» وامتداد : ز ك ، وامتدادة : م س .

«232» تمدح : س ، تتمادح : ز ، تمادح : ك .

«233» علفة : ك س ، علبة : ز وهو تصحيف .

«234» المدني : ك ، ـ : ز س .

«235» تصول : س ، تطول : ك .

ولقد تأنق قينها «236» فأطالهـــا

وقيل معنى قولها « رفيع العماد » أى طويل ، قال المبرد : يقال رجل طويل العماد اذا كان معمدا «237» طويلا ، ومنه حديث يزيد بن أبى سفيان عند موته : قد علمت ــ يعنى قريشا ــ أنا أصبحهم وجوها ، وأطولهم عمودا ، وأسعدهم جدودا ، فعلــى هذا يكون « طويل النجاد » تأكيدا لما تقدم ، وفى ضمنه أنــه صاحب سلاح وشكة (60) ، فلهذا اقتصرت من دلائــل طولــه على طول نجاده ، دون غير ذلك من ملابسه ، ثم وصفته بالكرم فى سجيته ، والجود بذات يده وكنت عن ذلك بقولها « عظيــم الرماد » ، وذلك ان من كثر ضيفانه ، ونحره لهــم واشتــواؤه وطبخه اطعمتهم كثرت ناره ، وكثر رماده ، فهذا تأويل حسن ، وقد أكثرت فى هذا الشعراء فقال بعض العـــرب وهو زيـــاد بن حمل من أناشيد ابى تمـــام :

كم فيهم من فتى حــلو شمائله   جم الرماد اذا ما أخمد البرم

وفيه تأويل آخر ذهب اليه الخطابى : ان تكون نـــاره لا تطفـــأ ليلا ولا نهارا ، ليهتدى اليه «238» الضيفان ، كما قال الشاعر :

متى تأته تعشو الى ضوء ناره   تجد خير نار عندها خير موقد

«236» قينها فأطالها : ز م ك ، قيلها فطالها : س وهو تصحيف .
«237» معمدا : ز م ك ، معمرا : س وهو تصحيف .
«238» اليه : م س ، له : ز ك .

(60) الشكة (بكسر الشين وفتح الكاف المشددة) : هى الســـلاح ، وقيل : الشكة ما يلبس من السلاح .

وكانت عادة أجواد العرب وقود النيران فى ظلم الليل ، على مشارف الارض لينتابها الضيفان ، وربما رفعت على الايدى منها الاقباس ؛ قال الشاعر :

ومستنبح بات الصدى يستتيهه
فتاه ، وجوز «239» الليل مضطرب الكسر

رفعت له نارا ثقوبا ضرامها   تليح الى السارى هلم الى القدر

وقال الآخر :

ومستنبح قال الصدى مثل قوله   حضأت له نارا لها حطب جزل
وقمت اليه مسرعا فغنمته   مخافة قومى أن يفوزوا به قبل

حضأت وحضوت النار اذا حركت جمرها ، وقال الآخر :

وانى لادعو الضيف بالضوء بعدما
كسى الارض نضاح الجليد وجامده

ثم أكدت ذلك بقولها « قريب البيت من الناد » ، تريد بذلك أنه ينزل بين ظهرانى الناس ، ومجتمع الحى ، ومقصد الوارد وطالب الضيافة ، لتكثر أضيافه ، ولا يتوارى بأطراف الحلل وأغوار المنازل ويبعد عن سمت الوارد ، فرارا من القاصد ، وملاذا من الطارق ، لئلا يهتدوا الى مكانه ويستبعدوا موضعه ، فيصدفون عنه ، ويميلون الى غيره ، قال زهير :

يسط البيوت لان يكون مظنة   من حيث توضع جفنة المسترفد

«239» وجوز : ك ، وجور : م س . والجوز وسط الشىء ومعظمه .

أى يتوسط البيوت ليكون معلما لضيافة طالب الرفد . وقـــال ابن هــرمـــــة :

أغشى الطريق بقبتى ورواقها　　　واحل فى نشز الربـــا فاقيــم

وقــــال طـــرفـــة :

ولست بمحلال التلاع لبيـــته　　　ولكن متى يسترفد القوم ارفد

وقـــــال آخـــــر :

له نـــار تشب على يفـــــاع «240»

اذا النيـــران ألبســـت القنـــاعـــا

أى سترت بوقودها فى الغيطان وتلاع الاودية ، وقنعت بذلك عن أن تظهر ، وفى قولها أيضا « قريب البيت من النـــادى » معنى آخر دلت به على شرفه وزعامته ، وذلك أن الاندية انما يجتمع فيها لقرب «241» أبيات السادة ومنازل الزعماء ، الذين يؤتى اليهم ويجتمع بهم . وقولها : « لا يشبع ليلة يضاف ، ولا ينـــام ليلة يخاف » ، وصفته بكرم النفـــس وشبعهـــا ، ونزاهتـــهـــا وايثارها ، وقلة همه بالاكل وشرهه له ، وانه اذا أضيف واحتفل فى اكرامه ، وأكثر من اطعامه ، لم يكن همه شبع بطنه ، واكتفى بأيسره ، واقتصر على ما يقيم صلبه ، ويرد قوته منه ، ولـــم يظهر الحرص على مال غيره وطعامه ، والجشع للاكثار من أكله

«240» يفاع : م ك ، بقاع : ز ، يقاع : س وهما تصحيف ، واليفـــاع : ما ارتفع من الارض .

«241» لقرب : ز ، بقرب : س .

واغتنامه ، بل اخذ منه ما يسد جوعته ، وتجـافى عن الاكثـار منه ، وخاف معرته ، كما قال حاتم :

لقـد كنت اختار القرى طاوى الحشـا
محـافظـة من أن يـقـال لئـيـم

وكمـا قـال دريـد :

تراه خميص البطن والزاد حاضر
كثيـر ويغـدو فى القميـص المقـدد

وكما قـال الآخـر :

أقسم بطنـى فى بطـون كثيـرة
واحسو قراح «242» الماء والماء بارد

وقـال حـاتـم :

اكف يدى عن أن ينال التماسها　　أكف صحابى حين حاجتنا معا
أبيت هضيم الكشح مضطمر الحشا
من الجوع أخشى الـذم أن أتضلعـا
وانى لاستحيى رفيـقى أن يـرى
مكان يدى من جانب الزاد افرعا «243»
وانـك مهما تعـط بطنـك سؤلـه
وفرجك نـالا منتهى الـذم أجمعـا

وقال طرفة يمدح نفسه ، ويهجو غيره بضده :

ويشرب حتى يغمر المحض قلبه　　وان أعطه أترك لقلبى مجثما

«242» قراح : ز ك ، قداح : م ، اقداد : س وهو غلط .
«243» افرعا : م ، اقرعا : ز ك ، افرغا : س .

وقال عروة بن الورد يذم «244» :

يعد الغنى من دهره كل ليلـــة أصاب قراها من صديق ميسر

وهذه كانت وصايا العقلاء ، وخلق الانبياء والحكماء ، وأشراف العرب ، فقد حدثنا أبو الحسن على بن مشـــرف الانماطى مـــن كتابه ، قال : حدثنا أبو اسحاق ابراهيم بن سعيد ، حدثنـــا أبو محمد ابن النحاس ، حدثنا حمزة بن محمد الحافـــظ ، حدثنـــا احمد بن شعيب ، حدثنا محمد بن سلمة ، حدثنـــا ابن وهـــب ، أخبرنى معاوية بن صالح ، قال سمعت يحيى بن جابـــر يحدث عن المقدام بن معدى كرب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما وعاء شر من بطن » ، وفى غير هذه الرواية : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن ، حسب المسلم اكلات ــ وفى غير هذه الرواية : لقيمات ــ يقمن صلبـــه ، فان كان لا محالـــة فثلـــث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » (61) ، ويـــروى عـــن بعض الحكماء مثله ، وقال : ودع الثلث للتفكر ، اشارة لقولهم : البطنة تذهب الفطنة . ويروى عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : لا تأكل شبعا فوق شبع ، فانك ان تقذفه للكلب خير لك من أن تأكله ، ونحوه قول الطرماح أنشده القتبى :

«244» عروة بن الورد يذم : ز ، عروة بن الورد : م ك ، غيره : س .

---

(61) عن المقدام بن معدى كرب الكندى قـــال : سمعـــت رســـول اللـــه صلى الله عليه وسلم يقول : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن ، حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه » . (مسند الامام احمد 4 : 132) والاكلة (بضم الهمزة) اللقمة . ورواه أيضـــا الترمذى فى ابواب الزهد ، باب، ما جاء فى كراهية كثرة الاكل .

يمسى ويصبح جوفه من قوته	وبـــه لمختلف الامور مجـــار
ويبـــيت جلهم يكـــت كأنـــه	وطب يكـــون انـــاه بالاسحار

وقـــال حميـــد الارقـــط :

أتانا فلم يعدله سحبان وائل	بيـــانا وعلما بالذى هو قائـــل
فما زال عنه اللقـــم حتى كأنه	من العى لمـــا ان تكلم باقـــل

وقد يحتمل أن يكون معنى « يضاف » أى ينزل بـــه الضيفان ، يقال ضفت الرجل اذا نزلت به ، وأضفته أملتـــه الى ضيافتى ، تقول : فهـــو لا يشبع لايثارهم بما عنده وتقديمهم على نفسه ، قال الله تعالى (ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) «245» ، وكما قـــال :

طويل نجاد السيف يصبح بطنه	خميصا وحاديه على الزاد حامد

وقد جمع هذه المعانى بعض شعراء العرب فقال :

وزاد وضعـــت الكـــف فيـــه تأنـــسا
ومـــا بى لولا انســـة الضيف من أكـــل
وزاد رفعـــت الكـــف عنـــه تكـــرمـــا
اذا ابتـــدر القـــوم القليـــل من البقـــل
وزاد أكلنـــاه ولم ننـــتظر بـــه غـــدا
الا ان بخـــل المرء من أســـوأ الفعـــل

«245» سورة الحشر ، الآية 9 .

كذا أنشده وفسره صاحب الحماسة ، وقد يصـــح أن يكـــون : الثقل ، قال الحربى : الثقل طعام القرى ، وأنشد :

ما ذاق ثقـــلا بعد عام أول

ثم وصفته بالحذر والحزم وحماية الذمار احيان الخوف ، وأوقات الذعر ، وانه ممن لا يكل الامر الى غيره وينـــام ، بـــل يباشره بنفسه ، ويلقاه بحشاشته ، كما قـــال :

غير زميـــل ولا نكس وكل

غريب قول العاشرة

المزهر : العود الذى يضرب به ويغنى فيه ، والمسارح : المراعى البعيدة ، يقال سرحت الابل فسرحت اللازم والمتعدى واحد ، قال الله تعالى : (حين تريحون ، وحين تسرحون) «246» ، والمبارح : نحو منه ، وهى حيث تبرح ، والمهالك : جمع مهلكة .

عربيته :

قولها « مالك وما مالك » ، ما هاهنا استفهام فيه معنى التعظيم والتهويل والتعجب ، وهذا كله من معانى « ما » كما قيل :

لامر ما تدرعت الدروع

وحقيقة الكلام ما مالك ؟ وما هو ؟ أى أى شىء هو ؟ ما أعظمه وأجله وأكرمه ! ، ومثله قوله تعالى « الحاقة ، ما الحاقة «247» » ، و (القارعة ، ما القارعة

«246» سورة النحل ، الآية 6 .
«247» سورة الحاقة ، الآية 1 — 2 .

«248») أى الحاقـه أو القارعـة أى شىء هى ؟ ما أعظمهـا وأهولهـا ! وكذلك قولـه (مـا أصحـاب اليمـين «249») و (ما أصحاب الشمال «250») وشبهه ، أى ما أعجب أمرهم وأهوله واعظمه فى النعيم أو العذاب ! ولكن تكرير الاسم أدخل من الكناية فى باب التهويل والتعظيم ، كما أن اللفـظ المبهـم واستعماله هنا أعم وافخم من التصريح والتفصيـل ، ومنـه قول الشاعـــــر :

ياسيدا مـا أنت من سيد موطأ الاكناف رحب الذراع

واعراب قولها : أن « مالكا » مبتدأ أول ، و « ما » فى موضع رفع بالابتداء أيضا ، و « مالك » الثانى خبره ، والثالث مبتـدأ ثالث ، وما بعده خبره وعليه تعرب الآيات المتقدمـة ، الا أن الجملة الثانية فيها فى موضع خبر للمبتدأ الاول ، وجـاز ذلـك وليس فى الجملة ما يعود على المبتدأ الاول لان المعنى ما هم ؟ أى أى شىء هم ؟ فـ « هم » يعود على المبتدأ ، فهـو كلام محمول على معنى « ما » ، لا على لفظه ، وقولها « مالك خير من ذلك » زيادة فى الاعظام ، وتفسير لبعض الابهام ، وانـه خير مما أشير اليه من ثناء وطيب ذكر ، أو فوق ما اعتقده فيه من سؤدد وفخر ، وان قدره يربى على كل قدر ، وكنت بذلك اذ كان كالحاضر من قولها أو عقدهـا ، ويحتمـل أن تعنـى بـ

«248» سورة القارعة ، الآية 1 — 2 .
«249» سورة الواقعة ، الآية 27 .
«250» سورة الواقعة ، الآية 41 .

« خير من ذلك » أى المثنى عليه قبل ، وانه أجمع منه لخصال السيادة والفضل .

معـــنـــــاه :

هذه وصفت زوجها بالكرم ، وكثرة الضيافة ، والاستعداد للضيفان ، والمبالغة فى برهم واكرامهم ، ومعنى قولها « قليلات المسارح ، كثيرات المبارك » ، أى انه لاستعداده للضيفان ، بلحومها والبانها وكرم خلقه ، لا يوجههن نهارا الا قليلا ، ولكنهن يبركن بفنائه ، فان فاجأه ضيف وجدها حاضرة ، فيقريه من لحمها ولبنها ، ولم يجدها غائبة عنه فيتباطأ فيما يكرمه به مدة طلبها ، كما قال بعض بنى ضبة :

ومختبط قد جاء اوذى «251» قرابة
فما اعتذرت ابلى عليه ولا نفسى
حبسنا ولم نسرح لكى لا يلومنا
على حكمه صبرا معودة الحبس
فطاف كما طاف المصدق وسطها
يخير منها فى البوازل «252» والسدس

وقال آخر :

واموالنا وقف على مبتغى القرى   رواهن للمستنبحين وللجمم

وقال آخر :

«251» او ذي : ز م س ، او ذو : ك .
«252» البوازل : زم س ، البواقل : ك .

ونولفها «253» فى السنين الفناء   اذا لم يجد مكسبا كاسب

أى ثابتة مقيمة للمعتفين ، ومثله قول أم زرع فى وصف مالـــه « على الجمم محبوس » ، وسيأتى تفسيره ، وهذا قول أبـــى عبيد والاكثر ، وقال بعضهم : ان كانت لا تسرح الا قليلا من النهار فهى هالكة هزالا ، وان كان سرحهن بالليل فقـد ضـاع أضياف الليل ، والمعنى انها قليلة المسارح لقلة الابل ، وكثيرة المبارك لكثرة ما تثار فتحلب ثم تبرك ، فلكثرة مـا يفعل هـذا بها تكثر مباركها ، وقال يعقوب بن السكيت : أى مباركها على الحقوق والعطايا والحمالات والاضياف كثيرة ، ومراعيها قليلة ، أى انها تكثر اذا بركـت «254» لمن ينـتـابها «255» مـن الضيفان وطلاب «256» الرفد ، وأنشد يعقوب عليه من قول عـروة بن الورد :

يريح على الليل قربان ماجد   كريم ، وما لى سارحا مال مقتر

قال : يقـول اذا راحـت بالعشـى راح فيهـا الاضيـاف ، واذا سرحت بالنهار رئيت قليلة لانه لا أحد فيها منهم ، ونحوه لابن الانبارى ، وقال اسماعيل بن أبى اويس عن أبيه : معناه أن ابله كثيرة فى حال بروكها ، قليلة اذا سرحت لكثرة ما ينحر منها للاضياف فى مباركها ، وهذا نحو قول بعض العرب :

«253» ونولفها : س ، ونوليها : ز .
«254» بركت : ز ك ، تركت : م س .
«255» لمن ينتابها : ز ك ، بمن شابها : م س .
«256» طلاب : ز ك ، طلب : م س .

الى جذم مال قد نهكنا سوامه وأعراضنا فيه بواق صحائح

لنا حمد أرباب المئين ، ولا يرى
الى بيتنا مال مع «257» الليل رائح

ويكون على رواية من روى « عظيمات » من هذا المعنى ، عبر عن الكثرة بالعظم ، وقد يكون معنى « عظيمات المبارك » كناية عن سمنهن وعظم جثثهن ، فعبر بعظم مباركهن عن ذلك ، وقد يكون معنى « قليلات المسارح » عبارة عن قلة الامكنة التى ترعى فيها من الارض ، وأنها لا تبعد فى المرعى فتكثر مسارحها ، واكن رعيها أبدا بقرب المنزل وحول الفناء ، وبحيث لا يبعد طلبها متى احتيج الى نحرها ، ويزول اعتراض المعترض بهزالها لقلة رعيها ، فقد يكون فى قرب منازل أربابها ما يغنيها لخصبه وكثرة كلئه ، ومعنى قولها « اذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك » أى انه مما كثرت عادته بانزال الضيفان واطعامهم وسقيهم وضرب المعازف عليهم ونحره الابل ، لذلك صارت الابل اذا سمعت المعازف عرفت بجرى عادتها أنها تنحر ، هذا معنى قول ابى عبيد وغيره ، ويؤيد هذا التأويل قولها فى الطريق الآخر « اذا سمعن صوت الضيف » ، وقيل : المراد أنها اذا سمعت المزاهر أيقنت بالهلاك ، لما اعتاده من نحرها اذا سمع الغناء وانتشى وهبت فيه الاريحية ، وهذا لا تعتاده الابل وتفهمه الا مع التكرار والاستمرار ، وقد يحتمل أن يكون هذا استعارة لكثرة النحر ،

«257» مع : زك ، من : م س .

وترادف الحفاوة والبر ، وان كانت لم ترد فهم الابل لهلاكها ، ولكن لما كان ذلك منه يوافق اهلاكها ، ويوقن من يعقـل بـه ، اضيف ذلك اليها ، اذ هو واقع بها على ضرب من الاستعارة ، وهذا النحو كله من فصيح الكلام وبديع البيـان ، وهو نـوع يسميه أهل النقد والبلاغة : الارداف والتتبيع ، وهو أبلـغ فى الوصف ، كما سنذكره بعد ، ومنه فى معنى مـا نحن فيه ومثاله قـول الشاعـر :

ومستـنبح تهوى مساقط رأسـه
الى كل شخـص وهو للسمـع أصـور

حبيـب الى كلب الكريم منـاخه
بغيـض الى الكومـاء والكلب أبصـر

وذلك أن الكلب ينعم فيما يلـغ فيه مما ينحـر لـه ، ويأكل من سقاطتها وعظامهـا ، فمتى رأى ضيفـا أحب نزولـه لذلـك ، والكوم تبغضه لانها تشقى بنزوله بالنحر والعقر ، فعبـر عن النعمة والشقاء بالحب والبغض ، وعبـر عن جـود الموصوف ونحره للاضياف بما هو من توابعـه وأردافـه ، فان بغـض الكوماء له تبع لنحرها بسببه ، ومحبة الكلب له ردف لتنعمـه معه ، وكل ذلك تبع لاكرام ربها للضيفان ، وكناية عن جوده ، فكان هذا التشبيب أبلغ من قولها : اذا ضـرب المزهر تحـزن «258» ، أو : اذا نزل به ضيف نحرن ، ومثل هذا مـا أنشده

«258» تحزن او : ز ، نحرن اى : م ك ، نحره و : س .

الحربى «259» لايـــاس بن سلمة الاسلمى يمدح النبـــى صلى الله عليه وسلم :

وابيك خيـــرا ان ابـــل محمد   عزل تنـــاوح ان تهب شمال
واذا رأين لدى الفنـــاء غريبة   فاضت لهن على الخدود سجال
فترى لهـــا زمـــن القتـــال على الثرى
رخما وما تحيى «260» لهـــن فصـــال

قوله « عزل » أى غير ممتـــنعة ، كالاعـــزل الذى لا سلاح معه فيمنعه ، ويقول اذا هبت الشمال وجاء الشتاء والقحط تنـــاوح بعضها الى بعض لعادتها بالذبح حينـــئذ «261» ، واذا رأت غريبا طرق بكت لعلمها أنها تذبح له ، وليـــس يحيى لهـــا فصال لكثرة ذبح أمهاتهـــا ، واذا كان زمـــن الخصب وطلب النـــاس الدخول اذ لا يطلبونهـــا ولا يقـــدرون على ذلك زمـــن «262» القحط والشدائد لشغلهم بأنفسهم لذلك كانت لهذه الابـــل البان كثيرة تسيل على الارض حتى كأنها رخم لبياضها

تـــنـــبـــيـــــه :

قال أبو سعيد النيسابورى : لم تكن تعرف العرب العـــود الا من خالط الحضر منهم ، والذى نذهب اليه أنه المزهر ، وهو الذى يزهر النار للاضياف الطراق فاذا سمعـــت صـــوت ذلـــك ومعمعان النار أيقنت بالعقر .

«259» الحربى : س ، البحترى : ز .
«260» تحيي : م س ، يحيى : ز ك .
«261» حينئذ : ز ، ــ : ك س .
«262» زمن : س ، من : ز .

قــال القاضى رضى الله عنــه :

ولا نعرف احدا رواه « المزهر » كما قاله النيسابورى ، وان كان يصح ، لان زهور السراج والنار تلالؤ سناها ، والذى رواه الناس كلهم « المزهــر » وهو الصواب ، لا مــا قالــه ان شاء الله . وقولــه « ان العــرب كانــت لا تــعــرف العــود الا من خالط الحضر منهم » فمن أخبره أن مالكا المذكور لــم يخالط الحضر ؟ ، وقد ذكرنــا فى بعض طرق هــذا الحديث ان قرية من قرى اليمن وذكر أنه اجتمع بها احدى عشرة امرأة ، والقرى هى الحواضر والمدن . قال الله تعــالى « رجــل مــن القريتين عظيم «263» » وفى الطريق الآخر أنهن من قريش ، وأنهن من أهل مكة كما قدمناه ، مع أن اشعار العرب جاهليهــا واسلاميها ، بدويها ، وحضريها ، قــد ذكرت فيهــا المزاهــر وأشباهها ، قال الاعشى :

جالس حوله الندامى فمــا ينــ ــفك يؤتى بمزهــر مندوف

كذا أنشده «264» أبو عبيد وغيره ، وهى احالة من الروايــة وغلط ، والشعر : « يؤتى بموكد محذوف » ، يعنى الزق وبعده :

وصدوح اذا يهيجهــا الشــر ب تــزقت فى مزهــر مندوف

وقــال أيضــا :

اذا قلت غمى «265» الشرب قامت بمزهر

يكــاد اذا دارت بــه الــكــف ينطــق

«263» سورة الزخرف ، الآية 31 .
«264» انشده : س ، اسنده : ز .
«265» غمى : م س ، غنى : ز ك .

وقـــــال :

ومسمعتان وصناجـة «266» تقلـب بالكـف أوتـارهـا

وبـربطنـا معمـل دائــم فقد كـاد يغلـب اسكارهـا

وشاهدنـا الورد والياسميـ ـن والمسمعـات بقصابهـا

ومزهرنـا معـمـل دائـب فأي الثلاثة ازرى «267» بها

ترى الصنج يبكى له شجوة «268»

مخافـة أن سـوف يـدعى بهـا

وقـــال :

ومستجيب لصوت الصنج يسمعه اذا ترجع فيه القينة الفضل

ولكثرة ذكره لهذا سمى الاعشى صناجة العرب ، وقال الأقيشر :

وبربط يجاوبه صنج اذا ما ترنما

وقـال امرؤ القيـس :

وان أمس مكروبا فيارب قينة منـعمـة أعملتـهـا بكـران

لها مزهر يعلو الخميس بصوته أجش اذا مـا حركته يـدان

والكـران والمـزهـر همـا عـودا الـغـنـاء ، وكـذلـك البربط ، والصنج آلة له رومية ، وقال علقمة بن علاثة :

قد أشهد الشرب فيهم مزهر رنم

وقال برج بن مسهر الطائى :

وفينـا مسمعـات عند شـرب

وقـال ابـن الطثريـة :

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم ازق عنا واصطفاق المزاهر

«266» وصناجة : س ، بصناجة : ز .
«267» ازرى : ز ، ازوا : م ، ازوى : ك ، اذو : س .
«268» شجوة : س ، نجوة : ز ، شجره : ك .

وقد يكون فيه وجه ثالث يقطع اعتراض ابى سعيد وغيره ويكون أشبه بالحال ، وهو أن يراد بالمزهر الدف المربع بوجهين ، وهكذا وقع تفسير المزهر لجماعة من قدماء الفقهاء والعلماء ، وقاله أصبغ بن الفرج (62) وابن حبيب فى واضحته ، فان صح أن هذا الاسم عربى غير مولد ، فعلى هذا لا ينكر ضرب الاعراب لها ، وعادتهم اطراب الضيفان بها وقد روى بيت الاعشى المتقدم بمزهر مجدوف أى مقطوع قد قطعت أكارع «269» جلده ، هكذا فسروه ، وهذا ينبىء أنه الدف الذى وصفناه ، وصحيح الرواية ما قدمناه ، ورأيت صاحب « لحن العامة » قال : ويقولون لبعض الدففة مزهر ، وانما المزهر العود الذى يضرب به ، فدل قوله أنه ليس بعربى .

ومعنى قولها فى الرواية الاخرى « كثيرة المسالك ، قليلة المبارك » ، فان لم يكن وهما من الرواية فمعناه أنها كثيرة فى حال سرحها ورعيها ، قليلة فى مباركها لكثرة ما نحر منها ، أو انها «270» كثيرة مسالك سبل الخير «271» والمعروف ، أى يوجهها ويسلك بها كل مسلك من

«269» اكارع : ز م ك ، اصارع : س .
«270» او انها : م ك ، وانها : ز س .
«271» الخير : م س ، البر : ز ك .

---

(62) هو ابو عبد الله اصبغ بن الفرج بن سعيد . دخل المدينة يوم توفى مالك ، وصحب ابن القاسم وابن وهب واشهب ، له كتاب « الاصول » و « تفسير غريب الموطأ » ، وتوفى بمصر سنة 225 هـ .

المعروف ، من رفد ومعونة وحمل وضيافة وحمالة دين ودية وصلح ونحو ذلك ، كما قال بعض بنى العنبر :

فلم أر مثل الابل مالا لمقتن   ولا مثل أيام الحقوق لها سبلا

ومنه حديث على رضى الله عنه وقد سأل ابا الفرزدق غالب بن صعصعة عن اباه فقال : يا أمير المومنين ذعذعتها «272» النوائب ، وفرقتها الحقوق ، فقال على عليه السلام : ذلك أفضل سبلها ، وكان غالب قبل ذا ابل كثيرة ، ويكون قولها فى هذه الرواية «273» : (كثيرة المسالك «274» ، قليلة المبارك) ، كناية عن قلة بقائها فى ملكه ، وبروكها بفنائه ، اكثرة خروجها عن يده ، والله أعلم . ويكون معنى قولها على الرواية الاخرى : « كثيرة المسارح ، قليلة المبارح » ، ان لم يكن وهما أى انها فى ذاتها كثيرة فهى كثيرة المسارح لذلك وهى مع ذلك قليلة المبارح ، أى لا تبرح وتبعد عن قرب منزله لما قدمناه ، والموفق الله .

وقولها فى رواية ابن الانبارى « وهو امام القوم فى المهالك » ، فيه تأويلات : قيل أرادت بالمهالك الحروب ، تصفه بالشجاعة ، وانه لثقته بشجاعته يتقدم ولا يتخلف ، كما قال الشاعر :

«272» ذعذعتها : س ، ضعضعتها : ز ، ولعل الصواب الاول ، والذعذعة : التفريق .

«273» فى هذه الرواية : ز ك ، فى الرواية الاخرى : م س .

«274» كثيرة المسالك : م س ، — : ز ك .

وكتيبة سفع الوجوه بواسل كالاسد حين تذب عن أشبالها
قد قدت «275» أول عنفوان رعيلها
فلففتها بكتيبة امثالها

وقال الآخر :

يغدو امامهم فى كل مربأة طلاع أنجدة فى كشحه هضم

وقيل بل أرادت أنه هاد فى السبل الخفية عليهم بالطرق ، والبيداء : الدوية ، والمهالك : المهامى والمفاوز ، وسميت مهالك لاهلاكها لسلاكها ، وفى تسميتها مفازة ثلاثة وجوه ، قيل هى «276» بمعنى الهلاك أى مهاكة ، يقال فوز الرجل اذا هلك كما قال :

اذا ما ثوى كعب وفوز جرول «277»

وقيل سميت مفازة على طريق التفاؤل ، ليفوز سالكها ، كما قالوا للديغ سليم ، وقيل بل سميت مفازة لان من قطعها وجاوزها فاز من الهلاك ، فوصفت هذه زوجها على هذا التأويل بمعرفته بالهداية فى المفاوز والقفار ، فهو يتقدم القوم لذلك ، قال علقمة :

وقد اقود امام القوم «278» سلهبة
يهدى بها نسب فى الحى معلوم

وقال آخر :

ولقد هديت القوم فى ديمومة فيها الدليل يعض بالخمس

«275» قدت : ز ك ، قدن : م س .
«276» هى : س ، هو : ز م ك .
«277» جرول : ز ك ، جدول : س .
«278» القوم : س ، الحى : ز .

تفسير قول الحادية عشرة

عـــربيــــتـــــــه :

قوله : « قالت الحادية عشرة » على صحيح الرواية فى هذا الحديث ومعروفها هو المشهور الجارى على منهاج كلام العرب ، باثبات العلامتين فى « الحادية » وفى « عشرة » ، ولك اسكان شين عشرة وكسرها (63) على اللغتـــين ، ولا تكـــون الحادية عشرة الى تاسعة عشرة الا مفتوحة الاول والآخر ، لان الحادية مع عشرة كالكلمة الواحدة ، كحضرموت وبعلبك ، كما فعلـــوا باحدى عشرة سواء ، وكذلك لو لم تدخـــل على الحادية الالـــف واللام لم تكن الا مفتوحة عند سيبويه ، وأما يعقوب فحكى هنا جواز الرفع والخفض الى تسعة عشر «279» ، على تقديـــر حادية احدى عشرة ، ولم يجزه مع الالف واللام ، وكذلك لـــو

«279» تسعة عشر : س ، تســع عشرة : ز ، تسعـــة عشـــرة : ك وهو غلط .

---

(63) يجوز اسكان شين « عشرة » ويجوز كسرها اذا كانت مركبة غير مفردة ، كما هنا « قالت الحادية عشرة » ، والاسكان لاهـــل الحجاز والكسر لاهل نجد .

كانت لمذكر عند سيبويه لم يكن فيها الا الفتح ، وحكى الفارسى انه يجوز اسكان الياء فى حادى عشر وثانى عشـــر ، وان كان موضعه نصبا فى الاعراب ، كما قالوا قالى قلى «280» ، وهذا كله على مذهب قولهم هذا خامس وهذه خامسة ، واما من يقول خامسة خمس فيقول قالت الحادية احـــدى عشرة ، والحاديـــة هاهنا معربة غير مبنية ، وقال بعضهم على هـــذا حادية عشرة «281» احدى عشرة ، قال سيبويه وهو القياس ولكنه حذف استخفافا ، لان فيه لفظ احد عشر فدل على مـــا حذف منـــه ، ووقع لبعض شيوخنا فى رواية هذا الحديث : « قالت الحادى عشرة » ولبعضهم « الحادية عشر » وهذا كله خطأ لا مخرج له الا على بعد وتكلف وجـــه .

غـــريـــبـــــــه :

قولها « أناس من حلى اذنى » أى حرك اذنـــى بالحلى من القرطة والشنوف ، والنوس حركة كل شىء متدل وسائل ، قال يعقوب : أناس أثقل حتى ناسا أى تدليا واضطربا ، وهذا نحو الاول ، قال ابن الكلبى : سمى ذا نواس أحـــد مـــلوك اليمـــن لضفيرتين كانتا له تنوسان على عاتقه ، ومنه حديث ابن عمـــر أنه دخل على حفصة (64) ونوساتها تنطف ، ومنه الحديث أنه

«280» كما قالوا قالى قلى : م س ، . قلا : ك ، ـــ : ز

«281» على هذا حادية عشرة : س ، على الحادية عشرة : ز .

---

(64) هى أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب ، صحابية جليلة ، تزوجها رسول الله صلى الله عليـــه وسلم بعد وفـــاة زوجهـــا الصحابى خنيس بن حذافة السهمى ، توفيت سنة 45 هـ .

كان للعباس (65) ضفيرتان تنوسان على ترائبه ، والحلى جمع ، ويقال بكسر الحاء ، وقرىء فى الكتاب العزيــز بهمـا جميعا ، والحلى واحد وهو كل ما تحلى به من ذهب وفضـة وجوهـر وشبهه ، وقولها « بجحنى فبجحت » أى فرحنـى ففـرحت ، قـال الراعـى :

وما الفقر من أرض العشيرة ساقنا اليك ، ولكنا بقرباك نبجح

أى نفرح . هذا قول ابى عبيد ، وقـال ابـن الانبـارى : معناه عظمنى ، ويؤيده قولها : فبجحت الى نفسى ، أى عظمت عندى ، وتأول «282» البيت المتقدم : أى بقرابتنا منك نفخر ونتعظم «283» ، وقال يعقوب : بجحت فخرت ، وقال ابن ابى اويس : معناه وسع على وترفنى ، وقولها « وفرعى » فى رواية من زاده : فيحتمل أن تريد بالفرعين اليدين ، لانهما كالفرعين من الجسد ، تعنى أنه حلى اذنيها ومعصميها ، وقد يحتمل أنها أرادت بالفرعين العنق مع اليدين ، وأقامت اليديـن مقام فـرع واحد لكونهما جنسا ، وأصل الفـرع كل ما ارتفـع ، فالرأس واليدان من فروع الجسد ، فاذا حليا فقد حلى فرعاه ، ويحتمل

«282» وتأول : ز ، وتأويل : س .
«283» نتعظم : ز م ك ، نتعاظم : س .

---

(65) هو ابو الفضل العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هاجر قبل فتح مكة بقليل ، واستسقى به سيدنا عمر رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . توفى بالمدينة سنة 32 هـ .

أن تريد « بفرعى » غديرتيها «284» وقرنى رأسها ، والعرب تسميها فروعا ، قال امرؤ القيس :

وفرع يغشى المتن اسود فاحم

وأضافت النوس اليه كما اضافتـــه الى الاذنين لكونـــه فيهما ، ولقربه من قرون رأسها ، ولان ما يرخى مع القرون من نواصى الحلى تنوس ايضا ، وقد جرت عادة المترفات بتنظيم غدائـــر شعورهن ، وتحلية نواصيهن وقرونهن ، فلعل هذه فعلت مثـــل ذلك من فعاهن ، ومن رواه « فرعـــى » فيحتمل فـــرع «285» الشعر أو الرأس ، قال ابن ابى اويس : حلـــى رأسى فلذلـــك يتدلى من كثرته وثقـــله .

عـــربـــيـــتـــــه :

وقع فى بعض الروايات « اذنيـــه ، وعضديه ، وفرعيـــه واليه » بزيادة الهاء ، وهذه هـــاء السكت الملحقـــة فى الوقـــف وانقطاع الصوت ، وبعضهم يسميها هـــاء الاستراحة ، وهى تلحق الاسماء والافعال والحروف لثلاث علل : لصحـــة الحركة التى فى آخر الكلمة قبلها وتبيينها ، كقولك : غلاميه ، وماليه ، ولم يغـــزه ، ولم يتسنـــه عند بعضهم ، وانه بمعنى نعـــم ، وانيه «286» ، ولعله ، واشباه هذا ، أو لتمام الكلام المنقوص واستقلاله بها ، كقولك : عيه ؟ ولمه ؟ وقه ، ولا تشه ، والوجه

«284» غديرتيها : ز ، غديرتها : س .
«285» فـــرع : ز م ك ، فروع : س .
«286» وانيه : ك ، واينه : ز ، وابنه : س .

الثالث : للحاجة عند مد الصوت قبلها فى آخر الكلمة ، وذلك فى النداء والندبة ، وقد الحقوها فى الاسماء غير المتمكنة (66) اذا كان قبلها ألف لضعف الالف ، نحو : هاهناه وهاؤلاه ، ولم يفعلوا ذلك فى المتمكنة وبعد الكنايات ، فقالوا : ضربتكه ، وضربيه «287» ، وأبيه ، وغلاميه «288» ، ففرعى واذنى من هذا الباب ، وذلك لخفاء الياء وان ما قبلها ساكن فكانت عندهم اولى ببيان حركتها من غيرها فبينت بالهاء .

معناه :

وصفته بأنه أحسن اليها ، وحلاها ، ورفه عيشها ، وسمنها ، وأراها المسرة فى أحوالها ، ومعنى قولها « ملأ من شحم عضدى » قال أبو عبيد : لم ترد العضد وحده ، وانما أرادت الجسد كله ، لان العضد اذا سمنت سمن سائر الجسد ، ووجه اختصاصها للعضد بذلك ــ والله أعلم ــ لأنه أقرب ما يلى بصر الانسان من جسده ، وأول ما يظهر له فيه سمنه ، وفى حديث ابى هريرة : فجعلت أنظر فى عطفى هل سمنت ؟ .

وغريب قولها « وجدنى فى أهل غنيمة » هى تصغير غنم ، وقولها « بشق » والمحدثون يقولون بشق ، قال أبو عبيد :

«287» وضربيه : م س ، وضربته : ز ك .

«288» وغلاميه : س ، وعلايه وعلامايه وعلاميه : ز ، وعلامياه وغلاميه : ك .

---

(66) الاسم المتمكن هو المعرب ، وغير المتمكن هو المبنى . وينقسم المعرب الى متمكن امكن وهو المنصرف ، والى متمكن غير أمكن وهو غير المنصرف .

بالفتح هو موضـــع ، قال الهروى : وهو الصواب ، قال ابـــن الانبارى : همـــا بالفتح والكسر موضع ، قال ابن أبى اويـــس وابن حبيب : تعنى بشق جبل لقلتهم ، قال ابن ابى اويـــس : وقلة غنمهم .

قال الفقيه القاضى أبو الفضل رضى الله عنه :

كأنه يريد انهم «289» لقلتهم وقلة غنيمتهم حملهم سكنى شق الجبل أى ناحيته أو بعضه ، لان الشق يقـــع على الناحية من الشىء ويقع على بعضه ، والشق أيضا النصف ، فيكون على هذا وعلى ما جاءت به الرواية صحيحا ، وقد يكون هذا التفسير على رواية شق بالفتح ، وهو أليـــق بقولها «290» لقلتهـــم أى شق فى الجبل كالغار ونحوه ، وله وجه آخر ذهب اليه نفطويه ، ورأيته للقتبى ، هو بالحديث أولى وأصح لغة ومعنى : أن الشق بالكسر الشظف من العيش والجهد منه ، قال ابن دريد يقال : هو بشق وشظف من العيش أى بجهد منه ، وعليه تـــأول قول الله تعالى (الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس) «291» . وقولها « فى أهل صهيل واطيط ودائس ومنـــق » ، فالصهيـــل أصوات الخيل ، وعلى رواية « جامل وصاهـــل » أى جمـــال وخيل ، أو اصحاب جمال وخيل .

عـــربـــيـــتـــــه :

قولها « وجامل » فالجامل جمع جمل ، وهو اسم للجمـــع غير مكسر ، عليه الواحد ، قال النابغة :

«289» انهم : ز ك ، انه : م س .
«290» بقولهـــا : م ك ، لقولهـــا : س .
«291» سورة النحل ، الآيـــة 7

أجادل يومـــا فى شوى «292» وجامل

يريد فى شاء وجمال ، ومثاله من « فاعــل » الذى يــراد بــه الجمع قولهم باقر وطائر وسامر ودائر «293» ودابر «294» وكابر ، ولذلك قالوا كابــرا عن كابــر ، وقـــال على «295» : رؤوس كرؤوس الطائــر ، وقال الله تعالــى (مستكبرين بــه سامرا تهجرون «296») ، وقــد يكـــون « جامل وصاهــل » أسمـــاء فاعلـــين للرجـــال المـــالكـــين للجـــمـــال والخـــيـــل الصاهلة والطعام المداس ، كما قـــال :

فانــك لابن بالضيــف تــامــر

وقـــــال :

كايــنى لهــم يــا أميـمــة ناصــب

أى ذى نصب ، وذو تمر ولبن ، فيكون تقديره : فنقلنى من أهل جمال وخيل أو ذوى جمال وخيــل ، وقولهــا « وأطــيــط » : قال أبو عبيد : الاطيط أصوات الابــل ، قال يعقوب : الاطيــط الابل (67) وهو زفيرها من البطنـــة . ومن أمثالهم : لا أفعــل ذلك ما أطت الابــل .

«292» شوى : ز م ، شواء : س ، شواى : ك .
«293» ودائر : ز ، ــ : م ك س
«294» ودابر : م ك ، ــ : ز س .
«295» وقال على : س ، وقال . . على : ز
«296» سورة المؤمنون ، الآية 67 .

---

(67) « الابل » : كذا بالاصول ، ولعلها : صوت الابل .

قـــال الفقيه القاضي رضي الله عنه :

وأصل الاطيط صوت أعواد المحامل والرحال ، ويشبه «297» أن تريد بالاطيط هذا ، تريد أنهم أصحاب محامل ورفاهة ، لان المحامل لا يركبهـا الا أصحاب السعـة والرفاهية «298» ، وكانت قديما من مراكب العرب ، ثـم ان الحجاج حسنها وزاد فيها ، فلهذا نسب اليه عملها ، (فلهذا قيـل :

أول عبد صنع المحاملا أخزاه ربى عاجلا وآجلا) «299»

وبهذا السبب غلط انقتبى أبا عبيد وهو الغالط لما ذكرناه ، وفى الحديث فى ذكر سعة باب الجنة : « ليأتين عليه زمان وله أطيط ــ يعنى صوتـا ــ بالزحـام (68) » ، وفى حديـث غيـره : « وله أطيط كأطيط الرحل » ، قـال الهروى : الاطيط نقيـض صوت المحامل ، وفى الجمهرة : الاطيط صوت الرحل الجديـد والنسع اذا سمعت له صريرا ، وكل صوت يشبـه ذلك فهـو أطيط ، وقال ثعلب : الأطيط نقيض جلود الابل عنـد الكظـة ، و « الدائـس » قال أبو عبيـد : تأولـه بعضهم من ديـاس الطعام ، وهو دراسه ، وأهل العراق يقولون : الدياس ، وأهل الشام : الدراس ، قال ولا أظنها واحدة من هـاتين الكلمتين ،

«297» ويشبه : س ، والاشبه : ز .
«298» والرفاهية : ز س ، والرفاهة : م ك ، وكلاهما بمعنى واحد .
«299» فلهذا قيل .. وآجلا : ز ، ــ : م ك س

(68) هذا الحديث من مسند عتبة بن غزوان رضى الله عنه ، ونصه فى مسند الامام احمد (4 : 174) : « والله لقد ذكر لنا أن ما بين مصارع الجنة مسيرة اربعين عاما ، وليـأتين عليه يوم كظيـظ الزحام » . والكظيظ هو المكتظ ، أى الممتلىء ، الكثيف الزحام .

فان كان كما قيل فأرادت أنهم أصحاب زرع ، قال الهروى : درس الطعام وداسه واحد ، وحكى عن بعضهم الدائس الاندر ، قال يعقوب : الدائس الذى يدوس الطعام ، وقال بعضهم : الدائس الطعام الذى أهله فى دياسه ، وعندهم من الطعام غيره ، فخيرهم متصل وقولها « منق » فالمحدثون يقولونه بالكسر ، قال أبو عبيد : ولا أدرى ما معناه ، قال : واحسبه « منق » بالفتح ، فأرادت به من ينقى الطعام ، وحكى الهروى عن بعضهم المنقى الغربال ، وقال اسماعيل بن أبى اويس : المنق بالكسر نفيق اصوات المواشى والانعام ، تصف كثرة ماله ، وقال أبو سعيد النيسابورى : هو مأخوذ من نقنقة الدجاج ، يقال أنق الرجل اذا كان له دجاج تنقنق ، أى انهم أهل طير أيضا ، وقال أبو مروان ابن سراج : ويجوز أن يكون منق بالاسكان ان كان روى ، أى وانعام ذات نقى أى سمان .

معناه :

وصفته انه نقلها من شظف عيش أهلها وتبلغهم بغنيمتهم ، (ـ أو تبلغها هى بغنيمتها ـ على مقتضى الروايتين ـ) «300» الى أهل الثروة ، والاموال الواسعة ، من الخيل والابل والرحال والزرع والبقر ، والدواب الدائسة الكثيرة «301» والعبيد والخول ، والآلات المنقية للاطعمة ، المصلحة لها ، والماشية

«300» ما بين القوسين زيادة من نسخة : ز ، ـ : م ك س .
«301» الكثيرة : ز ، ـــ : م ك س .

الكثيرة ، والطير المتنعم بأكلها ، وذلك أن اصحاب الغنم أهـل شظف أو كفاف وعدم ثروة ، ومن دعاء العرب : ان كنت كاذبـا فحلبت قاعدا ، أى صار مالك غنما يحلبهـا القاعد ، وبضد هذا أهل الخيل والابل ، وقد قال عليه السلام : « الفخر والخيلاء فى أهل الخيل والابل الفدادين أهل الوبـر ، والسكيـنة فى أهـل الغنم » (69) ، فأخبرت هذه بانتقالها من تلك الحالة الى هذه ، ورغد عيشها بالبان هذه المواشى ولحومهـا ، وغيـر ذلك من الاطعمة ، لا سيما باشارتها بمـا «302» يـداس وينقى الى الخبز ، وكان أرفع أغذيـة العرب وأعـز أطعمتها ، اذ لا يجده منهم الا الكثير الثروة ومن قـارب الاريـاف والحواضـر ، والا فأكثر أطعمتهم انما كانت اللحوم والالبان والتمر ، وعليه تدل أشعارهم . ومن غرابة أكل الخبز وعزته عندهم مـا سمى عبد الله بن حبيب العنبرى « آكل الخبز » لاقتصاره عليـه ، ورغبته عن غيره ، ولهذا قال كسرى ابرويز لهوذة بن على (70) وقد أعجبه كلامه : ما غذاؤك فى بلادك ؟ قال : الخبز ، فقـال

«302» بما : س ، مما : ز .

---

(69) رواه الامام احمد والبخارى ومسلم والترمـذى ، والفدادون : جمع فداد ، وهو مالك المئين من الابل .

(70) هو هوذة بن على بن ثمامة بن عمـرو ، الحنفـى ، صاحـب اليمامة ، وشاعر بنى حنيفة وخطيبها قبيل الاسلام وفى العهـد النبوى ، دخل على كسرى فأعجب به كسرى ، كتب اليه النبى صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام وارسل اليه سليط بن عمرو ، فاجاب بأنه ان جعل الامر له من بعده أسلم وسار اليه ونصره ، والا قصد حربه ، فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « لا ، ولا كرامة ، اللهم اكفنيه » ، فمات بعد قليل .

كسرى : هذا عقل الخبز لا عقل اللبن والتمر ، ومن غرابة حديث أبى (71) هريرة «303» قوله : وكنت أسمع أن من أكل الخبز سمن ، فجعلنا نأكل وننظر هل سمنا ، اذ وجدوا خبزة بخيبر «304» الحديث .

وغريب قولها :

« فعنده اقول فلا أقبح » ، أى يقبح قولى على ويرده ، وقولها « أتقمح » قال أبو عبيد : أى أروى حتى لا أحب الشرب ، مأخوذ من الناقة المقامح ، وهى التى ترد الحوض فلا تشرب وترفع رأسها ريا ، ومن رواه « فأتقنح » بالنون فان أبا عبيد قال لا أعرفه ولا أرى المحفوظ الا بالميم .

قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :

وحكى أبو على القالى فى كتابيه «البارع» « والامالى » : يقال قنحت الابل تقنح ، بفتح النون فى الماضى والمستقبل ، قنحا باسكان النون ، وقال شمر : قنحا ، اذا كرهت «305» الشرب بعد الرى ، وأكثر كلامهم تقنحت تقنحا قاله أبو زيد ، وقال نحوه ابن السكيت وأبو حنيفة ، فهما اذا بمعنى ، والميم

«303» ابى هريرة : ز ك ، ابى برزة : م ، ابى بزرة : س ولعل الصواب الاول .

«304» بخيبر : ز ، تخبز : م ك س .

«305» كرهت : س ، تكارهت : ز ك .

---

(71) اختلف فى اسمه واسم ابيه اختلافا كثيرا ، لانه كان معروفا بكنيته لا باسمه ، واصح ما قيل فى ذلك : عبد الرحمن بن صخر ، ويجوز فى « أبى هريرة » التنوين وعدمه ، الا ان الاشهر عند المحدثين منعه من الصرف . وهو اكثر الصحابة رواية للحديث ، توفى سنة 58 هـ أو التى بعدها .

تتوارد مع النون كثيرا ، مثل غيم وغين ، وامتقع وانتقع ، وقال شمر عن أبى زيد : التقنح الشرب فوق الرى ، قال ابن حبيب : هو الرى بعد الرى ، قاله ابن أبى اويس ، وقال أبـو سعيد : هو الشرب على رسل لكثرة اللبن ، لانها ليست تتاهب غيرها الشرب ، انما يناهب عند القلة مخافة عجزه ، وقال يعقـوب : أتقنح : لا يقطع على شربى ، ومن رواه « اتفتـح » بالفـاء والتاء فان لم يكن وهما فمعناه عندى التكبر والزهو ، قال ابن دريد : الفتحة التيه والتكبر ، يقال فى فلان فتحـة ، ومثلـه فى كتاب العين للخليل ، ويكون هذا التيـه والكبـر من الشـراب لنشوة مسكرة ، كما قال حسان :

ونشربها فتحسبنا «306» ملوكا   واسـدا ما ينهنهنا اللقـاء

وقـال المنخل :

واذا شربت «307» فاننى   رب الخورنـق والسديـر

أو راجعا على الجملة لعزتها عنده ، وكثـرة الخير لديهـا ، فهى تزهو لذلك ، أو يكون « أتفتح » كنايـة عن سمـن جسمهـا واتساعه ، يقال باب فتح اذا كان واسعا ، وقولها : « أتصبح » أى أنام الصبحة ، وهى نوم أول النهـار ، وقولهـا « وآكـل فاتمنح » أى اطعم غيرى ، يقال : منحـه يمنحه ويمنحـه اذا أعطاه ، وأصله من المنحة والمنيحة ، وهو أن يجعـل الرجـل للرجل لبن شاته أو ناقته مدة ثم يردها ، ثم جعلت كل عطيـة منحة ، وجاءت بلفظة « أتفعـل » التى تقتضى تكـرار الفعـل

«306» فتحسبنا : س ، فتتركنا : ز .
«307» شربت : س ، انتشيت : ز ، وكلاهما صحيح .

وملازمته للفاعل ، ومطالبة نفسه أو غيره به ، فكأنها تطلب من نفسها من تمنحه ، أو تحرك لذلك غيرها لتفضل عليـــه بما فضل من مأكوله لكثرتـــه .

مـــعـــنـــــاه :

وصفت هذه بر زوجها بها وتدللها عليه وترفيهه لهـــا وكثرة احسانه اليها ، فوصفت أنه لا يرد قولها ، ولا يقبح عليها ما تأتى به من كلام ، لاكرامه اياها ، وميله اليها وعزتهـــا عنده ، وهذا مما يدل على العزة ، كما قال السموأل :

وننكر ان شئنا على الناس قولهم   ولا ينكرون القول حين نقول

وانها تنام صبحتها ، ولا تنبه من نومها حتى تنتبه ، ترفيها لها ، ودل من هذا الفصل أن غيرها يقوم بمؤونة بيتها ، ومهنة أهلها ، وان لها من الخدم من يكفيها ذلك ، فلذلك تصبحت فى نومهـــا ، كما قال امرؤ القيس :

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وقال الحطيئة :

ولا تقـــوم باعلـــى الفجـــر تنـــتطـــق

أى تشد نطاقها للخدمة ، وانها تشرب حتى لا تجد لـــه مساغـــا فتكره الشرب بعد لتمام ريها ، أو أنهـــا لا يقلـــل مشروبهـــا ، ولا تناهب ، ولا يقطع عليها ، حتى تتم شهوتها فيه ، لكثرتـــه وكرامتها ، كما قال النابغة :

وتســـقى اذا مـــا شئت غير مصـــرد

أو أنها تعتريها لذلك نشوة وتيه ، وأنها تأكل وتفضل لها فضلات

تمنحها سواها . وجاءت بفاء التعقيب المقتضيـــة ان اعطاءهـــا ومنحتها كانت بعد أكلها وتمام حاجتها ، أوانها قد سمنت عنده وحسن جسمهـــا .

تـنـبـيـه : قال أبو عبيد : ولا أراهـا قالت ذلك الا من عزة الماء عندهم ، يعنى قولها « أشرب فاتقمح » .

قـال الفقيه القاضي رحمه الله :

عنى أبو عبيد رحمه الله أنها لا تفخر بالرى من المـاء الا وهو عزيز ، والعجب منه ، وما اضطره الى هـذا التأويـل ؟ ، وكأنه لا شراب الا المـاء ، فأيـن أنـواع اللبـن والخمـر والنبيذ والسويق وسائر أشربة العرب التى كانوا يستحلونها ويستعملونها «308» من صريـف وضريب وصريح ورحيـق ونبيذ ومزر وجعة وبتع وفضيخ وطلاء وبـاذق وسويق (72) ،

«308» ويستعملونها : س ، — : ز .

---

(72) « الصريف » : اللبن الذى ينصرف به عن الضرع حارا . (وهى فى الاصول كلها : ضريـف ، بالمعجمة ، وهـو تصحيـف) .
و « الضريب » : الشهد ، بفتح الشين وضمها ، وهـو العسـل ما دام لم يعصر من شمعه . وعسل ضريب : مستضرب ، اى صار ضربا ، اى غلظ وابيض . و « الصريح » : اللبن اذا سكنت رغوته فأصبح خالصا . و « الرحيق » : صفوة الخمر و «النبيذ» : ما يعمل من الاشربة من التمر والزبيـب والعسـل والحنطـة والشعير وغير ذلك ، سواء كان مسكـرا أو غيـر مسكـر . و « المزر » : نبيذ الشعير والحنطة والحبوب ، وقيل : نبيـذ الذرة خاصة . و « الجعة » : نبـيذ الشعير . و « البتـع » : نبيذ العسل . و « الفضيخ » : عصير العنب ، وهو أيضا شراب يتخذ من البسر المفضوخ وحده من غيـر ان تمسـه النـار ، و « الطلاء » : ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلـثـاه . و « الباذق » : الخمر الاحمر . و « السويق » : الخمر ، وقيل : السويق : ما يتخذ من الحنطة والشعير .

بل كانوا يذمون بشرب الماء ، ويهجون به ، كما قال بعض الهذليين :

ومن تقلل حلوبته وينكل عن الاعداء يغبقه القراح

أى من قل ماله وجبن عن الغارات ولم يصب المغانم «309» رجع شرابه الماء القراح ، لاعوازه اللبن ، وقال الآخر :

اقسم جسمى فى جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد

أى اوثر اضيافى وجيرتى بمطعومى ومشروبى ، واقنع بشظف العيش وشرب الماء القراح البارد . بل الذى أرادت اللبن وشبهه ، والله أعلم .

وكان عمدة أغذية العرب على اللبن وهو القائم مقام طعامها وشرابها ، وفى الحديث : « ليس شىء يقوم مقام الطعام والشراب الا اللبن (73) » ، وفى حديث بدر قال : « ما رأيت كاليوم ، أمالكم رغبة فى اللبن ؟ » أى فى الغداء ، فيكون من ذلك بأيديكم ابل ذات لبن ، أو مال يتوصل به الى اللبن ، ففيه كان غالبا رغد عيشهم ، وطيب مطعمهم ، فهذا معنى قولها ـــ والله أعلم ـــ ، اذ لم يذكر فى أكثر الاحاديث سوى المشروب ، وقد

«309» المغانم : م س ، الغنائم : ز ك .

---

(73) اخرجه ابو داود من حديث ابن عباس مرفوعا : « "" فانه ليس شىء يجزىء من الطعام والشراب الا اللبن » ، (باب ما يقول اذا شرب اللبن ، من كتاب الاشربة) ، واخرجه الترمذى فى الدعوات ، وابن ماجه فى الاطعمة ، والامام احمد فى مسند ابن عباس (1 : 284) .

يكون قولها « اشرب » كناية عن الشرب والاكل لصحبة احدهما الآخر ، وقد استعملت العرب احدهما مكان صاحبه ، قال الشاعر :

شراب البان وتمر واقط

ولا نحتاج الى هذا ان ثبتت الزيادة المذكورة فى الاكل من قولها « وآكل فاتمنح » .

وغريب قولها فى أم أبى زرع :

« عكومها رداح » ، قال أبو عبيد وغير واحد من الائمة : العكوم الاحمال والاعدال والهنات التى تجمع الاطعمة والمتاع ، واحدها عكم ، والرداح الطعام الكثير الحشو ، قال الهروى : الثقيلة ، ومنه قيل للكتيبة الواسعة : رداح ، اذا كانت ثقيلة السير لكثرة من فيها ، ويقال للمرأة : رداح ، اذا كانت عظيمة الاكفال ، ثقيلة الاوراك ، وجفنة رداح عظيمة ، وجمل رداح عظيم ، وقال ابن حبيب فيما قرأته مضبوطا فى كتابه ولم أروه سماعا : انما هو دراح ، أى ملاء ، كذا سمعت ابن أبى اويس يقول : وليس كما قال شارح العراقيين ، الرداح غير هذا .

قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :

ما قاله أبو عبيد وغيره صحيح معروف ، ومعناه ظاهر ، ولا أدرى لم أنكره ابن حبيب ، وهو بنفسه معنى ما فسره هو به مع مساعدة سائر الرواة لما قاله أبو عبيد ، فان روايتهم كلهم رداح ، لا كما قاله ابن حبيب عن ابن ابى أويس : دراح ، لم يذكرها غيره ولا شرحها سواه ، ولا سمعناها من شيخ ،

ولا وجدت هذه اللفظة فى جماهير اللغة ، وصحاح العربية ، الا أن تكون من قولهم رجل درحاية ، أى ضخم ، حكى ذلك ابـــن دريد قال : وهو من الدرح وهو فعل ممات ، وأنشد :

عكــوك اذا مشى درحـــايه

وفى كتاب العين : الدرحاية القصير ، وقال يعقوب : الدرحايـــة القصير الكثير اللحم ، الا أن يكون قد وهم عليه ، وانمـــا أراد رداح بكسر الراء وانكر فتحها فقط ، ولقولـــه وجـــه ، ويكون رداح هاهنا بمعنى ما قال أبو عبيد لكنـــه جمع رادح «310» كقائم وقيام ، ومنه الحديث : « ان من ورائكم فتـــنا رادحـة (74) » ، وكذا وجدته مضبوطا عنـــد بعـــض رواة هذا الحديث بكسر الـــراء .

عـــربـيـتـــــه :

قولها « عكومها رداح » اعلم أن وجـــه اعـــراب رداح أن يكون خبرا لمبتدا مضمر ، ولا يصح أن يكون خبرا للعكوم لان العكوم جمع واحدها عكم ، والرداح واحد جمعه ردح ، ومنـــه حديث على رضى الله عنه فى وصف الفتـــن : متماحـلة ردح ، أى طويلة عظيمة ، وقال الشاعر :

الى ردح من الشيزى «311» عليها   لباب البر يلبـــك بالشهاد

«310» رادح : ك ، رداح : ز م س وهو غلط .
«311» الشيزى : ز ك ، الشيذى : س .

(74) لم اجده فى المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم . وعزاه ابن منظور الى سيدنا على رضى الله عنه بلفظ : ان من ورائكم فتنا مردحة ، (لسان العرب ، مادة ردح) .

فلا يصح أن يكون « رداح » خبرا للعكوم ، لانــه لا يخبر عن الجمع بالواحد الا على حد من المجاز ، والا أحرفـا مسموعة ، مثل قولهم درع دلاص ، وادرع دلاص ، وقد قيـل دلـص ، وامرأة هجان ونسوة هجان ، وقد قيل هجائن ، وشمال «312» للواحـد والجمـع ، وفلـك للواحـد والجـمـع ، فى احـرف قليلة ، وقيل : منه قولهم : رجل سلم ، وخصم ، وعدو ، وقـوم سلم ، وخصم ، وعدو ، فى أحرف سمعت ، وقد اختلف أهـل العربية فى قوله تعالى « أوليـاؤهم الطاغوت «313» » فقـال بعضهم هو واحد ، وذهب المبرد الى أنه جمع ، وقرأ الحسن : أولياؤهم الطواغيت ، قال سيبويه : هو اسم واحد مؤنث يقـع للجمع كهيئته للواحد ، وقـال الفارسى : هو مصدر كالرغبوت والرهبوت ، كما قـال :

فهـم رضى وهـم عـدل

وأما رأس هذا العلم ومقتدى القوم الخليل بن أحمد فله فى هذه الكلمات مذهب ، فعنده أن هجانا واحد مع الواحد جمـع مـع الجمع ، وانه عنده فى الجميع بمنزلة ظراف ، قـال الفارسى : كأنهم كسروا فعالا على فعال كما كسروا فعلا على فعـل ، فى قولهم فلك للواحد والجمع ، قال فالحركـة التى فى « هجـان » للجمع ليست التى فى المفرد ، فان الحقنـا هذا بمـا ذكرنـاه وادخلناه فى بابه على اختلاف مذاهبهم توجه لكونه مسموعا فى هذا الحديث ، أو نجعل « رداحا » مصدرا كالذهاب والثبـات

«312» وشمال : س ، وشمائل : ز .

«313» سورة البقرة ، الآية 257 .

والطلاق والكمال ، فيكون خبرا للعكوم ، كما قالوا : قوم عدل ، ورضى ، على قول بعضهم انها مصادر ، أو تكــون على طريق النسبة والاضافة أى عكومها ذات رداح ، كما قال الخليل رحمه الله تعالى فى قوله تعالى : « السماء منفطر بــه «314» » أى ذات انفطار ، أو تكون أرادت بعكومها الكفل ، فقالت « رداح » وردته على الكفل الذى كنت عنه بالعكوم لعظمه ، فكان « رداح » خبرا له حملا على المعنى اذا «315» كان واحدا ، كما قال :

ثــلاث شخوص كاعبان ومعصر «316»

فانث حملا على المعنى اذ كن نســاء ، والا فوجهــه أن يكون « رداح » خبر مبتدأ مضمر دل عليه مــا قبله ، وتقديــر ذلك : عكومها كلها رداح ، أو عكومها كل عكــم منهــا رداح ، كمــا قــال علقمــة «317» :

جدورهــا من أتــى المــاء مطــمــوم

على رواية من رواه بالجيم ، أى جدورها كل جدر منها أوكلهــا مطموم ، أى مملوء ، والجدور جمع جدر وهى حواجز الشربات التى تحبس الماء فى أصول النخل ، وأنشد بعض النحاة عليــه قول الاسود بن يعفر يصف جفنة :

تــرى جوانبــها بالشحــم مفتــوقــا

أى ترى كل جانب منها مفتوقا ، ولم تقبــح هذه المجازات فى

«314» سورة المزمل ، الآية 18 .
«315» « اذا » : كذا بالاصول ، ولعل الاصوب (اذ) .
«316» معصر : ز م ك ، معصم : س ، وهو تصحيف .
«317» علقمة : م س ، علفة : ك .

كلامها لاجل الازدواج والتسجيع ، على حد كلام العرب ومذهبهم فى الاتباع لمناسبة الكلمات ومقابلة المقاطع ، وقولها « فياح » الفياح والفساح بمعنى واحد ، أى بيتها واسع ، يقال بيت فسيح وفساح ، ودار فيحاء ، أى متسعة ، وبيت أفيح ، ومنه الحديث فى شدة الحر : « انه من فيح جهنم (75) » ، أى من سعة حرها وانتشاره ، ومن رواه « فياح » فعلى باب من المبالغة .

معناه :

وصفتها بسعة المال وكثرة الخير والآلات ، وسعة فناء البيت وكبره ، وهذا لا يكون الا مع الوجد ، وقد يحتمل أن يكون كنى بالعكوم ورداحتها عن كفلها وعظمه ، كما قالوا جارية رداح ، أى عظيمة الكفل ، وجعل الكفل عكوما وهو جمع لعظمه ، كأن كل ناحية منه عكم ، وكنى بسعة البيت وفسحة الفناء عن كثرة خيره ، ورغد عيشه ، والبر بنازله ، كما كنوا بالرحب عن ذلك فى قولهم : مرحبا ، وقالوا : فلان رحب المنزل ، ولا يريدون سعة قطره ، بل كثرة خيره ، ووفور بره ، فيكون لكل فقرة من هذا الفصل معنيان ، ووقع فى بعض روايات شيوخنا فى هذا الفصل : أم زرع وما أم زرع ؟ ، فان صحت هذه الرواية فانها انما وصفت نفسها ، وكذا حدثنا بها بعض ثقاة شيوخنا عن ابى العباس العذرى .

---

(75) رواه الامام مالك وأحمد والدارمى والستة .

وغريب قولها فى ابن أبى زرع :

« كمسل الشطبة » قال أبو عبيد والحربى «318» : واصل الشطبة ما شطب من جريد النخل وهو سعفه ، وهو أن تشق منه قضبان رقاق تنسج منها الحصر ، قال يعقوب : الشطبة السقة (76) من سدى الحصير ، وقال ابن الاعرابى وأبو سعيد النيسابورى : أراد بمسل الشطبة سيفا سل من غمده ، وقال ابن حبيب : الشطبة العويد المحدد كالمسلة ، والجفرة : الانثى من أولاد المعز «319» ، والذكر جفر وهو ابن أربعة أشهر ، كذا قال أبو عبيد وغيره ، وجمعه جفار ، وقال ابن الانبارى : هو من ولد الضأن ، وكذا قال ابن دريد ، قال : وهو الثنى منها ، وفى كتاب العين : الجفر من أولاد الشياه ما استجفر أى صار له بطن ، قال الهروى : الجفر من أولاد الغنم ، فاذا أتى على ولد الغنم أربعة أشهر وفصل عن أمه وأخذ فى الرعى قيل له جفر والفيقة : ما يجتمع فى الضرع بين الحلبتين ، والفواق : ما بين الحلبتين ، واليعرة العناق ، والذكر اليعر ، وقولها « وتميس » تتبختر ، والنثرة : الدرع ، وهو ما لطف منها ، كذا قال الهروى ، وقال نحوه ابن الانبارى ، قال : هى القصيرة ، وعند الخليل : هى السلسة الملبس ، وقال الثعالبى وثابت : انها الواسعة ومثله النثلة والزغفة والفضفاضة .

«318» والحربى : س ، الحربى : ز .
«319» المعز : ز ك ، العنز : م س .

---

(76) السقة : كذا بالاصول ، ولعلها « السفة » . والسفة : ما يسف من الخوص كالزبيل ونحوه ، أى ينسج .

معناه :

وصفته بأنه مهفهف الخلق ، ضرب اللحم ، ليس ببطين ولا جظ جعظرى جواظ (77) ، وكنت عن ذلك بأن مضجعه الذى ينام فيه فى الضيق كمسل شطبة واحدة اذا سلت من الحصير فبقى مكانها فارغا بين «320» أخواتها ، وهو مما يتمادح به رجال العرب ، أو أنه مثل غمد السيف ، وهو قريب من الاول ، قال أبو سعيد : شبهته بسيف مسلول ذى شطب يمان ، وسيوف اليمن كلها ذات شطب . قال ابن حبيب : عنت انه خفيف المئونة مهفهف ، وقد شبهت العرب الرجال بالسيوف ، فوجه تشبيهها بذلك اما لخشونة جانبها ومضائها «321» ، أو جمال رونقها ولألائها ، أو كمال صورتها فى اعتدالها واستوائها ، كما قال الشاعر :

يشبهون سيوفا فى صرائمهم وطول أنضية الاعناق والامم

وقال آخر :

كان جبينه سيف صقيل

«320» بين : س ، من بين : ز .
«321» ومضائها : س ، او مضائها : ز .

(77) فى هذا اقتباس من الحديث الذى رواه الامام احمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، عند ذكر اهل النار : « كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع » . (رقم الحديث 6580) ، و « الجعظرى » (بفتح الجيم والظاء المعجمة بينهما عين مهملة ساكنة) : الفظ الغليظ المتكبر ، و « الجواظ » (بفتح الجيم وتشديد الواو وآخره ظاء معجمة) : مثله . و « الجظ » : قريب منه .

وقـــال آخــــــر :

فى فتية كسيوف الهند قد علموا   ان هالك كل من يحفى وينتعل

وقـــال الاعشـــى :

ويصبح كالسيف الصقيل اذا غدا   على ظهر انماط له ووسائدا

وقالـــت الاعرابيـــة :

أحبــه بازل عـــام   كالمهنــد الصمصــــام

وكذلك أيضا شبهوهم بالرماح ، كما قال :

هما رمحان خطيان كانــا   من السمــر المثقفة الصعاد

وقـــال آخــــر :

مصاليت أمثـــال الرديـــنـــية السمـــر

ثم وصفته بقلة الاكل والشرب ، وهو مما يتمادح بـــه أيضا كما تقدم ، ثم وصفته بأنه صاحب حرب وشكة وخيلاء فى موضـــع الـــقـــتـــــال .

وغريب قولها فى ابنـــته :

« صـــفـــر ردائـــهـــا » فـــالـــصـــفـــر : الـــخـــالـــى الفارغ ، وقولها : غيظ جارتها : أى ضرتها ، ويحتمل أيضـــا أن تكون الجارة بالسكنى ، فالضرة انما سميت جـــارة لمجاورتها ضرتها ، وتسمى الزوجة جارة أيضـــا لمجاورتهـــا الـــزوج ، قـــال الـــشـــاعـــر :

أيـــا جارتـــا بيـــنـــى فانـــك طـــالقـــه

و « عقر جارتها » فى رواية من رواه ، وكذا أخرجه مسلم فى صحيحه عن الحسن بن على الحلوانى : أى دهش جارتها ، قال

صاحب كتاب الجمهرة : عقر فلان عقرا : اذا خرق من فزع ، قال صاحب كتاب العين : عقر الرجل : اذا دهش ، وقد قال أهل المعاني فى قول الشاعر :

ولثمتها فتنفست كتنفس الظبى العقير

انه الدهش ، وقد يكون أيضا من العقر الذى هو القتل ، من قولهم : عقر الرجل ابله ، أى نحرها ، ومنه : كلب عقور ، وفرس عقير ، وصيد عقير ، واصله من عقر النخل ، وهو قطع رأسها فتهلك ، ويكون هذا بمعنى الرواية الاخرى « حين جارتها » وهى رواية شيخنا القاضى التميمى فى بعض طرق النسائى ، وكذلك قيده بخطه عن أبى على الحافظ ، فالحين الهلاك ، أو يكون من العقر الذى هو الجرح ، قال الخليل : العقر كالجرح ، ومنه قولهم : سرج معقر «322» اذا كان يعقر ظهر الدابة ، أى يجرحه ، ومن معناه ما تقدم فى قولهم كلب عقور أى يجرح ، وصيد عقير أى مجروح ، ومن رواه « عبر جارتها » حكى ذلك الانبارى والهروى ، وهى رواية الهيثم بن عدى ، فمن العبرة التى هى البكاء ، أو العبرة التى هى الاعتبار ، أى أن ضرتها تبكى حسدا لما تراه منها من خلق أو خلق ، أو تعتبر من ذلك ، قال ابن الانبارى : معناه أن ضرتها ترى منها ما يعبر عينيها «323» أى يبكيها ، قال وفيه معنى آخر : انها ترى من عفتها ما تعتبر به ، ومن رواه « غير

«322» معقر : م س ، معقار : ز ، معقرا : ك .
«323» عينيها : س ، عينها : م ك .

جارتها » وكذا رويناه فى بعض الاحاديث المنثورة «324» عن ابى بكر محمد بن عبد الله الفقيه من رواية ابى سلمة المنقرى ، فهو من الغيرة ، قال الخليل : غار الرجل غيرة وغيـــرا «325» فهو غيران ، فكأن الهاء حذفت وابدلت من الالف ياء ، وقد حكى غيره : الغيرة والغير والغار بمعنى ، والغير أيضا مصدر غـــار أهله ، أى مارهم ، قاله ابن دريد . ومن رواه « حيـــر » فمن الحيرة ، وكذا وقع فى كتاب النسائى عند بعضهم ، وأراه هكذا عند ابن الاحمر القرشى ، قال صاحب العين : حار بصره يحار حيرا وحيرة اذا نظر الى الشىء فعشى وتحيـــر ، واستحـــار اذا لم يهتد لسبيله فهو حيران ، وهذه الالفاظ كلها بمعنى متقارب من الرواية المشهورة ، أعنى « غيـــظ جارتهـــا » ، ومن رواه « حبر » بالباء ، وكذا وجدته فى بعض الاصول ولم اروه ، فان صح فهو من معنى قولها قبل : « طوع أبيهـــا وأمهـــا وحبـــر جارتها » أى مسرة مجاورتها ، ولا تكون الجارة هنـــا الضرة ، لكن المجاورة فى المحل والمنزل ، فهى مسرورة بما تـــراه من جمالها وعفتها ، أو بما توليها من احسانها ونعمتهـــا ، والحبرة السرور ، ومنه قوله تعالى « فى روضة يحبرون «326» » ، والحبر والحبار الاثر ، قالوا : ومنه سمى السرور ، لان اثـــره يظهر فى وجه صاحبه .

«324» المنثورة : س ، المشهورة : ز .
«325» وغيرا : س ، وغارا : ز .
«326» سورة الروم ، الآية 15 .

معنــــــاه :

وصفتها بأنها ممتلئة الجسم ، كثيرة اللحــم ، وعبرت عن ذلك بامتلاء كسائها ، لانها لا تمتلىء الا لعظم جسمها ، وكمال شخصها ، وكثرة لحمها ، ونعمة جسمها ، وهذا مما يمدح بـــه النساء ، ويذممن بضده ، قال امرؤ القيس :

وبيت عذارى يوم دجن ولجته   يطفــن بجماء المرافق مكسال
سباط البنان والعرانين والقنا   لطاف الخصور فى تمام ولكمال

وقـــال غـيـــره :

ومخملة باللحم من دون ثوبها   تطول القصار والطوال تطولها

وقال الحرمازى «327» فى ضده :

لا يعجــب المــرء منهــا حين يعجلها
من دون أثــوابهــا عــرض ولا طــول
كأنهــا مشجب شكت مآشره «328»
أو طائــر من بــنــات المــاء مهــزول

وقــــال الآخـــــر :

فى كل عضــو لهــا قــرن تصــك بـــه
جنــب الضجيع فيضحى واهى الجسد

وفى المثل : لو قيل للشحم أين تذهب ؟ لقــال : اصلح العوج ، وعابوا ما خرج منه عن الحد المستحسن ، فعابــوا الفرضاخة ،

«327» الحرمازى : ز ك ، الحرمازنى : م س ، ولعل الصواب الاول ، والحرمازى : هو اعشى بنى حرماز واسمه كهمس .

«328» مآشره : س ، مآسره : ز .

والمفاضة ، والعفضاج ، والعضنكة ، والجأنب (78) ، ومدحوا المبتلة ، والخدلجة ، والبرهرهة ، والعبهرة ، والدرماء ، واللفاء (79) ، وعابوا الدميمة (80) ، والقصيرة ، ومدحوا الطويلة والعطبول ، والفارعة ، والخرعبة ، والممشوقة ، والمهفهفة (81) ، قال الشاعر :

طويلة خوط المتن عند قيامها ولى بطويلات المتون ولوع

وقال الآخر :

وانت التى حببت كل قصيرة الى ، وما تدرى بذاك القصائر

اردت قصيرات الحجال ولم أرد

قصار الخطى ، شر النساء البحاتر

---

(78) « الفرضاخة » : العريضة الغليظة كثيرة اللحم عريضة الثديين . و « المفاضة » : العظيمة البطن المسترخية اللحم . و « العفضاج » : مثله . و « العضنكة » : المجزاء اللفاء الكثيرة اللحم المضطربة ، وقيل : هى التى ضاق ملتقى فخذيها مع ترارتها وذلك لكثرة اللحم ، والترارة السمن . و « الجأنب » : القصيرة .

(79) « المبتلة » : التامة الخلق التى انفرد كل شيء منها بحسنه . و « الخدلجة » : الرياء الممتلئة الذراعين والساقين . و « البرهرهة » : السمينة التى لها بريق من صفائها . و « العبهرة » : الممتلئة الرقيقة البشرة الناصعة البياض . و « الدرماء » التى لا تستبين كعوبها ولا مرافقها لكثرة اللحم فهى غير ناتئة ، وهو دليل السمن . و « اللفاء » : ملتفة الفخذين ، أى ضخمة الفخذين مكتنزة .

(80) « الدميمة » : القبيحة .

(81) « العطبول » : الجميلة الفتية الممتلئة الطويلة العنق . و « الفارعة » : الطويلة . و « الخرعبة » : الشابة الحسنة الجسيمة فى قوام . و « المشوقة » : حسنة القوام قليلة اللحم . و « المهفهفة » : الخميصة البطن الدقيقة الخصر .

وقال عروة بن الزبير : ما عشقت من امرأة قط الا شرفها ، قيل طولها ، وقيل حسبها ، ثم وصفتها بعظم الروادف ، وقيام الصدر ، وحسن بنية الكتفين ، وضمور البطن ، واندماج الخصر ، بقولها « صفر ردائها » أى ان رداءها كالفارغ الخالى منها ، اذ لا يمس من جسمها شيئا ، فردفها وكتفاها تمنع مسه من خلفها شيئا من جسمها ، ونهداها يمنعانه أن يمس شيئا من مقدمها ، وقد قال الآخر :

ابت الروادف والثدى لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا
واذا الرياح مع العشى تناوحت نبهن حاسدة وهجن غيورا

وذهب الهروى الى ان معنى قولها : « صفر ردائها » أى انها ضامرة البطن ، والرداء ينتهى الى البطن ، وقال أبو الحسن ابن ابى معشر النحوى : « صفر ردائها » تصفها بأنها خفيفة موضع الاردية «329» ، وهو أعلى بدنها ، و « ملء كسائها » تقول : ممتلئة موضع الازرة وهو أسفل بدنها ، ونحوه لابن ابى اويس ، وهذا كما قال الآخر :

تساهم ثوباها ففى الدرع رادة وفى المرط لفاوان ردفهما عبل

وكما قال ابن الطثرية :

عقيلية أما ملاث ازارها فدعص ، واما خصرها فبتيل

ويؤيد هذا المعنى ما وقع فى بعض الروايات « ملء ازارها » فى موضع « كسائها » ، فجاء مطابقا للبيتين ، فان الازار هو ما ائتزر به ، والمرط : كساء من صوف مربع كان النساء يأتزرن

«329» الاردية : س ، الردية : ز م ك .

به ، وقد يكون من غير الصوف ، وقال ابن دريد : المرط ملحفة يؤتزر بها ، فاستبان من هذا ان الكساء والازار هاهنا بمعنى المرط في البيت ، ثم أكدت الثناء عليها بأنها خير نسائها ، أي نساء وقتها أو قومها ، وانها لتمام حسنها وتشابه خلقها في الكمال وخلقها : غيظ جارتها ، أي ضرتها ، أو مجاورتها ، وان ما تراه من ذلك يغيظها وتغار له ، وتحار منه ، وتعتبر حتى لا تهتدي لامرها ، ولا تستقيم لسبيلها ، ويكاد بصرها يعشى اذا نظرت الى جمالها وكمالها ، اذ ليست كذلك ، ويعقرها ويبكيها حسدا لها ، وغيرة بها ، فيكون معنى يعقرها : اما يهلكها حسدا ويسبب حينها ، أو يجرح لذلك قلبها ويبكيه «330» ، على ما تقدم من تفسير عقر ، ويكون معنى هذه الالفاظ كلها متشابها ان شاء الله تعالى .

فقهه :

في هذا الحديث جواز وصف النساء ومحاسنهن مع النساء والرجال اذا كن مجهولات ، فبنت أبي زرع وان كانت منسوبة فهي في حكم المجهولة ، لبعد وقتها ، وفناء زمنها ، ومجهلة عينها وابيها ، والذي يمنع من ذلك : وصف النساء المعينات بحضرة الرجال ، وان يذكر من أوصافهن على التفصيل ما لا يجوز للرجال اشفاف النظر اليه ، أو توصف عوراتهن وما لا يجوز اطلاع الرجال والنساء عليه ، وقد قال عليه السلام :

«330» يبكيه : م س ، ينكيه : ك .

« لا تصف احداكن جارتها الى زوجها حتى كأنه يراها (82) » . وزجر عليه السلام « هيت » المخنث ، ويقال « ماتع » المخنث ، والقصة لهيت أشهر ، ومنعه الدخول على نسائه اذ سمع منه من وصفه لبادية بنت غيلان الثقفية ما سمع ، فقال له : لقد غلغلت النظر يا عدو الله ، وفى رواية الا أرى هذا يعلم ما هاهنا ، ثم نفاه عن المدينة لذلك الى الحمى (83) . وكراهة

---

(82) رواه البخارى فى باب لا تباشر المراة المراة فتنعتها لزوجها من كتاب النكاح ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تباشر المراة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر اليها » . ورواه أبو داود فى باب ما يؤمر به من غض البصر من كتاب النكاح (رقم 2150) . ورواه الترمذى فى الاستئذان ، والنسائى ، والامام أحمد (رقم 3609 ، 3668 ، 4175) .

(83) روى البخارى فى باب ما ينهى من دخول المتشبهين بالنساء على المراة من كتاب النكاح ، عن ام سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان عندها وفى البيت مخنث ، فقال المخنث لأخى أم سلمة عبد الله ابن ابى امية : ان فتح الله لكم الطائف غدا ادلك على ابنة غيلان ، فانها تقبل باربع وتدبر بثمان . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يدخلن هذا عليكم » . ورواه البخارى أيضا فى المغازى وفى اللباس . ورواه مسلم فى باب منع المخنث من الدخول على النساء الاجانب من كتاب السلام ، وادخل فى الباب حديث عائشة قالت : كان يدخل على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مخنث ، فكانوا يعدونه من غير أولى الاربة ، قال : فدخل النبى صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امراة ، قال : اذا اقبلت اقبلت باربع ، واذا ادبرت ادبرت بثمان . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « الا ارى هذا يعرف ما هاهنا ، لا يدخلن عليكن » . قالت : فحجبوه . ورواه الامام مالك فى الاقضية ، وابو داود فى الادب ، وابن ماجه فى النكاح وفى الحدود .

قال ابن حجر : وزاد ابن الكلبى فى حديثه : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لقد غلغلت النظر اليها يا عدو الله » ، ثم أجلاه عن المدينة الى الحمى .

النبى صلى الله عليه وسلم لما سمع منه ونهيه عنــه لوجــوه :
احدها : ما ذكرناه من وصف ما وصفه من النساء من أجسامهن وعوراتهن بين النساء والرجال مما لا يجــوز الاطلاع عليــه .
والوجه الثانى · انه أنكر عايه غلغلة النظر الى أن وصل منــه الى معرفة ذلك مــما لا يبــاح للنســاء ، فكيــف للرجــال ؟ .
والثالث : انهم كانوا يعدونه من غير اولى الاربــة من الرجال الذين يجوز لهم الاطلاع على ظواهر محاسن النساء ، فلما رآه يقصد من أوصاف النساء الى ما يستحسنه الرجال دل ذلك على أن عنده اربة فى النساء وميلا الى ما يرغبه الرجــال ويميلــون اليه ، وقولها « طوع أبيها ، وطوع امهــا » أى انهــا بــارة بهما ، غير خارجة عن رأيهما ، وهذا يدل على عفتها وعقلهــا ، ومن رواه « زين » فمعناه أن من له مثل هذه البنت فى كمالهــا وجمالها يتزين بها ويتجمل ، قال الله تعالى : « المــال والبنون زينة الحياة الدنيا » «331» .

وغريب قولها « برود الظل » أى انها حسنــة العشرة ، كريمة الجوار ، يقال فلان يأوى الى ظل فلان ، اذا كان تحت اكرامــه وعــزه وحمــايتــه ، كــأنــه اســتــراح الــيــه استراحة المستجير «332» بالظل «333» ، والظل يعبر بــه عن العز ، حكاه ابن دريد ، وهذا يؤيد رواية من روى « حبر جارتها » ، وقولها « وفى الال » أى العهد ، قاله ابن الانبــارى

«331» سورة الكهف ، الآية 46 .
«332» المستجير : ز ، المستحر : م ك ، المستريح : س .
«333» بالظل : س ، للظل : ز ك .

والهروى ، و « الال » أيضا القرابة ، قال الله تعالى : (لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة «334») أى قرابة ولا عهدا عند بعضهم ، وقولها « كريم الخل » أى الخليل والصاحب ، وقد تصفها بشرف الزوج فهو خلها ، وقد تريد بـ « الخل » هنا المخاللة والصحبة ، قال الحربى : يقال فلان كريم الخلة والخل والمخاللة أى الصحبة .

عربيته :

ذكر « برودا وكريما ووفيا » ، والموصوف به مؤنث لانها ذهبت به مذهب التشبيه ، أى هى كرجل بهذه الصفة ، قاله ابن «335» الانبارى وأنشد عليه لعروة بن حزام :

وعفراء «336» عنى «337» المعرض المتوانى

وفيه وجه آخر : على تقدير الحمل له على مذكر محذوف ، كأنها قالت هى شخص أو شىء برود الظل وكذا وكذا «338» ، وقد حمل عليه معنى بيت عروة المذكور .

معناه :

وصفتها بحسن الصحبة والرعاية لمن صحبها وجاورها ، وكرم العشرة معهم وعزهم فى جوارها ، وانها ذات خل كريم ،

«334» سورة التوبة ، الآية 10 .
«335» ابن : ز س ، ــ : م ك .
«336» عفراء : ز ك ، عقراء : م ، عضراء : س .
«337» عنى : ز ك ، اعنى : م س .
«338» وكذا وكذا : س ، او كذا : ز ، او كذا كذا : م ك.

وزوج شريف ، ان فسرنا الخل بالخليل ، اوانها كريمة المخاللة والمعاشرة ان كانت كنت بالخل عن ذلك ، وانها وفيـة لعهـود الزوج والجار ؛ وصولة لمن بينها وبينه ذمة أو سبب .

غريب قولها فى جارية ابى زرع : « لا تبث حديثنا » أى لا تنشره وتظهره ، يقال بثثت فلانا سرى ، أى أظهرته لـه واطلعته عليه ، واصله النشر ، قـال الله تعالـى « كالفـراش المبثوث » «339» ، ومن قال (تنث) بالنون : فمعناه تظهر ، يقال نث الحديث ينث ، قال ابن الاعرابى : النثـات المغتاب ، وقال ابن حبيب : النث والبث بمعنى ، ويؤيده «340» ما ورد مفسرا فى الحديث الآخر قولهـا « ولا تخـرج حديثـنـا » ، و « تـبـثـيـثـا » «341» مـصـدره ، ومـن رواه « تفتيشا » «342» فمعناه استقصاء على حديثهم ونمـا بهم . وقولها « ولا تنقث ميرتنا تنقيثا » قال ابو عبيـد : التنقيـث : الاسراع فى السير ، أى لا تذهب به وتخون فيه ، وهذا مثـل قوله فى الرواية الثانية « تنقل » ، واصله من قولهم : تنقـثت العظم ، اذا استخرجت ما فيه ، وقال النيسابورى : التنـقيث اخراج ما فى منزل أهلهـا الى غيرهـم ، وهمـا متقاربـان ، وقال ابن حبيب : معناه لا تفسده ولا تفرقه ولا تسرع فيه ،

«339» سورة القارعة ، الآيـة 4 .
«340» ويؤيده : س ، ويعضده : م ك ، ويعضه : ز وهو تصحيف .
«341» تبثيـثا : ز ك ، تنـثيثا : م س ، ولعل الاول اولى .
«342» تفتيشا : ز ، تغشيـشا : ك ، تفشـيـشا : م س ، ولعل الاول اصوب .

وليس من الاسراع فى السير ، والتنقيث من الفساد والتفرقة ، وقال ابن السكيت : تنقيثا أى نقلا ، وقال ابن ابـى اويـس : لا تسرق ، وعلى رواية من قال تغث «343» فمعناه تفسـد ، وكذلك روى « تفسد » مفسرا فى الحديث الآخر ، ومنه حديث ابى بكر : ان مما صغر عندى هذا الفتح وغثتـه «344» على بكاء الحى على القبيل ، قال ثابت : أى أفسده ، واصلـه مـن العثة «345» ، وهى السوسة ، يقال عثت الصوف اذا أكلته .

قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :

فعلى هذا أيضا يصح معنى « تغث » أى تأكل أكل فساد كما تفعل السوسة (84) ، وقولها فى رواية الزبير « تفسـد ميرتنا تقشيشا » «346» فمعناه عندى قريـب مـن الاول ، أى لا تفسد ميرتنا بالنقل والخيانة والاحتجـان والاسراف فى أكلهـا ، قال الخليل رحمـه الله : أقـش القـوم وانقشـوا اذا اختلطـوا ، قـال : والـقـش والاقـشـاش طـلـب الاكل ، قال ابن دريد : والتقشيش مثله ، قال : وقش مـا على الخوان اذا أكله أجمـع ، قـال : وقششـت الشىء قـشـا اذا جمعته ، وحكى الثعالبى عن الليث : القش والتقشيش طلب الاكل من هنا وهنا . و « الميرة » ما يمتاره البدوى من الحضر

«343» تغث : ز ، تعث : س .
«344» غثـته : ز ، عثـته : س .
«345» العثة : م ك ، الغثة : ز ، العثـته : س وهو غلط .
«346» تفشيشا : س ، تعشيشا : ز . ولعل الصواب : تقشيشا .

---

(84) « تغث » : بالغين المعجمة ، أما « العثة » التى هى السوسة : فبالعين المهملة . تأمل .

من دقيق «347» وغيره ، فمعانى هذه الالفـاظ وان اختلفـت متقاربة ، وقولها « ولا تملأ بيتنا تعشيشا » فمن رواه بالعين المهملة فمعناه أى انها مصلحة للبيت ، مهتـبلة بتنظيفه والقـاء كناسته وابعادها منه ، وليست ممن تضم كناسته وسقطه هاهنا وهاهنا ، وتتركها مجتمعة فى أماكن منه كأنها الاعشاش ، هكذا فسر هذا المعنى بعضهم ، وقال ابن ابى اويـس عن أبيـه : أرادت انها تقم بيتنا ولا تدع فيه القمامة والقشب فكأنه عـش طائر فى قذره وقشبه . وقـال الهـروى : لا تفسـد ميرتنـا تعشيشا «348» ، معناه أنها لا تخوننا فى طعامنا فتخبأ فى هذه الزاوية شيئا وفى هذه شيئا كالطيور اذا عششـت عششـة فى مواضع شتى ، وقال الخطابى : هو مأخوذ من قولهـم عشـش الخبز اذا فسد ، يريد انها تحسن مراعاة الطعام ، وتتعاهده بأن تطعم منه أولا فأولا طريـا ، ولا تغفله فيفسـد ، ومن قـال « تغشيشا » بالغين المعجمة فهو من الغش ، قـال الهـروى : وهو بمعنى الاول ، وقال ابن السكيـت : هـو من النميمـة ، وقولها « ولا تنجـث أخبارنا تنجيـثـا » أى لا تستخرجهـا استخراجا ، والنجيثة ما يخرج من البئر من تراب .

مـعـنـاه :

وصفتها بالامانة على السـر «349» والمـال ، والقيـام

«347» دقيق : س ، طعـام : ز .

«348» لا تفسد ميرتنـا تعشيـشا : س ، ـــ : ز . ولعـل الصواب اثبـاتـهـا .

«349» السر : س ، الاهل : ز .

بمصالح خدمتهم ، والنصح لهم ، وانها لا تفشى لهم حديثا ، ولا تبذر لهم طعاما ، ولا تخون فيه ، ولا تنقله الى غيرهم ، ولا تفسده ، ولا تسىء صنعته وتضيعه ، ولا تدخل بينهم الضغائن ، ولا تهمل أمر خدمتهم وصلاح منزلهم .

وغريب قولها فى ضيف أبى زرع « فى رتع ورى » أى تنعم «350» . قال الله تعالى (نرتع ونلعب «351») (85) وأكثر تفاسيره ترجع الى اللهو والمسرة ، وقولها : « طهاة أبى زرع » أى طباخوه ، قال امرؤ القيس :

فظل طهاة اللحم من بين منضج

وقولها « لا تفتر » أى لا تسكن ولا تضعف فى خدمتها ، والفتور السكون ، والفتور الضعف ، وقولها « ولا تعدى » أى لا تصرف ، قاله ابن الانبارى ، يقال «352» عداه عن الشىء

«350» تنعم : س ، لهو : ز .
«351» سورة يوسف ، الآية 12 .
«352» يقال : س ، قال ابن دريد : ز .

---

(85) قوله تعالى : « نرتع ونلعب » بنون المضارعة فى الكلمتين ، وباسكان العين فى « نرتع » : على رواية حفص عن عاصم . والمعنى من الرتع ، اى الاكل والشرب ما شاء الانسان فى خصب وسعة ، او هو الاكل والشرب رغدا فى الريف ، واكثر تفاسيره ترجع الى اللهو والمسرة كما قال القاضى عياض رحمه الله .
اما رواية ورش عن نافع فهى : « يرتع ويلعب » بياء المضارعة فى الكلمتين ، وبكسر العين فى « يرتع » والمعنى فيها من الرعى .

يعدوه اذا صرفه عنه ، قال ابن دريد «353» : ويقال العداء والعدواء الشغل يعدوك عن الشيء ، وقولها « تقدح » أي تغرف والمقدحة المغرفة ، قاله الهروى وغيره ، « وتنصب » ترفع على النار ، قال ابن دريد : نصب القوم السير اذا رفعوه ، وكل شيء رفعته فقد نصبته ، والمنصب شيء من حديد تنصب عليه القدور ، وقد يكون النصب من التعب من قولهم عيش ذو منصبة أي كد وتعب ، وقولها فى ماله « على الجمم معكوس » الجمم جمع جمة وهم القوم يسألون فى الدية ، قاله ابن الانبارى ، وأنشد :

نضرب فى الهيجا ونعطى فى الجمم

و « معكوس » أى مردود معطوف ، و « العفاة » ، السائلون ، و « محبوس » موقوف عليهم .

معناه :

وصفت توسعته على ضيفانه فى المأكول والمشروب ، واكرامهم بما يطربهم ويلهيهم ويسرهم ، وانه جواد كريم ، لا ينقطع اطعامه ، ولا تغب قدوره ، ولا تستريح طهاته ، وان ماله محبوس على السؤال والطالبين ، موقوف على مبتغى الرفد وقاصدى النيل ، مردود عليهم .

وغريب قولها « والاوطاب تمخض » : الاوطاب تختص بأسقية اللبن ، وتسمية غير اوعية اللبن بها على ضرب من

«353» ابن دريد : س ، الخليل : ز .

المجاز والمشابهة ، واحدها وطب ، وجمعه المعروف وطاب فى الكثرة وأوطب فى القلة ، وقد جمعوا اوطبا على اواطب ، وأما اوطاب فنادر . تنبيه : ذكر ابو سعيد النيسابورى أن جمع وطب على أوطاب فى هذا الحديث منكر فى العربية ، لان فعلا لا يجمع على أفعال .

قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :

لم يقل ابو سعيد شيئا ، اما انكاره أن يجمع وطب على أوطاب فى العربية فهذه عربية صحيحة ، منقولة عن أفصح العرب ، وبأصح الطرق ، فحكاها النبى صلى الله عليه وسلم أو حكتها عائشة بحضرته ، ورواها فصحاء التابعين ، ولا يحكون لحنا ، وذكروها عن عرب عاربة وجاهلية بائدة قولها حجة ، وليتنا وجدنا مثل هذه الطرق فى أكثر اللغة ، ولا يقال فى مثل هذا منكر ولا خطأ ، ولكنه يقال نادر ، وكيف وأئمة هذا الشأن يخالفونه ؟ قال الخليل : جمع الوطب وطاب واوطاب ، وحكى مثله ابن دريد فى الجمهرة ، وأما قوله فان فعلا لا يجمع على أفعال ، فغير مسلم ، فقد جمع فعل على أفعال فى حروف معلومة ، قالوا : ازناد وأفراخ وأفراد واجداد ، وانف وآناف ، ورفغ وارفاغ ، ورَأد وأرءاد ، حكاها سيبويه ، قال : وقد يجىء فى فعل افعال مكان افعل ، كما قال الشاعر :

وزندك أثقب ازنادها

قال سيبويه : وليس ذا بالباب فى كلام العرب ، يعنى انه ليس بالمطرد ، ومثله :

وأمسـت على آنـافـهـا غبـراتهـا

قال : والقياس فى فعل أفعل فى القليـل ، وفى الكثـير فعـال أو فعول ، وما سوى ذلك فلا يعلم الا بالسمع ، وحكى الفـراء : احلاق جمع حلق ، وفى الحديث الصحيح : « على أنقاب المدينة ملائكة (86) » ، جمع نقب ، واما ما كان عينـه يـاء أو واو من باب فعل فجمعه فى القليل افعال ، نحو أسـواط وأثـواب وأنواع وأقواس وألواح وأبيات وأقيـاد وأشيـاخ وأعيـار وأعيان ، وهو باب مطرد كثير مستعمـل معروف فى المعتـل ، وهو فى الصحيح نـادر ، وقـد قالـوا أهـل واهـال وارض واراض ، ومثله أجفان وأشكال ، وحكى بعضهم حمل وأحمال وحبر وأحبار ، وقد يقال ان أفعالا هاهنا محمـول على فعـل ، فقد قالوا حبر أيضا ، وقالوا حمل ، كما حملوا أشعارا وأنهارا على فعل من شعر ونهر ، فلا ينكر ما جاء على هذا اذا سمـع كما قال سيبويه رحمه الله ، وقد رأيت فى بعض روايات هـذا الحديث فى أصل قديم من كتاب النسائى رواية حمزة الحافـظ والاطاب تمخض ، مبشور الواو مصلحا ، فان صحـت هـذه الرواية ولم تكن وهما واسقاطا ، فهـى على الاصـل وجمـع وطاب ، ثم ابدل الواو همزة ، كما قالـوا اشـاح ووشـاح ، ووعـاء واعـاء ، ووكـاف واكـاف ، ووقـاء واقـاء ، ووسادة واسادة والله تعالى أعلم . ووقع فى رواية يعقوب بـن

---

(86) رواه البخارى فى باب لا يدخل الدجال المدينـة من كتاب الفتن ، عن ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « على انقاب المدينة ملائكة ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » . واخرجه ايضا فى فضائل المدينة . ورواه مسلم ومالك واحمد

السكيت فى زيادة غريبة وقعت فى بعض نسخ الالفاظ له :
« والوطاب تمخض » على الاصل ، حدثنا بهذه الزيادة «354»
شيخنا ابو عبد الله محمد بن سليمان النحوى عن خاله ابى
محمد غانم بن وليد ، وفى أصله قرأت ومنه نقلت ، عن ابى عمر
السهمى بسنده الى يعقوب .

معناه :

قولها « فخرج من عندى ابو زرع والاوطاب تمخض »
يحتمل أنها أرادت تبكير خروجه من منزلها ، وغدوه لذلك ،
لانه وقت قيام الخدم والعبيد لأشغالهم ومهنهم ، وانطوى أثناء
ذلك كثرة خير داره ، وغزر لبنه ، وان عندهم منه ما يشرب
صريحا ومخيضا ، ويفضل عن حاجتهم ، حتى يمخضوه فى
الاوطاب ويستخرجوا زبده وسمنه كما قالت : « فنقلنى الى
أهل صاهل وجامل ودائس ومنق » ، ومن هذا حديث الحجاج
وقد سأل وافدا عليه عن الغيث ، فقال له : كانت سماء ولم
أراها ، وسمعت الرواد تدعو الى زيادتها ، وسمعت قائلا يقول :
هلم أظعنكم ، الى محلة تطفأ فيها النيران ، وتشتكى فيها
النساء ، وتتنافس فيها المعزى ، قال فلم يفهم الحجاج مراده ،
فاعتل عليه ، وقال له : انما تخاطب أهل الشام فأفهمهم ،
فقال : اما طفء النيران فاخصب الناس وكثر الزبد والسمن
واللبن ، فاستغنوا عن النار للخبز ، واما تشكى النساء فان
المرأة تربق بهمها ، وتمخض لبنها ، فتبيت ولها أنين من

«354» الزيادة : ز م س ، الرواية : ك .

عضديها ، فى حديث طويل ، ويحتمل أن تريد أنــه خــرج فى استقبال الزمن وطيبه وربيعه ، ووقت يمخــض الناس ، وان خروجه اما اسفر أو غيره كان فى هذا الزمان ، فتكون الفائدة فى الاحتمال الاول تعريفها بخروجه عنها بكــرة من النهــار ، وفى الاحتمال الثانى اعلامها بوقت خروجه عنها فى «355» فصول الزمان ، وقولهــا « معهــا ولــدان كالفهديــن » وفى روايــة « كالصقرين » وصفت ولديها بالفهدين أو الصقرين لاســـر خلقهما ، واكتناز اجسامهمــا ، واحتاجــت الــى ذكــرهــما هاهنا ــ والله اعلم ــ لتتبه أن ذلك كان احد أسباب تزويــج ابى زرع لها ، لان العرب كانت ترغــب فى الاولاد ، وتحــرص على النسل وكثرة العدد ، وتستعد لذلك بالنساء المنجبــات فى الخلق والخلق ، فيحتمل أن أبا زرع لما رأى هــذه المــرأة ، واعجبه خلقها ، وولداها ، لكمال خلقهما ، وظهور مخايل النجابة فيهما ، حرص عليهــا ، وقال اسماعيــل بن ابــى اويــس : « كالفهدين سارين حسنين نفيسين » ، ومن رواه « أخواها » خلاف المشهور والاصح والاكثر من الروايات ، فان حمل على ظاهره كان أمدح لها ، وأدل على صغر سنها ، ونهود ثديهــا ، كما قال الهذلى :

لهــا كنيــة عمرو وليس لهــا عمــرو

ويؤيده قوله فى رواية غندر « فمر بجارية شابة » «356» وقد يتأول فيجمع بينه وبين رواية من روى أنهما ولداها بأن يجعلا

«355» فى : م س ، من : ز ك .
«356» شابة : ز م س ، ــ : ك .

أخوين لها فى حسن الصورة ، وكمال الخلقة ، وقولها « يلعبان من تحت خصرها برمانتين » ذهب بعضهم الى أنه أراد ثدييها ، ورد هذا أبو عبيد قال : وليس هذا موضعه ، وانما أراد أنها ذات كفل عظيم ، فاذا استلقت نتأ الكفل بها عن الارض حتى تصير تحتها فجوة تجرى فيها الرمان ، ويؤيد تأويل أبى عبيد ما ورد فى أحد (87) الروايات المتقدمة « يرمى من تحت خصرها بالرمانتين » ولا يقال فى الثديين « يرميان » ، ويعضده أيضا ما وقع مفسرا فى حديث ابى معاوية عن هشام الذى قدمناه ، وقولها فيه « فمر بجارية يلعب معها أخواها ، وهى مستلقية على قفاها ، وأخواها معهما رمانة يلعبان بها ، يرميان بها من تحتها ، فتخرج من الجانب الآخر ، من عظم أليتها » ، ففسر الامر كما تراه ، فان سلمت هذه الرواية من علة ارتفع الاحتمال ، على أن هذا الكلام بعيد من نمط كلام أم زرع جدا ، ويعضد التأويل الآخر قولها فى الرواية الاخرى « يلعبان من تحتها » و « من تحت صدرها » وقوله فى رواية غندر « يلعب من تحت درعها برمانتين » ، ولان العادة لم تجر بلعب الصبيان ورميهم بالرمان تحت اصلاب امهاتهم ، وكيف تجلس هذه المرأة لهم وتستلقى حتى يشاهد منها الرجال هذا ومنهم ؟ ، وأيضا فان حمل الرمانتين بالالف واللام على ما وقع فى بعض الروايات على رمانتين من الرمان لا يجوز فى العربية ، لان رمانتين من

(87) « أحد » كذا بالاصول ، والاولى : « احدى » .

الرمان نكرتان ولا يصح أن يدخل فيها الالف واللام ، ولا يصح أن تريد رمانتين من الرمان معهودتين ، والاشبه أن يكون المراد بهما النهدين ، ويكون قوله « يلعبان من تحت خصرها ، أو صدرها أو درعها » : أى أن ذلك مكان الولدين لا مكان الرمانتين ، وان ولديها كانا فى حضنيها ، أو حفافى جنبيها ، وتشبيهه النهدين بالرمانتين يدل على نهودهما وكعوبهما ، وذلك لصغرها ، وفتاء سنها ، وانها بعد ممن لم تسن وتترهل وتهبل فتتكسر «357» ثدياها وتتدلى ، وليسا يشبهان حينئذ بالرمان ، وذهب الداوودى الى أن معنى هذا : أى يرميان من تحتها اذا رقدت على جنبها لرقة خصرها ، والكلام فيه على ما تقدم .

وقولها : « وكل بدل أعور » فهذا مثل ، ومعناه أن البدل من الشىء لا يقوم مقام المبدل منه ، وانه دونه وانزل منه ، وقولها « أعور » أى معيب ردىء ، وليس من عور العين ، حكى ثعلب : الاعور الردىء ، قال : والعرب تقول للردىء من كل شىء أعور ، وللانثى عوراء ، ومنه قالوا كلمة عوراء ، أى قبيحة ، قال الشاعر :

اذا قيلت العوراء أغضى كأنه ذليل بلا ذل ، ولو شاء لانتصر

وقال الكميت :

ولا استعذب العوراء يوما فقالها

«357» فتتكسر : س ، فتنكسر : ز ، ولعل الصواب بياء المضارعة بدلا من التاء ، وتتدلى : لعل الصواب فيها : يتدليا .

فلخبرت أن هذا البدل لم يسد مسد أبى زرع كما فسرته بعد هذا ، و « السرى » بالسين المهملة الرجل السيد ذو السرو ، أى المروءة ، قال الحربى فى تفسيره : سخيا ، والسرى من كل شىء خياره ، ويقال بالشين المعجمة أيضا ، والجمع سراة وشراة ، حكاهما يعقوب ، وحكى لنا شيخنا أبو الحسين ابن سراج رحمه الله عن ابى على القالى : أن الشراة بالشين المعجمة أيضا الردىء فهو من الاضداد ، والشرى أيضا «358» بالشين المعجمة الفرس الذى يستشرى فى سيره ، أى يلج ويمضى بلا فتور ولا انكسار ، قال ثابت : شرى البعير فى سيره اذا اسرع ، ومنه شرى البرق اذا كثر لمعانه ، وشرى الامر اذا تفاقم وترامى ، وقال معمر : معناه جاد «359» السير ، وقال يعقوب : فرس شرى خيار فائق ، ومن روى « اعوجيا » فهو منسوب الى فرس اسمه «360» أعوج ، هو من الخيل العراب المشهورة التى تنسب العرب اليها جياد الخيل ، وهما فرسان : احدهما فرس كان لكندة ثم تصير لسليم ثم لبنى هلال بن عامر ، قال ابن خالويه وكان لبعض الملوك ، يعنى من كندة ، فغزا بنى سليم فقتلوه وأخذوا فرسه ، وقال ابو العباس المبرد : اعوج فرس لغنى ، وقيل لبنى كلاب ، قيل وسمى أعوج لانه ركب صغيرا رطبا قبل أن

«358» والشري ايضا : س ، وقال الخليل الشري : ز ، والشري : ك .
«359» جاد : س ، حاد : ز .
«360» اسمه : س ، اسمها : ز ، وكلاهما صحيح لان الفرس تطلق على الذكر والانثى .

تشتد عظامه فاعوجت قوائمه ، وقيل بل اعوج ظهره ، وامه سبل فرس كانت لغنى مشهورة ايضا ، وهذا هو أعوج الاصغر ، واما اعوج الاكبر فمشهور أيضا ، وهو ولد فرس اسمه ارا الهجرس «361» ، والهجرس ولد فرس اسمه الدينار ، والدينار ولد زاد الراكب فرس لسليمان بن داوود عليهما السلام ، من بقية الخيل التى خرجت له من البحر ، وكان أعطاه لقوم وفدوا عليه من جرهم ، وقال لهم تصيدوا على هذا الفرس ما شئتم ، فكان لا يفوته شىء ، فسمى زاد الراكب ، قال ابن خالويه : واليه تنسب أكثر الافراس المشهورة ، ذكر لنا ذلك كله الاستاذ أبو عبد الله ابن سليمان ، وبعضه عن غيره ، وذكر مثله ابن لهيعة الاخبارى فى كتاب الحلائب والجلائب و « الخطى » الرمح ، نسب الى الخط ، وهو موضع من ناحية البحرين ، تأتى الرماح اليها من الهند ، ثم تفرق من الخط الى بلاد العرب فينسب اليه ، ولا يصح قول من قال ان هذا الموضع ينبت الرماح ، وقيل ان سفينة فى أول الزمان مملوءة رماحا قذفها البحر مرة الى هذه الناحية ، فخرجت رماحها فيها ، فنسبت اليها ، وقيل الخط الساحل ، وكل ساحل خط ، حكاه صاحب الجمهرة عن بعض اللغويين ، قال والخط سيف البحرين وعمان ، و « أراح » من الرواح ، ومعناه أتى بها للمراح ، وهو موضع مبيت الماشية ، ولهذا سماها بعد « رائحة » ،

«361» ارا الهجرس : م ، اريى الهجرس : ز ، ارى الهجرس : ك ، ارا المجرس : س .

وقال ابن ابى اويس : تقول غزا فأتى بنعـم كثيرة ، والنعم الابل خاصة ، جمع لا واحد له من لفظه ، وذكر بعضهم أنـه ينطلق أيضا على جماعة المواشى اذا كان فيها ابل ، والانعام المواشى من الابل وغيرها ، وقد قيل ان النعم والانعام بمعنى واحد ، والنعم تذكر وتؤنث ، قال الله تعـالى « ومن الانعـام حمـولـة وفـرشـا «362» » ، ثـم قـال « ثمـانيـة أزواج «363» » فذكر أنواع الماشيـة ، ووقـع فى بعـض الروايات « نعما » جمع نعمة ، والاشهر « نعمـا » بالفتـح ، والثرى الكثير من كل شىء ، يقال ثرى بنو فلان بنى فـلان أى صاروا أكثر منهم ، ويقال اثرى الرجـل اذا كثـر مالـه ، وقوله « ميرى أهلـك » أى صليهم بالميـرة وهى الطعـام ، وأصله من امتيار البوادى من الحواضر

عـربـيـتـه :

قولها « نعما ، أو نعما ثريا » والنعم مؤنثـة ، وجـاء بـ « ثرى » الذى هو وصف للمذكر ولم يأت فيه بعلامة تأنيـث فيقول « ثرية » ، وكذلك يلزم على القول بتأنيث النعم ، ولكن وجهه ان كل ما ليس بحقيقى التأنيث فلك وجهان فى اظهار علامة تأنيثه فى الفعل واسم الفاعل والصفة أو تركهـا ، وكذلـك فى جموع من المذكـر والمؤنث الحقيقى ، كما قـال الله تعالـى

«362» سورة الانعام ، الآية 142 .
«363» سورة الانعام ، الآية 143

(وقال نسوة «364») و (قالت الاعراب «365») وقـــال :
(رجالا كثيرا «366») و (أعجـــاز نخـــل منقعـــر «367»)
وقال الـــشـــاعـــر :

طويـــلا سواريـــه شديـــدا دعـــائمـــه

وقـــــــال :

لـــئـــيـــم مآثره ، قعدد «368»

كما لو قال : كثيرة ومنقعرة وطويلة وشديدة ولئـــيمة الوجهـــان جائزان ، واما على رواية « النعم » والقول بأنها مذكرة فهـــو الوجه ولا يحتاج فيه الى كلام .

مـــعـــنـــاه :

وصفت هذا الرجل الذى تزوجتـــه بالســـؤدد فى ذاتـــه ، والسعة فى ذات يده ، وانه صاحب حرب وركوب ، وبالاحسان اليها ، والتفضل على أهلها «369» ، ثم أخبرت انه مع هذا كله لم يقع عندها موقع أبى زرع ، وان كثيره دون قليل ابى زرع ، فكيف بكثيره ؟ وان حال هذا الآخر عندها معيب اذا اضافته الى حال أبى زرع ، مع اساءة أبى زرع لها أخيرا فى تطليقها ،

«364» سورة يوسف ، الآية 30 .
«365» سورة الحجرات ، الآية 14 .
«366» سورة النساء ، الآية 1 .
«367» سورة القمر ، الآية 20 .
«368» تعدد : ز ، ممد : س وهو غلط ، والقعدد : الجبان اللئيـــم القاعد عن المكـــارم .
«369» على اهلها : س ، عليها : ز .

والاستبدال بها ، ولكن حبها له بغض اليها الناس بعده ، ولهذا كره أولو الرأى تزويج (88) امرأة لهـا زوج طلقهـا ، لميـل نفسها اليه ، وقالوا : لا تتزوج حنانة ولا أنانة ولا منانة ، ففى الحنانة وجهان : احدهما التى لها زوج فهى تحن اليه ، والثانى الولد ممن قبلك ، فهى أيضا كثيرة الحنين اليه ، مشتغلة به عنك ، والانانة : الكثيرة الأمراض ، فهى تئن أبدا ، فلا يصفو عيشك معها لذلك ، والمنانة : التى لها مال تمن به عليك ، وقولهـا « وأعطانى من كل رائحة » ويروى « وآتـانى من كل سائمـة زوجا » ، وآتـانى واعطانى بمعنـى واحـد ، والسائمـة : الـراعـيـة ، والـرائحـة : أصـلـه الآتـيـة وقـت الرواح ، وهو آخر النهار ، ومنه سمى المراح ، وهو موضـع مبيتها ، والرواح ضد الغدو ، وفى الحديث : « لغدوة فى سبيل الله اوروحة (89) » ، وفيه : « كالطير تغدو خماصـا وتـروح بطانا (90) » ، وقد وجد للعرب استعمالـه فى النهـار كلـه ، حكاه الهروى وغيره ، وعليه حمل الشافعى وغيره حديث رواح

---

(88) « تزويج » كذا بالاصول ، والاولى : « تزوج » .

(89) رواه البخارى فى باب الغدوة والروحة فى سبيل الله من كتـاب الجهاد ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبـى صلى الله عليه وسلم قال : لغدوة فى سبيل الله او روحة خير من الدنيـا وما فيها . ثم رواه من طريق ابى هريرة ، ورواه مسلم ايضا .

(90) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم 7420 ، ولفظه : « لو انكم توكلون على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير : تغـدو خماصا ، وتروح بطانا » . رواه الامام احمد ، والترمذى وابن ماجه فى الزهد ، والحاكم فى الرقائـق ، والنسائى ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرفوعا .

الجمعـــة (91) ، ويـــقـــال تـــروح الـــقـــوم وراحـــوا اذا ساروا أى وقت كان ، ومن رواه « وأراح على من كل سائمـــة زوجين ، ومن كل آبدة اثنين » ، فالآبـــدة : أصلهـــا «370» المتوحشة ، والجمع أوابـــد ، يقـــال أبدت تابـــد وتأبـــد اذا توحشت ، ومنه : كلمة آبدة ، ورماه بآبدة أى بكلمة غريبة لم يعهد مثلها ، والاوابد : الوحش ، قال امرؤ القيس :

قـــيـــد الاوابـــد هـــيكـــل

وقد تتشبه بها الابل المؤبلة «371» والنعم المهملة .

عـــربـــيـــتـــه :

ومن رواه « من كل ذى رائحة » فعلى قولـــه ذا صبـــاح

«370» اصلها : ز ، ـ : م ك س .

«371» المؤبلة : ز ك ، الطويلة : م س ، ويقال للابـــل « مؤبلـــة » اذا كانت للقنـــية .

---

(91) حديث رواح الجمعة هو ما رواه الجماعة الا ابن ماجه ، عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلـــى الله عليه وسلـــم قال : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا اقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجـــة ، ومن راح فى الساعة الخامســـة فكأنما قرب بيضة ، فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعـــون الـــذكـــر » .

وقد حمل الشافعى وغيـــره « الرواح » المذكور فى هـــذا الحديث على التبكير فى الذهاب للجمعة قبل الزوال ، فيكون قد فسر الرواح باستعماله فى النهار كله . اما المـــالكية فقالـــوا ان المراد بالساعات خمس لحظات لطيفـــة اولهـــا زوال الشمـــس وآخرها قعود الخطيب على المنبر ، فيكون قـــد فسروا الـــرواح باستعماله فى العشى الذى هو ضد الغدو .

وذات يوم ، فكأنه دعم للكلام وصلة لـــه ، والا فذى أصلهـا ألا تضاف الا الى الاجناس ، كقولك ذو مال وذو علم ، ولا تضاف الى الصفات فتقول ذو عالم ولا ذو عاقل ، لانه يكتفى بذكـر الصفة عنها ، بخلاف الجنس الذى لا تصف به اذا أردت الوصف الا بذى ، أو بتصريف اسم صفـة منـه ، فادخلـت « ذى » لتتوصل بها الى الوصف بالاجناس ، ولاجل ذلك لم تضف الى صفة مشتقة ، وانما تضاف الى ظاهر غير صفة ، ولا أعلم لهذه اللفظة مثلا فى كلام العرب .

مـعـنـاه :

أرادت بقولها هذا كثرة ما أعطاها من جميع مـا يروح الى منزلها ويرعى بفنائها «372» ، من ابل وبقـر وغنـم وعبـيد ودواب ، وانه اعطاها أصنافا من ذلك ولم يقتصر على الفرد فى ذلك «373» ، حتى ثناه وضعفه احسانا اليها ، وتكرما عليها ، وانه صاحب صيد وقنص يروح بها مثنى مثنى ، ويضيفها الى ما اكتسب واقتنى ، و « الزوج » يقـع على الواحد ويقـع على الاثنين ، ولذلك قالوا زوجان ، ولكن لا يقـع على الواحـد الا اذا كان معه آخر ، قاله الهروى ، وقال ابن دريد : الاثنان زوج وزوجان ، والزوج : الصنف ، ومنه قوله تعالى (أو يزوجهـم ذكرانا واناثا) «374» وقوله (وكنتم أزواجا ثلاثة «375»)

«372» ويرعى بفنائها : ز ، ـ : م ك س .
«373» الفرد فى ذلك : ز ، ـ : م ك س .
«374» سورة الشورى ، الآية 50 .
«375» سورة الواقعة ، الآية 7 .

أى اصنافا ، وانكر ابن الانبارى أن يسمى الاثنان زوجا ، وانما يقال لهما زوجان .

وقول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة : « كنت لك كأبى زرع لأم زرع » : تطييبا لنفسها ، ومبالغة فى حسن معاشرتها ، لما ذكرته أم زرع من حسن صحبته لها ، وشكرته فى «376» جماع حاله معها ، ثم استثنى من ذلك الامر المكروه منه ، بقوله عليه السلام « انه طلقها وانى لا اطلقك » تتميما لتطييب نفسها ، واكمالا لطمأنينة قلبها ، ورفعا للايهام ، لعموم التشبيه بجملة أحوال أبى زرع ، اذ لم يكن فيها ما يذم سوى طلاقه لها ، ومثله قوله عليه السلام فى الرواية الاخرى « فى الالفة والرفاء لا فى الفرقة والخلاء » ، أى فى الاتفاق لا فى الافتراق ، لان الرفاء هو من باب الالفة والاتفاق ، والخلاء من باب الفرقة والطلاق ، قال أبو عبيد : يكون الرفاء بمعنيين : يكون من الاتفاق وحسن الاجتماع ، ومنه رفء الثوب ، لأنه يضم بعضه الى بعض ، ويكون الرفاء من الهدوء والسكون ، وقال أبو زيد : الرفاء الموافقة ، وقيل الرفاء المال ، حكاه المفضل عن اليمامى فى منتخبه ، وقيل الرفاء السرور ، وقال ابن الانبارى : الخلاء المباعدة والمجانبة ، وكأنه مأخوذ من خلاء الابل ، وهو كالحران للدواب ، ومنه حديث النبى صلى

«376» فى : ز ك ، من : م س .

الله عليه وسلم يوم الحديبية : « ما خلأت القصواء (92) » ، لا سيما وقد ورد فى رواية ابى معاوية الضرير ما دل أن الطلاق لم يكن من قبل أبى زرع واختياره فانه قال « فلم تزل به أم زرع حتى طلقها » ، وقول عائشة رضى الله عنها « بأبى أنت وأمى ، بل أنت خير لى من أبى زرع » : جواب مثلها فى فضلها وعلمها ، فان النبى صلى الله عليه وسلم لما أخبرها انه لها كأبى زرع لأم زرع لفرط محبة أم زرع له واحسانه لها ، أخبرته هى أنه عندها أفضل ، وهى له أحب من أم زرع لأبى زرع .

عربيته :

قوله عليه السلام : « كنت لك كأبى زرع لأم زرع » أى أنا لك كأبى زرع لأم زرع ، كما قال بعضهم فى قوله تعالى « كنتم خير أمة » «377» أى أنتم ، وكان زائدة ، قالوا : «378» مثله قوله تعالى (من كان فى المهد صبيا «379») أى هو فى المهد ، وقوله (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها «380») أى أنت عليها ، و (صدقت أم كنت من الكاذبين «381») ،

«377» سورة آل عمران ، الآية 110 .
«378» قالوا : ز ، ـ : ك س .
«379» سورة مريم ، الآية 29 .
«380» سورة البقرة ، الآية 143 .
«381» سورة النمل ، الآية 27 .

---

(92) رواه البخارى فى باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع اهل الحرب وكتابة الشروط ، من كتاب الشروط ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، وعلق هذه الفقرة من الحديث فى كتاب الجهاد . ورواه ابو داود والامام احمد .

وفى بعض هذا اختلاف ، قالوا : ومنه قوله فى الحديث : « كن أبا ذر (93) » . وقد يحتمل عندى هذا غير ما قالوه ، وانشدوا :

وجيــران لنــا كانــوا كــرام

وقد يصح أن تكون « كنت » هاهنا على بابهــا فى النقص والاستعمال وافادة زمان محصل ، أى كنت لك فى سابق علــم الله وقضائه كأبى زرع لأم زرع ، فى احسانه لهــا ، ومحبــتها فيه ، ويتوجه هنا فيها أيضا وجه ثالث : وهو ان تكون « كان » على بابها ، ثم يراد بها الاتصال ، أى كنت لك فيمــا مضى من صحبتى لك وعشرتى اياك كأبى زرع وانا كذلك لا اتبدل عنه ، كما قالوا فى قول مرة بن محكان السعدى :

أنــا ابن محكان اخوالى بنو مطر

انمى اليهم وكانوا معشرا نجــبــا

أى كان من مضى منهم نجيبا ومن بقى كذلك ، وفى الكتاب العزيز (وكان الله سميعا بصيرا) «382» ، و (ان الله كان عليمــا حكيما) «383» و (انه كان حليما غفــورا) «384» فى أمثلــة

«382» سورة النساء ، الآية 134 .
«383» سورة النساء ، الآية 11 .
«384» سورة الاسراء ، الآية 44 .

---

(93) رواه ابن هشام فى السيرة ، فى « غزوة تبوك » .
وابو ذر هو جندب بن جنادة ، من بنى غفار ، صحابى جليل ، قديم الاسلام ، اصدق الناس لهجة ، وكان كريمــا لا يدخــر من المال قليلا ولا كثيرا . توفى سنة 32 هـ .

كثيرة ، وهو تعالى كان فى الازل كذلك ، وكذلك هو جل اسمه ، وعليه حمل بعضهم قوله تعالى (كنتم خير أمة) «385» و (من كان فى المهد صبيا) «386» .

«385» سورة آل عمران ، الآية 110

«386» سورة مريم ، الآية 29 .

فقــه

قال المهلب ابن أبى صفرة (94) الفقيه : فيــه من الفقــه جواز التأسى بأهل الاحسان من كل أمة ، الا ترى أن أم زرع أخبرت عن أبى زرع بجميل عشرته فامتثله النبى صلــى اللــه عليــه وسلم

قال الفقيه القاضى أبو الفضل رضى الله عنه :

وهذا عندى غير مسلم ، لأنا لا نقــول ان النبى صلى الله عليه وسلم اقتدى بأبى زرع ، بل اخبر أنــه لهــا كأبى زرع ، وأعلم ان حاله معها مثل حال ابى زرع «387» ذلــك ، لا على التأسى به ، وأما قوله بجواز التأسى بأهــل الاحسان من كل أمة فصحيح ما لم تصادمه «388» الشريعة .

وفيه من الفقه جواز قول المرء لصاحبه : بأبى أنت وامى ،

«387» ابى زرع : س ، ـــ : ز م ك .
«388» تصادمه : م س ، ترده : ز ، تضاده : ك ، وكلها بمعنى .

---

(94) هو ابو القاسم المهلب بن احمد بن اسيد ابن ابى صفرة التميمى ، المالكى ، من اهل العلم الراسخين فى الفقــه والحديث والعبــادة والنظر ، اختصر صحيح البخارى ، وشرح الموطا ، وهو غيــر المهلب ابن ابى صفرة امير البصرة ، توفى سنة 433 هـ .

وفداك أبى وأمى ، وهما بمعنى واحـــد ، وقد قالـــه النبى صلى الله عليه وسلم لسعد (95) رحمه الله والزبيـــر (96) رضـــى الله عنهما وغيرهما ، وهو من معروف كلام العرب ، وقاله أبو بكر وغيره للنبى صلى الله عليه وسلم (97) ، وكذلك قولهـــم : جعلت فداك ، ونفسى فداؤك ، وقاله أبو طلحة (98) وأبو ذر

---

(95) قول النبى صلى الله عليه وسلم لسعـــد : « ارم ، فداك ابـــى وامى » : رواه البخارى فى بابه المجن ومن يترس بترس صاحبه ، من كتاب الجهاد ، عن على رضى الله عنه ، وفى مناقب سعد ابن ابى وقاص ، من ابواب فضائل اصحابه النـبى صلى اللـه عليه وسلم ، عن سعد ، ورواه الامام احمد (1 : 124) .

وسعد هو سعد ابن ابى وقاص مالـــك بن اهيـــب القرشى الزهرى ، فاتح العراق ، واول من رمى بسهم فى سبيـــل الله ، واحد العشرة المبشرين بالجنة ، توفى سنة 55 هـ .

(96) قول النبى صلى الله عليه وسلم للزبير : « فداك ابى وامى » : قاله له حينما اتاه بخبر بنى قريظة ، رواه البخارى فى باب مناقب الزبير بن العوام ، من ابواب فضائل اصحاب النبى صلى اللـــه عليه وسلم ، عن عبد الله بن الزبير . ورواه الامام احمد (1 : 164).

والزبير هو ابن العوام بن خويلد الاسدى ، ابن عمة النبى صلى الله عليه وسلم ، واحـــد العشرة المبشـــرين بالجنـــة ، توفى سنة 36 هـ .

(97) قول ابى بكر ذلك للنبى صلى الله عليـــه وسلم رواه البخارى فى باب قول الرجل جعلنى الله فداك ، من كتاب الادب ، وفى مناقب ابى بكر ، وقاله ابو بكر ايضـــا للنبى صلى الله عليـــه وسلم اذ توفى بعد ان جاء وكشف عن وجهه وقبله ، رواه الامـــام احمـــد (1 : 5) .

(98) رواه البخارى فى باب قول الرجل جعلنى الله فداك ، من كتـــاب الادب . واخرجه ايضا فى الادب المفرد (رقم الحديث 802) ، والامام احمد (3 : 261) .

وابو طلحة هو زيد بن سهل بن الاسود النجارى الانصارى ، صحابى ، من الشجعان الرماة ، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ، وكان جهير الصوت ، توفى سنة 34 هـ .

(99) ورافع بن خديج (100) للنبى صلى الله عليه وسلـــــم (101) ، وفى شعر حسان :

فان أبى ووالـــده وعرضى   لعرض محمد منكم فداء «389»

وفيه الرد على من لم يجز قول هذا ، وما يحكى من انكاره عن الحسن ، ومن قال بقوله ، وانه لا يفدى احد بمسلم ، وان النبى صلى الله عليه وسلم انما قاله لأن ابويه مشركان . وهذه عائشة رضى الله عنها أبواها مسلمان ، وقد قالته له صلى الله عليه وسلم . وما روى من كراهية عمر لقول القائل لـــه جعلنى الله فـــداك ، وكراهـــة النبى صلى اللـــه عليـــه وسلـــم مثـــل ذلك من الزبير من قوله جعلنى الله فداءك يـــا رســـول اللـــه ،

«389» فداء : س ، وقاء : ز .

---

(99) رواه ابو داود فى كتاب الادب (رقم 5226) ، والبخارى فى الادب المفرد (رقم الحديث 803) ، وكـــذا رواه البخارى فى الرقـــاق ومسلم فى الزكاة .

(100) هو الصحابى رافع بن خديـــج بن رافـــع الانصـــارى الاوسى الحارثى ، كان عريف قومه بالمدينة ، وشهد احدا والخندق ، توفى سنـــة 74 هـ .

(101) ومما روى ايضا فى تفدية الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما رواه الامام احمد ان عمر فدى النبى صلى الله عليه وسلم بالاب والام (5 : 355) ، ومـــا رواه الامام احمـــد ان ابا هريرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فداك ابـــى وامى (2 : 335 ، 355) ، ومـــا رواه البخـــارى فى الادب المفرد ان بريدة قال للنبى صلى الله عليه وسلم : جعلت فداك (رقم الحديث 805) ، ومـــا رواه الترمذى فى الشمائـــل ، باب ما جاء فى عيش رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، ان ابا الهيثم جاء يلتزم النبى صلى الله عليه وسلم ويفديه بأبيـــه وامـــه .

وقوله له : ما تركت اعرابيتك (102) بعد : وقد ضعف الطبرى هذه الآثار ، وتأول انكارها ان صحت ، وبجواز ذلك قال هو وغيره .

وفيه من الفقه شكر المرأة احسان زوجها ، وهكذا ترجم أبو عبد الرحمان النسائى على هذا الحديث ، وخرج فى الباب معه حديث ابن عمر : لا ينظر الله الى امرأة لا تشكر لزوجها ، الا ترى أم زرع كيف شكرت فعل زوجها بها «390» ، ثم انظر عائشة رضى الله عنها بعد كيف شكرت للنبى صلى الله عليه وسلم واعترفت بأنه خير لها من أبى زرع لأم زرع .

وفيه من الفقه تقريظ الرجل فى وجهه بما فيه اذا علم ان ذلك غير مفسد له ، ولا مغير نفسه ، والنبى صلى الله عليه وسلم مظنة كل مدح ، ومستحق كل ثناء ، وان من أثنى عليه بما أثنى فهو فوق ذلك كله ، وقد ورد فى الاثر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يقبل الثناء الا من مكافىء (103) ، قال

«390» بها : ز ، ـ : ك س .

---

(102) روى هذا الاثر عن الزبير الطبرانى كما قال ابن حجر فى فتح البارى ، باب قول الرجل جعلنى الله فداك ، من كتاب الادب .

(103) رواه الترمذى فى الشمائل عن سيدنا على رضى الله عنه فى صفة خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم (شرح جسوس 2 : 187) .

القتبى : معناه : الا أن يكون ممن أنعم عليه صلى الله عليه وسلم فيكافئه الآخر بالثناء ، ورد هذا ابن الانبارى وقال : هذا غلط ، لا ينفك احد من انعام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن الله تعالى بعثه للناس كافة ، وهداهم ورحمهم به ، فكلهم تحت نعمته ، والثناء عليه فرض لا يتم الاسلام الا به ، وانما المعنى : لا يقبل الثناء الا من رجل عرف حقيقة اسلامه ممن لا ينبز بنفاق ، وقيل : « مكافىء » مقارب فى مدحه ، غير مفرط فيه ، كما قال عليه السلام : « لا تطرونى كما اطرت النصارى عيسى (104) » .

وفيه من الفقه جواز ترفية المتزوج بلفظ الرفاء على ما كانت عليه عادة العرب لقوله عليه السلام كنت لك كأبى زرع لأم زرع «391» فى الالفة والرفاء فيستفاد من هذا اللفظ — ان لم يصح النهى عنه — جواز قوله للمتزوج ، لأنه اذا قاله احد الزوجين لصاحبه فما يمنع أن يقوله الاجنبى لأحدهما ؟ .

وقد اختلف العلماء فى هذا ، فروى جوازه ، قال عبد الملك بن حبيب : واستحبوا تهنئة الناكح والدعاء له ، وكان مما يقال : بالرفاء والبنين ، بارك الله لك ، ولا بأس بالزيادة على هذا من

«391» لام زرع : ز ، — : ك س .

---

(104) رواه البخارى عن عمر ، باب واذكر فى الكتاب مريم ، من كتاب احاديث الانبياء .

ذكر السعادة وما احب من خير ، وحكى عن شريح انه قال لمتزوج : بالرفاء والبنين (105) ، وكرهه آخرون ، فروى عن عقيل ابن أبى طالب أنه تزوج امرأة فقالوا له بالرفاء والبنين ، فقال قولوا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بارك الله لكم ، وبارك فيكم (106) » ، ذكره النسائى ، وفى رواية « عليكم » مكان « فيكم » ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم النهى أن يقال للمتزوج بالرفاء والبنين ، حدثناه القاضى أبو عبد الله التميمى وغيره ، قالوا حدثنا أبو مروان بن سراج ، حدثنا أبو القاسم الزهرى ، حدثنا أبو زكرياء بن عائذ قال : حدثنا احمد بن خالد ، حدثنا على بن عبد العزيز ، قال : حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام ، حدثنا هاشم «392» بن القاسم عن شيخ سماه ، عن الحسن عن عقيل بن ابى طالب

«392» هاشم : ز ك ، هشام : م س .

---

(105) اخرجه ابن ابى شيبة وعبد الرزاق ، كما قال ابن حجر عند باب كيف يدعى للمتزوج ، من كتاب النكاح . وشريح هو ابو امية شريح بن الحارث ، من اشهر القضاة الفقهاء فى صدر الاسلام ، ولى قضاء الكوفة فى زمن عمر وعثمان وعلى ومعاوية ، توفى سنة 78 هـ .

(106) رواه النسائى والطبرانى كما قال ابن حجر ، ورواه الامام احمد (1 : 201 ، 3 : 451) .

وعقيل هو ابو يزيد عقيل ابن ابى طالب عبد مناف بن عبد المطلب ، الهاشمى القرشى ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صحابى ، فصيح اللسان ، اعلم قريش بأيامها ومآثرها ومثالبها وانسابها ، توفى سنة 60 هـ .

عن النبى صلى الله عليه وسلم (107) ، واختلف فى توجيهه : فحكى المفضل بن سلمة (108) فى كتابه « الفاخر » فيه وجهين : احدهما أن ذلك كان لأن العرب كانت تعتقد بقولها ذلك اجتماعا لا فرقة فيه ، وهذا ليس كذلك ، والثانى انه كلام ليس فيه ذكر الله ، والله أعلم ، وذكر هذا الحديث الطبرى والخطابى ، قال الطبرى : الا أن الحسن راوى حديث عقيل بن أبى طالب لم يسمع منه ، وقد حدث به غيره فلم يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم ، قال الطبرى : والذى اختاره ما صحت به الرواية عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا رفأ الرجل يتزوج قال : بارك الله لك وبارك عليك ، قال : والزيادة غير محظورة ، وقد ذكر أبو داود (109) والترمذى هذا الحديث من طريق أبى هريرة وزاد فيه : « وجمع بينكما فى خير » .
اخبرناه هشام بن احمد الفقيه رحمه الله قراءة عليه ، قال حدثنا أبو على الحافظ ، قال : حدثنا أبو عمر ابن عبد البر ، قال : حدثنا أبو محمد ابن عبد المؤمن ، قال : حدثنا أبو بكر ابن

---

(107) ورواه ايضا الامام احمد (1 : 201 ، 3 : 451) . وللامام احمد روايتان لهذا الاثر ، ذكر كلتيهما فى كلا الموضعين : احداهما ان النهى عن الترفية مرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم ، والاخرى ان النهى موقوف على عقيل رضى الله عنه .

(108) هو ابو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم ، لغوى اديب ، من كتبه « البارع » فى اللغة ، و « الفاخر » فى ما تلحن به العامة ، و « الاستدراك على العين للخليل بن احمد » وغيرها ، توفى نحو سنة 290 هـ .

(109) باب ما يقال للمتزوج ، من كتاب النكاح (رقم 2130) .

داسة ، قال : حدثنا أبو داود السنجى «393» ، حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد العزيز بن محمد بن سهل «394» ، عن أبيه ، عن أبى هريـــرة ، أن النبى صلى الله عليـــه وسلـــم .... الحديـــث ، وترجم البخارى (كيف يدعى للمتـــزوج) وادخل حديث عبـــد الرحمان بن عوف وقول النبى صلى الله عليه وسلم وقـــد رأى عليه أثر صفرة : ما هذا ؟ قال : انى تزوجت امـــرأة ، قـــال : « بارك الله لك ، أولم ولو بشاة » . وقد روى عن معاذ بن جبل شهد النبى صلى الله عليه وسلم املاك رجل من الانصار فقال : « على الألفة والخير والطيـــر الميمـــون والسعـــة فى الـــرزق ، بارك الله لكم (110) » .

وفيه من الفقـــه جـــواز المـــزح فى الاحايـــين واباحـــة المداعبة مع الاهل ، وبسط الوجه واللسان مع جميـــع النـــاس بالكلام الحلو السهل ، فهو من حسن العشرة وطيب النفـــس ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا ، وروى عنه أبو هريرة قال : قالـــوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انك تداعبنا ، قال : انى لا أقـــول الا حقـــا (111) ،

«393» السنجي : ز ، السجرى : ك .
«394» بن سهل : ك س ، عن سهل : ز .

---

(110) قـــال ابن حجر : اخرجه الطبرانى بسنـــد ضعيف ، واخرجه فى الاوسط بسند اضعف منه ، واخرجه ابو عمـــرو البرقـــانى فى كتاب معاشرة الاهلين من حديث انس ، وزاد فيـــه « والرفـــاء والبنين » ، وفى سنده ابان العبدى وهو ضعيف .

(111) رواه الامام احمد (2 : 340) ، والترمذى فى البر ، وفى باب مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشمائل .

ورويت عنه احاديث مشهورة فى ممازحته بــلالا وأبــا عميــر وخواتا وزاهرا وأنسا وعائشة وغيرهم (112) ، وقال لعجوز : ان الجنة لا تدخلها العجوز (113) ، وقال لامــرأة سألتــه عن زوجها : أهو الذى بعينه بياض ؟ ، وقال لآخر : لاحملنك على ابن الناقة (114) ، وقال لجابر : فهلا بكرا تداعبها وتداعبك ،

---

(112) روى الترمذى فى بــاب مــزاح النبى صلى الله عليه وسلم فى الشمائل عن انس بن مالك قال : ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لاخ لى صغير : « يا ابا عمير ، ما فعل النغير » ؟ ورواه البخارى فى باب الكنيــة للصبى وقبل ان يولــد للرجل ، من كتاب الادب . وابو عمير هو كبشــة بن طلحة بن زيد ، اخو انس من امه .

وروى ايضا عن انــس ان النبى صلى الله عليــه وسلم اتى زاهرا يوما وهو يبيع متــاعه ، واحتضنــه من خلفــه ، ولا يبصره ، فقال (اى زاهر) : من هذا ؟ ارسلنى ، من هذا ؟ فالتفت ، فعرف النبى صلى الله عليه وسلم ، فجعل لا يالــو ما الصق ظهره بصدر النبى صلى الله عليه وسلم حين عرفه ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقــول : « من يشترى هذا العبد » ؟ ، فقال : يا رسول الله ، اذن والله تجدنى كاسدا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكن عند الله لست بــكــاســـــد » .

وروى ايضا عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له : « يا ذا الاذنين » . يعنــى يمــازحــه . ورواه ابــو داود (رقــم 5002) .

(113) فولت تبكى فقال : « اخبروها انها لا تدخلها وهى عجوز » . رواه الترمذى فى الشمائل عن الحسن البصرى مرسلا . وروى الخبر الذى بعد هذا ابن ابى حاتم وغيره ، كما فى شرح الشمائل لجسوس (2 : 34) .

(114) فقال : يا رسول الله ما اصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وهل تلــد الابــل الا النــوق » ؟ . رواه الترمذى فى الشمائل عن انس .

ويروى : تلاعبها وتلاعبك (115) ، فى اخبار معروفة كلها دالة على تواضعه وانبساطه للناس وتحببه ، وقد روى القاسم بـن سلام فيما حدثنا به جماعة من شيوخنا باسانيدهم عن عكرمة يرفعه ان «395» النبى صلى الله عليه وسلم كانت فيه دعابة ، وذلك أن «396» مع المزح والانبساط التحبب والقبول لا سيما مع الاهل والاصحاب ، وقد مدح بمثلـه الاشراف والكـرام ، كما قـال الشاعـر :

هو الظفر الميمون ان راح أو غدا به الركب والتلعابة المتحبب

ويحكى مثله عن جماعة من الصحابة والائمة مثل على وابن ثابت وابن سيرين والشعبى وغيرهم ، ولا أعلـم احـدا منع

«395» ان : ز ك ، الى : م س .
«396» ان : ز ك ، ــ : س .

---

(115) رواه البخارى فى باب تزويج الثيبات ، من كتـاب النكـاح ، ورواه ابو داود فى باب فى تزويج الابكار ، ورواه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجـه . والرواية فى كتب الحديث : « تلاعبهـا وتلاعبك » ، اما رواية « تداعبها وتداعبك » والتى قدمهـا القاضى عياض فى الذكر فلم اجدها ، وقد قال ابن حجـر عنـد شرحه لرواية « تلاعبها وتلاعبك » : (زاد فى روايـة المنفقات « وتضاحكها وتضاحكك » ، وهو مما يؤيـد انـه من اللعب ، ووقع عند الطبرانى من حديث كعب بن عجـرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل فذكر نحو حديث جابـر وقال فيـه « وتعضها وتعضك » ، ووقع فى رواية لابى عبـيدة « تذاعبهـا وتذاعبك » بالذال المعجمة بدل اللام) . ولم اجـد فى العربيـة « ذاعب ، يذاعب » ، والظاهر ان رواية ابى عبـيـدة رويت بالمعنى ووقع فيها تصحيف فرويت بالذال المعجمة بـدل الدال المهملة ، ولعل رواية « تداعبها وتداعبك » بالدال المهملة قـد وقعت للقاضى عياض فى احدى رواياته للحديث ، والله اعلم .

الدعابة «397» مع الأهل والانبساط مع الحامة «398» وأهل البيت ، وقد قال عمر رضى الله عنه : ينبغي للرجل أن يكون فى أهله كالصبى ، فاذا التمس ما عنده وجد رجلا ، وعن زيد بن ثابت انه كان من أفكه الناس فى أهله وأزمتهم اذا جلس مع القوم .

وأما ما روى فى ذم المزاح والنهى عنه مثل ما حدثناه القاضى محمد بن اسماعيل ، عن أبى الوليد هشام بن محمد بن مسلمة ، عن ابى محمد ابن النحاس ، عن أبى سعيد ابن الاعرابى ، عن محمد بن عبد الله الحضرمى ، حدثنا ابن نمير ، حدثنا المحاربى ، عن ليث ، عن عبد الملك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تمار أخاك ولا تمازحه (116) » ، وحدثنا احمد بن محمد الخولانى اجازة ، عن ابى عمر الطلمنكى ، عن احمد بن عون الله ، عن ابى سعيد ابن الاعرابى ، عن أبى داود ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمان ، حدثنا شعيب بن اسحاق ، عن ابن أبى ذئب ، عن عبد الله بن السائب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يأخذ أحدكم متاع أخيه جادا لاعبا (117) » ، وقول عمر بن عبد العزيز : اياك والمزاح

«397» الدعابة : م س ، المداعبة : ز ك .
«398» « الحامة » : كذا بالاصول ولعله تصحيف ، ولعل الصواب : « الخاصة » .

---

(116) ورواه الترمذى فى البر ، عن ابن عباس رضى الله عنهما .
(117) رواه ابو داود فى باب من ياخذ الشىء على المزاح ، من كتاب الادب ، (رقم 5003) والامام احمد (4 : 221) .

فانه يجر القبيحة ، ويورث الضغينة ، وقول خالد بن صفوان :
المزاح سباب النكى ، فليس هذا من المزاح
المحمود المباح ، فان ما يهيج الضغائن ويعد من السباب
والكذب أو يتسلط «399» به على عرض رجل أو ماله فليس
هو من المزاح المحمود ، ولا هو من جنس
ما مازح «400» به النبى صلى الله عليه وسلم ، فانه ليس فى
«401» مزاح النبى صلى الله عليه وسلم شىء زائد على خفض
الجناح ، وبسط الجانب ، وجلب التودد ، ومن ذهب الى أنه
يسقط الهيبة كما قال اكثم بن صيفى فلعله فى الاكثار منه ،
والتخلق به ، حتى يؤدى الى سقوط المروءة واستشعار سمة
السخف والمجانة ، وانما المحمود منه
ما قل وندر ، واستجمت به النفس عند كلالها ، كما قدمناه فى
أول الكتاب وبيناه ، أو بسطت به «402» نفس الغير عند
انقباضها كما شرحناه ، وقد قال أبو الفتح البستى :

أفد طبعك المكدود بالجد راحة   يجم ، وعلله بشىء من المزح
ولكن اذا أعطيته المزح فليكن
بمقدار ما تعطى «403» الطعام من الملح

وأما قول من قال : انما سمى المزاح

«399» يتسلط : س ، تسلط : ز ك .
«400» مازح : ز س ، مزح : ك .
«401» فى : ز ك ، من : م س .
«402» به : ز ك ، له : م س .
«403» تعطى : ز ك ، يعطى : م س .

مزاحا لأنه زاح عن الحق ، فلا يصح لفظا ولا معنى ، أمـــا المعنى فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا ، وأما اللفظ فان «404» الميم فى المزاح أصلية ثابتـــة فى الاسم والفعل ، ولو كان أصله كما قال كانت زائدة ساقطة من الفعل ، وأنشد أبو عبيد فى ذمه لبعضهم ·

أمـــا المزاحة «405» والمراء فدعهـــما
خـلــقـــان لا أرضـــاهمـــا لصـــديـــق

انـــى بلـــوتهـــمـــا فلـــم أحمـــدهمـــا
لمـــجـــاور جـــارا ولا لـــرفـــيـــق

وانشدت أنا فى هـــذا المعنى مما قلتـــه قديمـــا ، وهـــو مـــن المتشابه القوافى :

اذا مـــا بسطـــت بســـاط انبـــســـاط
فمنه «406» فديتـــك فاطـــو المـــزاح

فان المـــزاح كمـــا قـــد رآه «407»
أولـــوا العلـــم قبـــل عن الحلم زاحـــا

وفيه من الفقه ان المشبه بالشىء لا ينـــزل منزلتـــه فى كل شىء ، والنبى صلى الله عليه وسلم قد شبه نفسه النفيسة فى

«404» فان : ز س ، فلان : م .
«405» المزاحـــة : ك س ، المـــزاح : ز ، ولعـــل الصـــواب الاول لضرورة الوزن .
«406» فمنه : ز م س ، فمعنـــه : ك .
«407» رآه : س ، راى : ز ك .

صحبة «408» عائشة رضى الله عنها بأبى زرع ، ومن فعل أبى زرع معها الطلاق ، فلم يكن لازما ، ولو أن رجلا ذكر امرأة له قد طلقها فوصفها لزوجة أخرى له بأوصاف كثيرة جيدة أو رديئة ، ثم ذكر انه طلقها ، ثم قال للاخرى : وانت مثلها ، ولم ينو مثلها فى الطلاق ، لم يلزمه الطلاق ، وحمل على مراده فى التشبيه «409» لها فيما تقدم ذكره ، ولم يلزمه طلاق حتى ينوى مثلها فى الطلاق ، أو يكون لم يذكر شيئا من الاولى سوى الطلاق ، مثل أن يقول : فلانة طالق أو قد طلقتها أو فلان طلق زوجه فلانة ، ثم يقول لزوجة له أخرى : وانت مثلها ، فهذا يلزمه الطلاق نواه أو لم ينوه اذا قامت عليه باللفظ بينة ، اذ لا احتمال لقوله سوى الزام الطلاق .

تنبيه : ذكر بعض من تكلم على معانى الحديث ان فى هذا الحديث من الفقه قبول خبر الواحد ، قال : لان أم زرع أخبرت بما أخبرت فامتثله النبى صلى الله عليه وسلم .

قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :

هذا كلام من لا يعرف خبر الواحد ولا قبوله ، والنبى صلى الله عليه وسلم لا نقول انه امتثل حال أبى زرع فى احسانه لام زرع ، بل قد كان كذلك ، وانما أخبر عائشة أنه لها مثل أبى زرع لأم زرع ، الا تراه كيف قال : « كنت لك »

«408» صحبة : ز س ، صحبته مع : ك .
«409» فى التشبيه : س ، من التشبيه : ز .

فاخبر عن حالة «410» كائنة ثابتـــة ، وان كان انمـــا تأسى بشيمة أبى زرع ، كما قال المهلب قبل ان فيه التأسى بأهـــــل الاحسان من كل أمة ، فليس هذا من باب قبول خبـــر الواحد ، لان التأسى بمحاسن الاخلاق شيمة أهل الفضـــل ، وامتـــثـــال محاسن السير من شمائل «411» اولى العدل «412» ، وخبر الواحد من باب آخر ، مأخذه ومستنده الى صـــاحب الشـــرع ، وقبوله وامتثال مقتضاه حكم طريقه عند أهل التحقيق القطع ، وفيما المعنا به من القول كفاية لا يحتمل أكثر منها الوسع .

«410» حالة : ز س ، حال : م ك .
«411» شمائل : ز م ك ، شيم : س .
«412» العدل : س ، العقل : ز .

بيان

ونحن الآن نفى بما وعدنا به من ذكر ما اشتمل عليه هـذا الحديث من ضروب الفصاحة ، وفنون البلاغـة ، والابـواب الملقبة بالبديع فى هذه الصناعة ، من لفظ رائق ، ومعنى فائق ، ونظم متناسب ، وتأليف متعاضد متناسق ، وبالجملة فكلام هؤلاء النسوة فى الروايات المشهورة «413» من الكـلام الفصيـح الالفـاظ ، الصحيـح الاغـراض ، البليـغ العبـارة ، البديع الكنـاية والاشارة ، الرفيع التشبيـه والاستعـارة ، وبعضهن أبلغ قولا ، واعلى يدا وأكثر طولا ، وأمكـن قـاعدة وأصلا ، وكلام بعضهن أكثر رونقـا وديباجـة ، وأرق حاشية وأحلى مجاجة ، وبعضهن أصدق فى الفصاحة لهجة ، وأوضح فى البيان محجة ، وأبلغ فى البلاغة والايجاز حجة ، فانت اذا تأملت كلام أم زرع وجدته مع كثرة فصوله ، وقلة فضولـه ، مختـار الكلمات ، واضح السمات ، بين «414» القسمات ، قـد قدرت الفاظه قيس معانيه ، وقررت قواعده وشيدت مبانيه ، وجعلت

«413» فى الروايات المشهورة : ز ، ــ : م ك س .
«414» بين : م س ، مجلو : ز ، نير : ك .

لبعضه فى البلاغة موضعا ، وأودعته من البديع بدعا ، واذا لمحت كلام التاسعة صاحبة العماد والنجاد والرماد ، الفيتها لأفانين البلاغة جامعة ، ولعلم البيان رافعة ، وبعصا الايجاز والقصد قارعة ، واعتبر كلام الاولى فانه مع صدق تشبيهه ، وصقالة وجوهه ، قد جمع من حسن الكلام أنواعا ، وكشف عن محيا البلاغة قناعا ، وقرن بين جزالة الالفاظ «415» وحلاوة البديع ، وضم تفاريق المناسبة والمقابلة ، والمطابقة والمجانسة ، والترتيب والترصيع ، فاما صدق تشبيهها فعلى ما شرحناه قبل ، والتشبيه احد أنواع «416» البلاغة ، وابدع أفانين هذه الصناعة ، وهو موضوع «417» للجلاء والكشف ، والمبالغة فى البيان والوصف «418» ، والعبارة عن الخفى بالجلى ، والمتوهم بالمحسوس ، والحقير بالخطير ، والشىء بما هو أعظم منه وأحسن ، أو أخس وأدون ، وعن القليل الوجود بالمألوف المعهود ، وكل هذا لتأكيد البيان ، والمبالغة فى الايضاح ، فانظر أين قول القائل : الذين كفروا أعمالهم لا ينتفعون بها من قوله تعالى (الذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة «419») الآية ، وتأمل بون ما بين الموضعين من البيان ، وفرق ما بين الكلامين فى «420» الايضاح ، وان

«415» الالفاظ : م س ، اللفظ : ز ك .
«416» انواع : س ، ابواب : ز .
«417» موضوع : ز ، موضع : س .
«418» الوصف : س ، الرصف : ز .
«419» سورة النور ، الآية 39 .
«420» فى : ز ك ، من : م س .

كان الغرض واحدا والموضوع سواء ، وكذلك قول امرأة : زوجى بخيل لا يوصل الى شىء مما عنده ، وبين كلام هذه المرأة المتكلم عليه ، ووجه بلاغة التشبيه ما فيه من الجلاء والايضاح ، كما قدمناه ، وأكثر تشبيهات الكتاب العزيز من هذا النمط ، كقوله تعالى (مثل نوره كمشكوة فيها مصباح «421») الآية ، و (مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء «422») الآية ، أو لما فيه من المبالغة والغلو ، وهو من أبواب البلاغة ، ومرجعه الى البيان والايضاح ، كتشبيه الشىء بما هو أعظم منه وأكبر ، نحو قوله تعالى (وله الجوار المنشئات فى البحر كالاعلام) «423» ، أو أفضل منه واحسن ، كقوله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان) «424» ، أو أحقر منه وأدون ، كقوله (كمثل الكلب) «425» الآية ، أو لما فيه من التخريج والتوليد لغريب الشبه ومخيلة «426» المثال ، وهو وجه بلاغته ، كقول المعرى فى كف الثريا :

كان يمينها سرقتك شيئا ومقطوع على السرق البنان

وقد يقع تشبيه الشىء بالشىء تشبيها مجردا ، لضرب من الشبه ، ليس فى شىء من الابواب المتقدمة ، كقول امرىء القيس :

«421» سورة النور ، الآية 35 .
«422» سورة يونس ، الآية 24 .
«423» سورة الرحمن ، الآية 24 .
«424» سورة الرحمن ، الآية 58 .
«425» سورة الاعراف ، الآية 176 .
«426» مخيلة : س ، تحلية : ز .

كان قلـوب الطيـر رطبـا ويـابسـا
لدى وكرهـا : العناب والحشف البـالى

لكنه يلحق بنوع التوليد والتخريج ، الذى بلاغته الفطنـة لادراك التشبيه لا غير وصدقه فيه ، وان كان لبعضهم فى هـذا البيت مقال لا ارتضيه ، ولا بد أن يكون التشبـيه صادقـا من الوجه الذى وقع به التشبيه ، والا اختـل بـه الكلام ، وهـذه المرأة قد شبهت بخل زوجها ، وانه لا ينال ما عنده ، مع شراسة خلقه ، وكبر نفسه ، بلحـم الجمل الغـث ، على رأس الجبـل الوعث ، فشبهت وعورة خلقه بوعورة الجبل ، وبعد خيره ببعد اللحم على رأسه ، والزهد فيما يرجى منه لقلته وتعذره بالزهد فى لحم الجمل الغث ، فاعطت التشبيه حقـه ، ووفتـه قسطه ، وهذا من تشبيه الخفى بالجلى ، والمتوهم بالمحسوس ، والحقير بالخطير ، ومما جاء فى كلام صواحبها من التشبيه قول الثالثة : « أنـا منه «427» على مثل حد السنان المذلـق » ، فصدقت التشبيه لأنها اخبرت ان حالها معه من الخوف وعدم الاستقرار كمن هو على مثل حد السنان المحدد : اما أن تحيد عنه فتهلـك سقوطا ، أو تثبت فيهلكها ، فبينت بهذا التشبيه قولها قبل « ان اسكت اعلق ، وان انطـق اطلـق » ، وكذلـك وجـه «428» تشبيه الاخرى زوجها بليل تهامة ، وغيث غمامة ، وهذا كله من تشبيه الخفى بالجلى ، والمتوهم بالمحسوس ، وهو من بـاب المبالغة والغلو ، ومثل هذا قـول أم زرع « مضجعـه كمسـل

«427» انا منه : ز ، ــ : م ك س .
«428» وجه : ز ، ــ : م ك س .

شطبة » ، فهو من باب الغلو ، الى سائـــر مـــا عندهـــن مـــن التشبيهات ، فكلها حسان بينات ، قـــد تقدم الكـــلام عليهـــا فى مواضعها ، وقول الثامنة « المس مـــس أرنـــب ، والريح ريـــح زرنب » تشبيه أيضا ، ولكن بغير أداة التشبيه ، فان التشبـــيه على ضربين : بأداة وهى الكاف وكأن ومثل وشبه واخواتها ، وبغير أداة التشبيه ، ومثله قـــول أم زرع « يلعبـــان من تحت خصرها برمانتين » على تأويل انهمـــا النهدان ، ومثلـــه قـــول الرابعة « والغيث غيث غمامـــة » ، فهذا تشبـــيه بغيـــر آلـــة التشبيـــه ، كقوله تعالى : « تمـــر مـــر السحـــاب «429» » وكقول امرىء القيـــس :

سموت اليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال

ثم انظر حسن نظم كلامها وتطارده ، واخـــذه حقـــه من المؤالفة والمناسبة فى الالفاظ ، التى هى رأس الفصاحة ، وزمام البلاغة ، فانها وازنت الفاظهـــا ، وماثلـــت كلمهـــا ، وقـــدرت فقرها ، وحسنت اسجاعها ، فوازنت فى الفقرة الاولى لحم برأس فى الثانية ، وجمل بجبل ، وغث بوعث ، فى الروايـــة الواحدة ، و « قحر » « بوعر » ، فى الرواية الاخرى ، فافرغت كل فقرة فى قالب أختها ، ونسجتها على منـــوال صاحبتهـــا ، ومن هـــذا الباب فى القرآن العزيـــز فى حسن التأليـــف ومناسبة الالفـــاظ ومقابلة الكلمات كثير ، كقوله تعالى : (اذا بعثر ما فى القبور ، وحصل ما فى الصدور «430») وقوله : « فاثرن بـــه نقعـــا ،

«429» سورة النمل ، الآية 88 .
«430» سورة العاديات ، الآية 9 — 10 .

فوسطن به جمعا «431» » على أن هذا داخل فى باب الترصيع ، ومنه قول السادسة « ان أكل اقتف ، وان شرب اشتف ، وان هجع التف » ، وقول الخامسة : « ان خرج اسد ، وان دخل فهد » ، وقول الرابعة : « لا حر ولا قر ، ولا مخافة ولا سئامة » ، وقول الثامنة « المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب » ، فهذا كله من حسن النظم ، ومناسبة اللفظ ، وهو باب آخر من البديع يسمى المناسبة ، ومنه قول التاسعة « رفيع العماد ، طويل النجاد ، كثير الرماد » ، فكل لفظة على وزن صاحبتها ، وكقول أم زرع « أناس من حلى اذنى ، وملأ من شحم عضدى » ، وقولها « صفر ردائها ، وملء كسائها » ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه لعائشة : « فى الالفة والرفاء ، لا فى الفرقة والخلاء » ، وقولها « ارقد فاتصبح ، واشرب فاتقمح ، وآكل فاتمنح » ، وقول العاشرة « قليلات المسارح ، كثيرات المبارك » .

وفى كلام الاولى نوع ثالث من البديع يسمى « الترصيع » ، وقد يسمى بالموازنة وبالتسميط وبالتضفير وبالتسجيع ، وهو أن تتضمن الفقر أو بيت الشعر مقاطع اخر بقوافى متماثلة ، غير فقر السجع وقوافى الشعر اللازمة ، فيتوشح بها القول ، وينفصل بها نظم اللفظ ، كما أتت هذه « بجمل » فى وسط الفقرة الاولى ، و « جبل » فى وسط الفقرة الاخرى ، ففصلت بذلك الكلام ، على حد من المقابلة ،

«431» سورة القارعة ، الآية 4 — 5 .

أثناء السجعين اللذين «432» هما « غث ووعث » ، فجاء لكل فقرة سجعان متماثلان متقابلان ، ومثله قول أم زرع فى احدى الروايات « لا تبث حديثـنا تبـثيـثا ولا تنقث ميرتنا تنقيثا ، ولا تغث طعامنا تغثـيثـا » ، فان التـزام الثـاء فى « تبـث وتنقث وتغـث » ترصيع لمقاطع اسجاع هذه الفقـر ، وقول الثامنة « شجك أو فلك أو بجـك أو جمع كلا لـك » ، ومنه فى الحديث قـول على رضى الله عنـه : « انـه انقـى لثوبـك ، وأتقى لـربـك » .

وفى طيه باب رابع من البديع ، وهو مجانسة جمل بجبل ، وهو ان لم يجانسه فى كل حروفه فقد جانسه فى اكثرها ، وقـد اختـلـف أربـاب البـلاغـة والنـقـد فى هـذا الـنـوع اذا لم يكن مشتقا من أصل واحد : فسماها بعضهم « مجانسة » تغليبـا للاكثر . وامـا أبو الفرج قدامـة فسمى هـذا النـوع «مضارعة » ، وهذا مثل قول أم زرع أيضا « رجـلا سريـا ، ركب شريـا » وقولهـا « بـيـتهـا فـسـاح ، وفنـاؤهـا فيـاح » ، وقول الثانية « عجره وبجره » ، وقـول أم زرع « تعشيشا وتغشيشا » ، وأما التجنيس الحقيقى فهو أن يكون فى الكلام لفظتان احداهما مشتقة من الاخرى ، كقولـه تعالـى « ثـم انـصـرفـوا صـرف اللـه قـلـوبـهـم «433» »

«432» السجعين اللذين : ز م ، السجعتين اللتين : س ، السجـع الذي : ك .

«433» سورة التوبة ، الآية 127 .

و « يمحق الله الربا ويربى الصدقــات » «434» ، أو بمنــزلة المشتق كقوله تعالى (تتقلب فيه القلوب والابصــار) «435» وقوله (واسلمت مع سليمان) «436» وقولــه صلى الله عليــه وسلم : (اسلم سالمها الله ، وغفار غفر الله لها ، وعصية عصت الله ورسوله) (118) ، وقال امرؤ القيس :

لقــد طمــح الطمــاح من بعد أرضــه

فى أمثلة كثيرة ، أو تكون لفظتــان على صيغــة واحدة ، مختلفة المعانى ، كقوله عليه السلام : (الظلــم ظلمات يــوم القيامة) (119) ، ومن قول من تقدم فيه قول الافوه الاودى :

واقطع الهوجل مستأنسا بهوجل عيرانــة عنتريس

وقريب من هذا الباب قوله تعالى (وجوه يومئــذ ناضرة ، الى ربها ناظرة) «437» ، وولع المحدثون والمتأخرون بعد بــه «438» حتى اكثروا منه ، فمن مقصر ومجيد ، كقول البستى :

سمى وحمى بنى سام وحام فليس كمثله سام وحــام

وقــول الـسطــائــى :

ان الصفائح منك قد نضدت على ملقى عظام لو علمت عظام

«434» سورة البقرة ، الآية 276 .
«435» سورة النور ، الآية 37 .
«436» سورة النمل ، الآية 44 .
«437» سورة القيامة ، الآية 22 ــ 23 .
«438» بعد به : ز م ، بعذ به : س .

---

(118) رواه البخــارى والترمذى فى المنــاقب ، ومسلــم فى فضائــل الصحابة ، والدارمى فى السير ، والامام احمد عن ابن عــمر (2 : 20) .

(119) رواه مسلم فى البر ، والامام احمد عن ابن عمر (2 : 92) .

وقــول الــخــطــابــى :

وكــان عقــابى فى سلــوك عــقــاب

وكان ابو الفتح البستى يسمى مـا كان على صيغة بيـت الافوه بـ (المتشابه) ، واخترع قـوم من المتأخرين أنواعـا غريبة سموها (تجنيس التركيب) كقول المعرى :

مقاليــتا مقاليــتــا . ومطايــا مطايــا

وهو نوع متكلف من غير حدود البلاغة ، ولكن ربما يندر منـه المستحسن ، كقول الميكالى «439» :

تمت محاسنه فما يزرى بهـا	مع فضلـه وسخائه وكمالـه
الا قصور وجـوده عن جوده	لا عون للرجل الكريم كمالـه

وقول البستى : فهل لمنهاجى من هاجى ، وقوله : فدعنى فـان يقينى يقينى ، وقول الآخر :

الى أجـلى مشى قدمـى   أرى قدمى أراق دمـى

والحقوا به أيضا (تجنيس التصحيـف) ، وهو مشاركـة «440» صورة الحرف فى الخط دون اللفظ ، وهذا لا يدخـل فى باب البلاغة المستجادة ولا المتكلفـة أصـلا ، ولا فى شىء من حدود الكلام ولا «441» صناعته ، اذ لا يقرع السمع منـه لهجة ، ولا يقوم له فى النطق حجة ، وقد رأيـت ابـا منصور

«439» الميكالي : ز ك ، المكيالي : س .
«440» مشاركة : س ، مشاكلة : ز .
«441» ولا : س ، ولا فى : ز .

الثعالبى قد عد هذا الباب فى باب «442» التجنيس ، وذكر فيه قوله تعالى (وهم يحسبون أنهم يحسنــون صنعــا) «443» واشباها لهذا من الكلام ، وليس عندى من هذا الباب ، وهــو من الباب الاول الذى سماه قدامة بالمضارعة ، وهو التجنيس فى أكثر الكلمة أو بعضها ، وذكر فى هذا الباب قول بعضهم : النار فى الفتيلة كالتعادى للقبيلة ، وقول بعضهم : الصب مع الضب ، وســجــف وســخــف ، وصــحــاصــح وضــحــاضــح ، وشبه هذا ، فلم يحسن هذا ، ولم يقل شيئــا لاجــل صــورة الحروف ، اذ لاحظ لهذا كما قلنــاه فى الفصاحة ، ولاحظ له من التجنيس ، وانما حسن لوزن الكلمتين ، واتفــاق أواخرهمــا ، وقرب مخــارج أوائلهمــا وأواسطهمــا ، فهــذه هى أنــواع التجنيس ، الا أن قدامة بن جعفــر كان يسمى اتفــاق صيغتى اللفظ باختلاف المعنى الذى من جنس بيت الافــوه بالطبــاق ، والناس كلهم على خلافه ، وقد رد قولــه هذا الاخفش وابــو القاسم الآمدى وغيرهما ، وحكوا أن مذهب الخليل والاصمعى خــلافـــــه .

ثم أتت هذه المرأة فى كلامها بنوع خامس من البديــع ، وهو المسمى بالمطابقة عنــد الجمهور ، وهــو مقابلــة الشىء بضده ، فقابلت الوعر بالسهل ، والغــث بالسمين ، فى الفقرتين الاخيرتين ، وهو مما يحسن الكلام بمقابلته ، ويروق بمناسبته ، لا خلاف بين ارباب النقد فى ذلك ، وانما اختلــفوا فى تلقيبــه ،

«442» فى باب : س ، من باب : ز .
«443» سورة الكهف ، الآية 104 .

فكان قدامة يخالف فيه أيضا ، ويسمى هـذا (المتـكافىء) ، وخالفه فى هذا الجميع ، ولا يكون هذا النوع عنده متكافئـا الا اذا كانت الكلمة وضدها الحقيقى ، كما وقع هاهنـا من مضادة السمن للهزال والسهولة للوعورة ، ومثل السواد مع البياض ، والنطق مع السكوت ، فاما اذا لم يكن له بضد حقيقى ، ولا جاء معه على طرفى نقيض بين ، ولكن على حـد مـا من التقـارب كالبياض مع الحمرة ، والسواد مع الضوء ، فبعضهم يجعـله (طباقا) ، وبعضهم يسمى الاول بطباق محض ، وهذا بطباق غير محض ، وبعضهم يسمى هذا (مخالفا) ، والاول (مطابقا) ، ومن الباب الاول قول الله تعالى (ان ينصركم الله فـلا غالب لكم ، وان يخذلكم) «444» الآية ، وقوله تعالى (تحسبـهم جميعا وقلوبهم شتى) «445» ، وقول النبى صلى الله عليـه وسلم لعائشة فى هذا الحديث (فى الالفة والرفاء ، لا فى الفرقة والخلاء) ، فطابق الالفة بالفرقة ، التى هى ضدهـا ، والرفـاء بالخلاء ، ومثله قول أم زرع (صفر ردائها ، وملء كسائها) ، فصفر ضد ملء ، ومثله قول الثالثة (ان انطق اطلق ، وان اسكت اعلق) ، فطابقت انطق باسكت الذى هو ضده ، وقـول الرابعة (لا حر ولا قر) ، وقول الخامسة (ان دخل فهـد ، وان خرج أسد) ، فدخل وخرج طباق فى اللفظ ، وأسد وفهد طبـاق من جهة المعنى ، ولكنـه لا يسمـى طباقـا ويسمـى مقابلـة ، ومنه قول العاشرة (كثيرات المبـارك ، قليـلات المسارح) ،

«444» سورة آل عمران ، الآية 160 .
«445» سورة الحشر ، الآية 14 .

ومثال الوجه الثانى مقابلة وعث ـ على رواية من رواه ـ بسهل ، وانما ضد وعث الصلب أو اللبد ، وضد السهل الوعر أو الحزن ، وان كان قد روى أيضا (ليس بلبد) ، وهذا ضد (وعث) فيكون طباقا حقيقيا ، ومن هذا الباب قول أم زرع (اشرب فانتقمح ، وآكل فاتمنح) ، فجاءت بالاكل والشرب لتقاربهما وتناسبهما ، وكذلك قولها (تشبعه ، وترويه) ، وقولها (ملء كسائها ، وصفر ردائها) ، فجاءت بالرداء والكساء لمناسبتهما ، وقول السادسة (ان أكل ، وان شرب) .

وفى كلام هذه المرأة اعنى الاولى من الفصاحة وفنون البلاغة نوع سادس من البديع ، وهو حسن التفسير ، وغرابة التقسيم ، وابداع حمل اللفظ على اللفظ ، والمعنى على المعنى ، فى المقابلة والترتيب ، وذلك فى قولها (لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقى) ، فانها فسرت ما ذكرت ، وبينت حقيقة ما شبهت ، وقسمت كل قسم على حياله ، وفصلت كل فصل من مثاله ، وجاءت للفقرتين الاوليين بفقرتين مفسرتين ، وقابلت (لا سهل فيرتقى) بقولها (لا سمين فينتقى) ، وهذا يسمى (المقابلة) عند أهل النقد ، لا سيما على رواية وقعت فى النسائى ، بتقديم (لا سمين) ، فيكون أول تفسير لأول مفسر ، وهو قولها : (كلحم جمل) ، والثانى للثانى ، فحملت اللفظ على اللفظ ، وردت المقدم الى المقدم ، والمؤخر الى المؤخر ، فتقابلت معانى كلماتهما ، وترتبت ألفاظها ، ومثاله

قوله تعالى (لا فيها غول ، ولا هم عنهــا ينزفون) «446» ، علــى مــا قــدمنــاه أول هــذا المجــمــوع ومــثــالاتــه بما يغنى عن اعادته ، ولا أعلــم فى كلام صواحبها له مثــالا ، الا فى التفسير من قول الرابعة (زوجى كليل تهامــة ، لا حــر ولا قر ، ولا مخافة ولا سآمة) ، فانهــا أجــادت التفسيــر ، وحسنت التعبير ، بــل «447» قوله صلى الله عليــه وسلــم لعائشة (كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، فى الالفــة والرفــاء ، لا فى الفرقة والخلاء) من هذا .

ومما فى كلام هذه المرأة من بديع البلاغة نوع سابع ، وهو التزام ما لا يلزم فى سجعهــا ، وبعضهم يجعلــه احــد انــواع الترصيع فى قولهــا (فيرتقى ، وينتقى) ، فالتزمت القاف والتاء فى كل سجــع قبل القافية ، وقافيــة سجعها الألف المقصورة ، وكذلك قولها فى الرواية الاخرى « ينتقل ، ويتوقل » ، فقافيتهــا اللام والتزمت قبلها القاف ، وهذا نوع زيادة فى تحسين الكلام وتماثله ، واغراق فى جــودة تشابهــه وتناسبــه ، ولهــذا فى الاسجاع والقوافى طلاوة وديباجة ، يشهد الطبع لــه ، ويجده الذوق ، وعلته المشابهة والمناسبة لا سيما عند المقاطع وفصــل الكلام ، وهو موجود للمتقدمين نظما ونثرا ، وأولع به المتأخرون ولوعا كثيرا ، فمن مجيــد ومقصر ، وبالجملة فــلا يحسن منــه ومن جميع ما مخضنا «448» القول عنه الا مــا ساقه الطبع ،

«446» سورة الصافات ، الآية 47 .
«447» بل : ك ، بلى : ز س .
«448» مخضنا : ز م ، محضنا : ك ، حصلنا : س .

وقذف به الخاطر ، دون تكلف ولا مقاساة «449» ، ووجد لفظه تابعا لمعناه ، منقادا له ، موضوعا عليه ، غير مرغم فيه «450» ، ولا منافر له ، وقد جاء من مليح الالتزام فى كتاب الله تعالى فى فواصله ومقاطع آياته مـا لا شىء فى الحسن والفصاحة وقـلة التكلف مثله ، كقوله تعالى (والطور، وكتاب مسطور) «451» و(فلا اقسم بالخنس ، الجوار الكنس) «452» (والليل وما وسق ، والقمر اذا اتسق «453») و « فاما اليتيم فلا تقهـر ، وأمـا السائل فلا تنهر «454» و (أمرنـا مترفيها ، ففسقوا فيهـا) «455» » و « ما انت بنعمة ربك بمجنون ، وان لك لأجرا غير ممنون «456» » وقوله (فاذا هم مبصرون ، واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون » «457» وقوله (كلا اذا بلغت التراقى ، وقيل من راق ، وظن أنه الفـراق ، والتفت الساق بالساق ، الى ربك يومئذ المساق) «458» ، فى اشياء كثيرة ، والقرآن منزه عن أن يقال انه مسجع ، أو على اسلـوب من اساليـب كـلام العرب ، ولكن الفاظه عربيـة ، وبلاغته جامعة لمحاسن البلاغة ، معجزة بانفرادها ، على الصحيح من اقوال أهل الحق ، ومثالـه

«449» مقاساة : ز م س ، معاناة : ك .
«450» فيه : ز ك ، له : س ، له فيه : م .
«451» سورة الطور ، الآية 1 — 2 .
«452» سورة التكوير ، الآية 15 — 16 .
«453» سورة الانشقاق ، الآية 17 — 18 .
«454» سورة الضحى ، الآية 9 — 10 .
«455» سورة الاسراء ، الآية 16 .
«456» سورة القلم ، الآية 2 — 3 .
«457» سورة الاعراف ، الآية 202 — 203 .
«458» سورة القيامة ، الآية 26 — 30 .

من كلام صواحبها قول أم زرع (واشرب فاتقنح ، وآكل فاتمنح) ، وقولها فى وصف ابنه (الجفرة ، ثم اليعرة ، ثم النثرة) وقولها أيضا فى وصف الخادم فى بعض الروايات (ولا تغش طعامنا تغشيشا ، ولا تملأ بيتنا تعشيشا) ، وقولها (رجلا سريا ، ركب شريا) ، ثم ذكرت بعد ذلك (ثريا) ، وقول السابعة (شجك ، أو فلك ، أو بجك ، أو جمع كلا لك) ، وقول السادسة (اقتف ، والتف ، واشتف) ، وقول الثامنة (أرنب ، وزرنب) ، فروى سجعها الباء ، والتزمت قبلها حرفين الراء والنون ، وجاء فى كلام التاسعة (مالك ، وذلك ، ثم مهالك ، وهوالك) فالتزمت اللام فى أكثر سجعها ، وفى كلام الثالثة (اطلق ، واعلق ، ومخلق) فالتزمت اللام المشددة قبل قاف سجعها ، ومثل هذا الالتزام هو المحمود ، لما فيه من عدم الكلفة .

وفى قول هذه الاولى أيضا نوع ثامن من البديع يسمى (الايغال) ، ويسميه قوم (بالتبليغ) ، وهو ان يتم كلام الشاعر قبل البيت ، أو الناثر قبل السجع ان كان كلامه مسجعا ، أو قبل الفصل والقطع «459» ان لم يكن كذلك ، فيأتى بكلمة لتمام قافية البيت ، أو السجع ، أو مقابلة الفصول والقطع ، يفيد معنى زائدا كقول امرىء القيس :

كان عيون الوحش حول خبائنا . البيت (120)

«459» والقطع : ز ك ، والمقطع : م س .

---

(120) وتمام البيت :

وارحلنا ، الجزع الذى لم يثقب

فشبه عيون الوحش بالجزع ، فتم قوله ، ثم قال : الذى لم يثقب ، فزاده كمالا ، وقول ذى الرمة : رسوما كاخلاق الرداء ، فتم ، ثم قال : المهلهل ، فافاد اغياء ، فكذلك هذه لو اقتصرت على تشبيه زوجها بلحم جمل ، على رأس جبل ، لاكتفت ببعد مناله ، ومشقة الوصول اليه ، والزهد فيه ، وهو غرضها ، لكنها زادت بسجعها (غث ، ووعث) معنيين بينين ، وبالغت فى القول ، وافادت بزيادتهما التناهى فى غاية الوصف ، وكان من هذا الباب قوله تعالى (كأنهم أعجاز نخل خاوية «460») وقوله (كعصف مأكول) «461» ، فخاوية ومأكول ضرب من الايغال ، ومنه قوله تعالى (كأنهم حمر مستنفرة ، فرت من قسورة) «462» ، فان التشبيه اكتفى بقوله (حمر مستنفرة) ، وانتهى : مستنفرة ، فلما قال (فرت من قسورة) بالغ فى وصف النفار ، وأوغل فى الاغياء فيه بذلك ، ومثله قوله تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) «463» ، وقوله (فجعلناه هباء منثورا) «464» ، فان (القديم ، ومنثورا) افادا زيادة فى الوصف بعد اكتفاء المعنى بما تقدم قبل واستقلاله .

وفى قول الثالثة ـ سوى ما تقدم ذكرنا له فى كلامها وكلام الثانية والرابعة من مناسبة ومطابقة والتزام وتشبيه ـ اشارة الى الاستعارة بقولها (اعلق) ، فان الشىء المعلق ليس

«460» سورة الحاقة ، الآية 7 .
«461» سورة الفيل ، الآية 5 .
«462» سورة المدثر ، الآية 50 ـ 51 .
«463» سورة يس ، الآية 39 .
«464» سورة الفرقان ، الآية 23 .

بمطمئن الثبوت والقرار فى السفـل ولا فى العلـو ، وهـو بين الحالين ، ولهذا قيل : علقت هذا الامر ، أى تركتـه مـرددا بين الامضاء والترك ، وقيل للمرأة اذا لم تكن مطلقـة ولا مراعـاة الصحبة (معلقة) تشبـيهـا بالشىء المعلـق ، والاستعارة فى الحقيقة نوع من التشبيه ، الا انها قد انفصلت عنه فى الصيغة واللقب ، وقد فصل أبو الحسن الرمانى بينهما بأن التشبيه لـه أداة ، يريد حروف التشبيه ، ولا اداة للاستعارة ، والحق مـا قال غيره : ان الفرق بينهما غير هذا ، اذ قد يكـون التشبيـه بأداة وبغير أداة ، بل ان التشبيه مبقى على وضعه ، ممثل به ، والاستعارة منقولة عن موضوعها ، مستعملة استعمال غيرهـا للابانة ، وقد اشار الى هذا الرمانى ايضا ، والاستعارة باتفاق من أهل البلاغة ارفع درجات البديع ، واعلـى محاسن الشعر ، وآنق منظر الكلام ، واعجب تصرفات البليغ ، ولهـا موقـع فى الابانة لا يقعه سواها ، ومنزع فى الايجاز والاختصار لا يوجد فى غير بابها ، فانظر ما بين قولك : كثر شيـب رأسى ، وقولـه تعالى « واشتعل الرأس شيبا » «465» ، وبين قولك : تذلـل لهما ، وقوله « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » «466» ، وبين قولك : انتشر ضوء الفجر حتى غابت النجوم ، وقول ذى الـرمـة :

ولـف الثـريـا فى مـلاءتـه الفجـر

وبين قولك : فرس سابق الاوابـد حتى كأنها مقيـدة لـم

«465» سورة مريم ، الآية 4 .
«466» سورة الاسراء ، الآية 24 .

تسابقــه ولا جرت معه حين جرى ، من قول امرىء القيــس :
« قيد الاوابد هيكل » «467» ، وكذلك انظــر قــول التاسعــة
(رفيع العماد) على من جعله الحسب ، أين هو فى باب «468»
البلاغة من قولها لو قالت : زوجى حسيب أو شريف ، وانظــر
ايجاز قولها (أيقن أنهن هوالك) وما تحته من المبالغة فى كثرة
نحره ، واستمرار عادته ، وجلاء ما قصدته من ذلك باستعارتها
لهن اليقين ، وما بينه وبين قولها لو قالت : اذا ضرب المزهــر
نحــرن ، واذا «469» كانت المعــانى فى هذا كلــه واحــدة ،
والمقاصد متفقة ، ولكن للاستعارة فضل بيان وابــلاغ ، وحسن
طلاوة «470» وابداع ، وجودة اختصار فى بعــض المواضــع
وايجاز ، كما ورد فى قول الخامسة (ان دخل فهــد ، وان خرج
اسد) ، فانها استعارت له فى كل واحدة من الحالتين خلق واحد
من هذين الحيوانين ، فجاء كلامها «471» فى «472» غاية من
الايجاز والاختصار ، ونهاية من المبالغة والبيــان ، فان مثــال
قولها (فهد ، واسد) : اذا دخل تغافل وتــناوم ، واذا خــرج
صال وشجع . وليس يقتضى هذا انه أبدا فى دخوله وخروجه
بهذه الاوصاف ، فلمــا استعارت لــه خلقى هذيــن السبعين فى
الحالين اللازمين لهما ، المختصين بوصفهمــا ، اعربت بذلــك عن

«467» هيكل : ك ، ـــ : س .
«468» باب : ز ، ـــ : س .
«469» واذا : ك ، وان : ز م س .
«470» طلاوة : س ، وطلاوة : ز .
«471» كلامها : ز م س ، كلاهما : ك .
«472» فى : س ، على : ز ك .

تخلقه بهما ، والتزامه لوصفيهما ، وعبرت عن جميع ذلك كلــه بكلمة كلمة كل واحدة من ثلاثة حروف ، حسنة التركيب ، غيــر عسيــرة ، مع جمالهما فى اللفــظ ، ومناسبــتهما فى الــوزن ، وسهولتهما فى النطق ، ثم جاءت باشارة بديعة عن كرمــه وكثرة جوده ، وبذل ما بيده ، وللاخذ بالحزم لجميــع اموره ، بقولهــا (ولا يرفع اليوم لغد) ، فان هذا نوع من الاشارة ، وضرب من الكناية ، وهو عندى ادخل فى باب التتبيع والارداف ، وكله من باب الكنايات والاشارات ، وهــو التــعبــير عن الشىء بأحــد توابعه ، كما سنبينه ، واما كناية السادسة بقولها (لا يولــج الكف) ــ على المذهب الصحيح ــ فمن الكنايات الحسنة ، كما قد فسرناها قبل فى شرح كلامها ، وكذلك قولهــا (واذا هجــع التــف) من هــذا البــاب ، وهو داخــل فى بــاب التــتــبيع والارداف ، لأنها عبرت بقولهــا (التــف) واكتفــت بــه عن الاعراض عنها ، وقلة الاشتغال بهــا ، وذكرنا هاهنــا مــا فى كــلامهــا من مــنــاسبــة ومــلاءمــة وطــبــاق والــتــزام ومضارعة ، كما ذكرنا ما فى كلام السابعة من ترصيع والتزام ، مع ما فيه من حسن التقسيــم ، وبديــع الوحــى والاشــارة ، بقولها (كل داء له داء) ، فهــذا من لطيــف الوحى والاشارة ، على مذهب قدامة بن جعفر ، وذلك انــه انطــوى تحت هــذه اللفظــة «473» كلام كثير ، واشتملت هذه الكلمــة على شرح طويل ، كقول امرىء القيس :

«473» اللفظة : ز م س ، الالفاظ : ك .

يعطيك قبل سؤاله افانين جرى

فتحت قوله « افانين » جملة كثيرة ، وأما على ما حكاه الحاتمى عن غيره : فان الوحى والاشارة أرق وجوه الاستعارة ، كقوله ·

جعلن السيف بين الجيد منه وبين سواد لحيته عذارا

ومن باب الوحى والاشارة عندى على القول الاول قوله تعالى « قضى الامر » «474» وقوله (يحسبون كل صيحة عليهم) «475» وقوله (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) «476» وقوله (فغشيهم من اليم ما غشيهم) «477» ، وهذه جمل أنبأت بوجازة الفاظها ، واعربت بلطائف اشاراتها ، عن معان كثيرة وفصول طويلة ، فهى كما قيل : البلاغة لمحة دالة .

وفى قول الثامنة سوى ما ذكرنا من المناسبة والالتزام «478» : صحة المقابلة ، وهى من أنواع البلاغة ، وذلك فى قولها « وأغلبه والناس يغلب » ، فقابلت غلبتها اياه بغلبته للناس ، وهى مطابقة من جهة المعنى .

وفى هذه الفقرة نفسها نوع آخر من البديع يسمى « التتميم » ، فانها لو اقتصرت على قولها « وأغلبه » لما كان مدحا ، ولتخيل انه جبان ضعيف ، فلما قالت « والناس يغلب »

«474» سورة يوسف ، الآية 41 .
«475» سورة المنافقون ، الآية 4 .
«476» سورة الانبياء ، الآية 22 .
«477» سورة طه ، الآية 78 .
«478» « الالتزام » : لعل الصواب هكذا ، وهى بالاصول : (والتزام) .

دل على ان «479» غلبهـا ايـاه من حسن عشرتـه ، وكـرم سجاياه ، فتممت بهذه الكلمة قصدها ، وابانت جهد ما عندها ، ومثله قوله تعالى « كونـى بردا وسلامـا » «480» وقولـه (تخرج بيضاء من غير سوء) «481» ، ومثله قول طرفة :

فسقى بلادك غير مفسدها   صوب الربيـع وديمة تهمى

وفى قول التاسعة سوى ما ذكرناه من المناسبة والاستعارة نوع من البلاغة يسمى « الارداف والتـتبيع » ، وهو من اجلى وجوه البلاغـة ، وارق أنفـاس البديـع ، ولـه من الايجـاز والاختصار المحل الرفيع ، وهو لاحق بابواب الاشارة والوحى والكناية ، وموضوعه أن يقصد الابانة عن معنى فيـترك اللفـظ الخاص به ، الموضوع له ، ويعبر عنه بلفظ من توابـع معنـاه اللازمة ، واسبابه المتعلقة ، وارادفه المتضمنة ، وهو نوع يسميه البلغاء بالارداف ، وبعضهم بالتـتبيع ، وفى الوصف بـه والتعبير مع ايجازه نوع من المبالغـة ، ومنـه قولـه تعـالى « مدهامتـان » «482» ، فانـه عبر بهـذه اللفظـة الواحـدة الوجيزة ، والكلمة المفردة البليغة ، عن نعمـة هـذه الجنـة ، ونضارة ثمارها ، وكثرة ريهـا ، وجمال منظرها ، وتمـام حسن اشجارها ، ورونق نباتها ، بتـابع من توابعهـا ، وهى دهمـة خضرتها ، التى لا تكون الا مع تناهى الرى ، وشباب النبات ،

«479» على ان : س ، ان : ز م ك .
«480» سورة الانبياء ، الآية 69 .
«481» سورة طه ، الآية 22 .
«482» سورة الرحمن ، الآية 64 .

وعدم الآفات ، وكذلك قوله تعالى فى ذكر المسيح وأمه « كانـــا يأكلان الطعام » «483» ، فعبر عن حدوثهما ، وابان عن حلول العوارض البشرية بهما ، بحاجتهما الى أكل الطعـــام ، وكنـــى بذلك وأشار الى أن من يأكل الطعام يكون منه الحـــدث ، وكـــل هذا مناف لصفات الجلال والالهيـــة ، فتضمنت الآيـــة الارداف والتتبيع والكناية والوحى والاشارة ، فان تحت قوله « يأكلان الطعام » معانى عظيمة ، وفصولا كثيرة .

ويجب أن يتحقق أن الوحى والاشارة قد تتداخل صورهـــا أحيانا مع الارداف والتتبيع ، ومع الكناية ، كما فى هذه الآية ، وأحيانا تدخل فى باب الاستعارة كقوله : قيد الاوابد ، وقد عـــد قولـــه « قيـــد الاوابد » فى الابـــواب الثلاثـــة : الاستعـــارة ، والوحى والاشـــارة ، والارداف والتـــتبيع ، واحيانـــا تـــأتـــى الكناية والارداف كشىء واحد كما فى هذه الآية ، فانها تدخل فى باب الوحى والاشارة ، وفى باب الكناية والتعريض ، وفى بـــاب الارداف والتتـــبـــيع ، وذلك ان وجـــه بلاغـــة هذه الابـــواب واحد ، وهو المبالغة فى الوصف والايجاز ، ولذلـــك تشاركهـــا الاستعارة احيانا ، فتأمل هذه التنبيهات تستفيد بها معنى مـــا تجده متفرقا ومختلفا فى كتب ارباب هذا الشـــأن : من تسميـــة بعضهم شيئا بغير ما يسميه به الآخر ، وادخال بعضهم الايـــة أو البيت فى غير الباب الذى يدخله الثانى فيه «484» ، وعـــلة

«483» سورة المائدة ، الآية 75 .

«484» فيه : ـــ : ز م ك س ، واثباتها ضروري لتتضمن العائـــد على اسم الموصـــــول .

ذلك ما قلته من تغليب احد الالقاب عليه ، لظهوره فى احد الابواب أكثر من ظهوره فى الآخر ، فكذلك قول هذه « طويل النجاد » ، فان طول النجاد من توابع الطول ولوازمه ، فلن يطول نجاد احد الا اذا كان طويلا ، وكذلك قولها « عظيم الرماد » من توابع الكرم وروادفه ، لأنه لا يكثر رماده الا لكثرة وقوده النيران للضيفان ، وكذلك قولها « قريب البيت من النادى » من التتبيع البديع أيضا ، اذ العادة انه لا ينزل قرب النادى الا المنتصب للضيفان ، فكان ردفا لجوده وكرمه ، وكان قولها « طويل النجاد » اكمل وابلغ من قولها : طويلا ، اذ ثم طول دون طول ، فلما عبرت عنه بما هو من توابعه بقولها « طويل النجاد » بالغت فى طوله ، وكأنها أظهرت طوله للسامع صورة يراها ، مع ما فى هذه الصيغة من طلاوة اللفظ مع الايجاز ، اذ لو أرادت تحقيق طوله المحمود لطال كلامها ، وكذلك العبارة بكثرة النيران ، ونزول قرب النادى ، مبالغة فى الوصف بالكرم ، وتحت هذه الالفاظ الوجيزة جمل كثيرة ، أعربت هذه الكنايات اللطيفة والاشارات الخفيفة عنها ، وأينها فى البلاغة والمبالغة من قولها لو قالت : زوجى كريم كثير الضيفان ، أو أكرم الناس وأكثرهم ضيفانا ؟ فان واحدا من هذه الاوصاف على كثرة الفاظها ، ومبالغة أوصافها ، لا ينتهى منتهى واحد من قولها « عظيم الرماد » ، أو « قريب البيت من النادى » ، ومن هذا الباب قول العاشرة « قليلات المسارح ، كثيرات المبارك ، اذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك » .

على أن هذه قد امتد نفسها فى الوصف قليلا ، ولكن باحسن عبارة ، واملح استعارة ، والطف اشارة ، وليس من شرط الارداف والتتبيع أن يكون موجز اللفظ ، ولكنه قد يأتى أحيانا كذلك ، ولكن يأتى فى الكلام على هذا النحو كيفما جاء من الديباجة والحسن ما لا شىء فوقه ، ومثاله قول أم زرع (أناس من حلى أذنى) ، فعبرت عن كثرة ما حلاها به بأحد توابعه وهو صوت حركته ، ولا يكون ذلك الا مع كثرته ، ولو قالت « حلى اذنى » لم يقع من المبالغة وحسن اللهجة موقع قولها « اناس من حلى اذنى » ، ومنه قولها « أقول فلا اقبح ، وارقد فأتصبح ، واشرب فأتقمح ، وآكل فاتمنح » ، فان تحت كل فقرة من هذه الالفاظ جملا من الكلام ، حسب ما قدمناه ، فكنت عن العزة والكرامة عنده بأنه لا يقبح قولها ، وهو ردف من روادف العزة لازم ، وفصل من فصولها ثابت ، فاكتفت بذلك عما وراءه ، وعبرت عن ترفيهها عن المهنة ، واعفائها من الخدمة ، وكونها مكفية المئونة مدللة ذات خدم وسعة : بنومها الصبحة ، اذ لا ينامها الا من هو بهذه الصفة ، ثم ابانت عن رغد عيشها ، وكثرة نعمتها ، ووفور طعامها وشرابها ، وفضلته عن حاجتها ، بقولها « أتمنح » و « أتقمح » ، اذ لا يكون الرى بعد الرى ، ولا تمنح المرأة وتعطى — مع وصفهن بالبخل — الا مع كثرة الشىء ، وبعد فضلته عن حاجتها ، ومن بديع هذا الباب قول أم زرع « ملء كسائها ، وصفر ردائها » ، فعبرت عن اعتدال خلقها ، وتقسم جسمها بين الرقة والغلظ ، وكون كل عضو منها موفى حقه ، بتابع من توابعه ، وهو ملء الكساء ، وصفر الرداء ،

ثم جمعت كل ثناء ، وطوت كل مدح ، وادمجت كل حسن : من خلق وخلق ، تحت لفظتين ، بقولها « غيـظ جارتها » ، فهـو من باب الارداف ، وان شئـت قلـت «485» من بـاب الوحـى والاشارة ، فقد ذهبت بهذه اللفظة من الايجـاز كل مذهـب ، وأتت فيها من البلاغة والمبالغة والغلو بكل معجز .

وفى كلام أم زرع من البديع حسن التسجيـع ، وكذلك فى كلام هذه التاسعة ، بل كلهن حسان الاسجاع ، متفقات الطباع ، غريبات الابداع ، غير مستكرهات الالفاظ ، ولا ملفقات القوافى ، ولا قلقات الفواصل ، لا سيما هذه التاسعة ، فلا شىء أسلـس من كلامها ولا أربط من نظامها ، ولا اطبع من سجعها ، ولا أغرب من طبعها ، وكأنما فقرها مفرغة فى قالب واحـد ، ومحذوة على مثـال متـوارد ، ثـم مدت نفسهـا فى الفـقـرة الرابعـة ، فأطالتها شيئا استرواحا للخروج ، واشارة للقطع ، وهذا حكـم الاسجاع ، فانها تحتاج الى تقدير ، ويكره فيهـا التطويل ، فان وقع فى أول فقرة من الفقرتين كان عيا ، وخرج عن حد البلاغة ، وتخاذل به الكلام ، وهو فى آخر الفقرتين غير معيب ، بل ربمـا جاء مستحسنا . لا سيما ان توالت الفقر على سجـع واحـد ، وجاءت «486» على تقدير متعاضد ، فالخروج من آخرها بعـد زيادة فيها على تقدير اخواتها أحسن فى السجـع ، واوقـع فى

«485» قلت : س ، ـــ : ز م ك .
«486» جاءت : ز م ك ، توالت : س .

السمع ، وهذا ما «487» لا ينكره حسن الذوق فى الكتابة ، ولا يجهله «488» الا طبع الطبع فى الخطابة .

وأما تكرير أم زرع اسم أبى زرع فى كلامها ، وتصريحها به فى أول فصولها ، فليس من عيب الكلام ، ولا من باب التكرار ، لأن التكرار المعيب انما يكون اذا كان فى جملة واحدة ، واما مع اختلاف الجمل وبعد ما بينها فليس بعيب . ولكنه منه ما يكون محتملا ، ومنه ما يكون حسنا ، من باب البلاغة ، كقولها « أبو زرع ، فما أبو زرع ؟ » ، فان التصريح هنا أبلغ من الكناية ، لما فيه من التعظيم والتعجب ، كما قلناه فى قول العاشرة « مالك ، وما مالك ؟ » وقوله تعالى (الحاقة ، ما الحاقة) «489» ، فقد تقدم فيه ما أغنى ، وانما يقبح اذا كان على غير هذا الوجه وكان فى جملة واحدة ، وأما فى جمل مختلفة فليس بقبيح «490» ، قال الله تعالى « مثل ما أوتى رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالاته » «491» ، وقد عد الحاتمى وغيره بعض هذا النوع من أبواب البديع ، وسماه « الترديد » ، وهو أن يعلق الشاعر لفظة فى البيت — أو الناثر فى الفصل — بمعنى ، ثم يرددها فيه ويعلقها بمعنى آخر ، كقول زهير :

من يلق يوما على علاته هرما   يلق السماحة منه والندا خلقا

«487» ما : ز م ك ، مما : س .
«488» يجهله : م ك ، ينكره : ز ، يجعله : س وهو تصحيف .
«489» سورة الحاقة ، الآية 1 — 2 .
«490» بقبيح : م س ، يقبح : ز ك .
«491» سورة الانعام ، الآية 124 .

وقــال الآخــر :

لبس (121) البلى مما لبســن اللياليــا

فكرر (يلــق) و (لبسن) .

ونازعه فى ذلك الخفاجي ، وقال : ان هذا الترديد كسائــر التــألــيــف .

قال الفقيه القاضى الاجل وفقــه الله وســدده : والــذى عندى ان ما كان من ذلك يضطر الكلام اليــه ، ولا يتــم المعنى الا به ، فهو على ما قاله الحاتمى ، وهو يفيــد الكــلام حسنــا ورونقا ، لما فيه من مجانسة اللفظ والمعنى ، نحو مــا ذكرنــاه من المثال ، ومثله قوله تعــالى « واذا رأيت ثــم رأيت نعيمــا «492» » وقولــه (الــذى علــم بالقلــم ، علــم الانــســان «493») وما كان منه على غير ذلك وكان من جملــة أو جملتين كقــول الفــرزدق :

لعمرك ما معن بتارك حقه ولا منسىء معن ولا متيسر

وقــول الآخــر :

لا أرى المــوت يسبــق الموت شــىء

نغــص المــوت ذا الغنــى والفقيــرا

وقــول امــرؤ القيــس :

الا اننى بال ، على جمل بال يقود بنا بال : ويتبعنا بال

«492» سورة الانسان ، الآية 20 .
«493» سورة العلق ، الآية 4 — 5 .

---

(121) « لبس » : كذا بالاصول . ولعلها : « لبسن » .

فغير مستحسن ، بل هو قبيح ، الا أن يأتى للتعظيم كقول الله تعالى (الله اعلم حيث يجعل رسالاته) «494» ، وعليه حمل بعضهم ما تكرر فى البيتين الاولين من ذكر «معن» ، والموت ، أو للتأكيد كقوله تعالى (فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا) «495» على قول بعضهم ، وكتكراره عليه السلام كثيرا من كلامه ، أو للبيان كقوله تعالى (الذى خلق ، خلق الانسان من علق) «496» وقوله تعالى (الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) «497» ، أو يكون تكرار ذلك اللفظ مما يستلذ الناطق به ، كما قال :

« وبالافواه اسماؤهم تحلو »

وقد قال المعرى فى قول الشاعر :

الا حبذا هند ، وارض بها هند   وهند أتى من دونها النأى والبعد

فقال : من حبه لهذه المرأة لم ير تكرير اسمها عيبا ، فهو يجد اللفظ بها حلاوة ، فأم زرع فى تكرار اسمه فى فصول كلامها مصرحة به غير مضمرة له ، ولا مكتفية بما تقدم من اظهاره : اما لعظمه فى نفسها ، وبأوها «498» به وفخرها ، أو لحلاوة ذكره فى فمها ومكانته من قلبها ، بدليل آخر الحديث ، أو لابانة وصفها ، وكشف اللبس فى قصصها ، لانها لو قالت :

«494» سورة الانعام ، الآية 124 .
«495» سورة الانشراح ، الآية 5 — 6 .
«496» سورة العلق ، الآية 1 — 2 .
«497» سورة العلق ، الآية 4 — 5 .
«498» باوها : ز ك ، برها : س .

ابنته ، وجاريته ، وطهاته ، ومـــاله ، وضيفه ، على مــا ورد فى بعض الطرق ، حتى : كلبه ، فقد ذكر ابن الانبارى وابو القاسم البغوى من رواية هشام بن عمار ، عن عيسى بن يونـــس ، عن هشام بن عروة ، عن اخيه عبد الله ، عن عروة انه قال : وقــد كانت عائشة وصفت لى كلب أبى زرع فانسيته ، فلو ذكرت أم زرع هذه الاشياء مضافة ، بعد وصفها لابنه ، لادخلت الايهــام بينه وبين ابنه ، فكان قولها « بنــت أبى زرع » « جاريــة أبى زرع » « خرج أبو زرع » اجلــى فى الوصف ، لا سيمــا مع أن تكرار ذكره انما هو فى «499» ابتداء جملة واستئــناف قصة ، فهو غير قبيح . وأما تكرارها فى أول كل قصة اسمه مرة أخرى من قولها « فما ابن أبى زرع ؟ » « فمــا جارية أبى زرع ؟ » ، فقد تقدم أنه بمعنى التعجب والتعظيم ، وان الوجه فيه الاظهار ، وهو الفصيح ، لأنه المقصــد والغــرض من التــنــويه ، وفى الاضمار اخفاء وتمويه .

هنا انتهى بنــا القول فيما حررنــاه من الكــلام فى هــذا الحديث ، وقد احتوى على جمل من فنون العلم حسان ، وفقــر من ضروب الادب غراب «500» ، وخرجنا فيه نحــو عشرين مسألــة من الفقــه ، ومثلهــا مــن العــربيــة ، مــع كثــرة ما ذكرنا فيه من كلام الشارحين واصحاب المعانى ، وترجيــح الصواب ، وتوليد كثير مما لم يتــقدم فيــه كلام بلغــه علمى ،

«499» فى : ك ، من : ز م س .
«500» غراب : ز م ك ، عذاب : س .

وانتهى اليه ذكرى ، واقتصرت فى أكثر ما ذكرته من اللغات على رفعها الى ذاكرها من مقانع هذا العلم ، واستغنيت بذلك عن الشاهد الا فى النادر ، حرصا على الاختصار ، واكتفاء بقول اولئك القدوة ، اذ هم المقلدون فى ذلك ، وذكرت الشواهد فى المعانى تمهيدا لها ، واظهارا لوجوهها ، وحجة على صحة تأويلاتها ، لاشتراك الخواطر فيها ، وتوارد العقول عليها ، وحررت فى هذا الفصل الاخير من علم البلاغة ، واستنثرت ما فى كلامهن من سر الفصاحة ، وغرائب النقد ، وبديع الكلام ، ما فيه غنية لمتأمليه ، ممن شدا فى باب الادب شيئا ، وتطلع لأن يعلم صناعة تأليف الكلام ، ويفهم منازع أرباب هذا الشأن ، وعلى الله ــ جل اسمه ــ الاعتماد فى العفو عن الزلل ، والرغبة فى غفران المباهاة فى القول والعمل ، فهو ــ جل اسمه ــ ولى العصمة ، ومولى الرحمة ، ومؤتى شكر النعمة ، لا اله غيره ، وصلواته على مصطفاه من خلقه ، محمد نبيه ، وعلى آله ، وسلامه كثيرا .

فى آخر النسخة الزيدانية :

تم الكتاب بحمد الله تعالى ، وحسن عونه ، وصلى الله على سيدنا محمد ، المصطفى من بريته ، وسلم كثيـرا ، وذلـك فى الرابع عشر من شهر الله المبارك شعبان ، عام ثمانية وثلاثين ومائـة والـف .

وفى آخر النسخة الملكية :

تم الكتاب والحمد لله حق حمده ، وصلواته على خيـر خلقه ، محمد عبده ورسوله ، واهلـه وصحبه ، وسلم تسليمـا كثيرا ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . كتبه العبد الفقير ، الراجـى رحمة الله ، احمد رشيد .... الانصارى الدمشقى لنفسه ، بـدار الحديث الكاملية ، بالقاهرة السعيدة ، وكان الفـراغ من نسخة يوم .... السادس والعشرين من ربيع الآخر ، سنة اثنتين واربعين وستمائة ....

وفى آخر النسخة الكتـانية :

انتهى بحمد الله وحسن عونه ، على يـد كاتبه الفقير الى الله ، الراجى عفو مولاه ، محمـد البجائى ، الشريف نسبـا ، ابن على بن احمد ابن الحاج الجود ، غفر الله لـه ولوالـده ، آمـين .

تفسير حديث أم زرع

من تاليــف سيدى عبد الرحمن السيوطى

فى تــعلــيقــه علــى الــبــخــارى

بســم الله الرحمــن الــرحيــم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

حديث أم زرع أفرد شرحه بالتصنيــف خلائــق ، آخرهم القاضى عياض . (حدثنا عيسى بن يونس ....) أكثر الرواة عنه وقفوه ، الا أحمد بن داود الحرانى فانــه رواه عنه فقــال فى أولــه : عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخرجــه النسائى وغيره من أوجه أخرى مرفوعــا . قــال ابن حجــر : (ويقوى رفعه أن قوله فى آخر الحديث « كنت لــك كأبى زرع لأم زرع » متفق على رفعه ، وذلك يقتضى أن يكــون صلى الله عليه وسلم سمع (1) القصة وعرفها فأقرها ، فيكون كله مرفوعا من هذه الحيثــية (2)) . « جلس احدى عشرة امــرأة » . زاد الزبير بن بكار : « من أهل اليمن » .

قالت الاولى : ــ اسمها مهــدد بنــت أبى مهزومــة ــ : « زوجى لحم جمل غث » ، بالجر صفة جمــل ، وبالرفع صفــة

---

(1) كلمة « سمع » غير موجودة بالاصل ، ولا يتــم الكلام بدونهــا ، والتصحيح من فتح البارى .

(2) فتح البارى (11 : 165) ، والنص منقول بتصرف .

لحم ، وهو بفتح المعجمة وتشديد المثلثة أى الهزيل ، لأنه يستغث من هزاله أى يستكره ، من قولهم غث الجرح سال قيحا ، واستغثه صاحبه ، وأكثر استعماله فى مقابلة السمين . « على رأس جبل » زاد الترمذى : « وعر » ، والزبير بن بكار : « وعث » ، وهو أوفق للسجع ، والوعث بمثلثة : الصعب المرتقى ، بحيث يشق فيه المشى ، ويصعب فيه التخلص منه ، والوعر : الكثير الصخر الشديد الغلظة ، يصعب الرقى اليه . « لاسهل » بالفتح بلا تنوين ، وبالرفع على تقدير هو ، وبالجر منه (3) ، وللنسائى : « لا سهلا » بالتنوين ، وله أيضا « لا بالسهل » وكذا « ولا سمين » بالخمسة (4) . « فيرتقى » أى يصعد فيه . « ولا سمين فينتقل » بمعنى ينقل ، أى لهزاله لا يرغب فيه أحد فينقله (5) اليه . ولأبى عبيد « فينتقى » وهو أوفق للسجع ، أى ليس له نقى يستخرج ، والنقى المخ ، وقد كثر استعماله فى اختيار الجيد من الردىء . قال عياض : (فيه تشبيه شيئين بشيئين ، شبهت

---

(3) وجه الجر كما قال عياض : (على النعت للجبل وترك اعمال « لا » وتقديرها ملغاة زائدة فى اللفظ لا فى المعنى ، وهذا احد وجوهها عند النحاة . وقد يكون له ايضا وجه آخر : وهو ان تقدر « لا » بمعنى « غير » ، فيكون « سهل » خفض بالاضافة اليها) .

(4) اى انه يجوز فى قولها « لا سهل ولا سمين » خمسة اوجه : لا سهل ولا سمين ببناء الاسمين على الفتح ، لا سهل ولا سمينا الاول على الفتح ورفع الثانى ، لا سهل ولا سمين برفع الاول ببناء الاول على الفتح ونصب الثانى ، لا سهل ولا سمين ببناء وبناء الثانى على الفتح ، لا سهل ولا سمين برفع الاسمين .

(5) فينقله : ت ، فينتقله : ع .

زوجها باللحم الغث ، وشبهت سوء خلقه بالجبل الوعر ، ثم فسرت ما أجملت فكأنها قالت : لا الجبل سهل فلا يشق ارتقاؤه لأخذ اللحم ولو كان هزيلا ، لان الشيء المزهود فيه قد يؤخذ اذا وجد من غير نصب ، ولا اللحم سمين فيحتمل المشقة فى صعود الجبل لأجل تحصيله ، وشبهته بلحم الجمل دون غيره من اللحوم لأنه ليس فى اللحوم أشد غثاثة منه ، لانه يجمع خبث الطعم وخبث الريح) (6) .

قالت الثانية : — لم تسم — ، « زوجى لا أبث خبره » بالموحدة ثم المثلثة ، أى لا أظهر حديثه ، وروى « لا أنث (7) » بالنون ، وهو ذكر خبر الشر ، وللطبرانى : لا أنم . « انى أخاف أن لا أذره » أى أن لا أترك شيئا من خبره ، فالضمير للخبر ، أى انه لطوله وكثرته ان بدأته لم أقدر على تكميله ، فاكتفت بالاشارة الى معايبه خشية أن يطول الخطب بايراد جميعها . وقيل الضمير للزوج ، أى أخاف أن لا أقدر على تركه لعلاقتى به وأولادى منه ، فاكتفت بالاشارة الى أن له معايب وفاء بما التزمته من الصدق ، وسكتت عن تفسيرها للمعنى الذى اعتذرت به . «ان أذكره أذكر عجره وبجره » بضم العين المهملة أول الاول والموحدة أول الثانى وفتح الجيم فيهما ، جمع عجرة وبجرة ، فالاولى تعقد العصب

---

(6) بغية الرائد ، فى الكلام على قول المراة الاولى ، والنص منقول باختصار وتصرف ، ومعظمه منقول من فصل « بيان » عند الكلام على قول الاولى ، وآخره منقول من « غريب قول الاولى » .

(7) لا انث : ع ، انث : ت . ولعل الاولى بالصواب اثباتها مع اداة النفى .

والعروق فى الجسد حتى تصيـر ناتئـة ، والثانيـة كذلـك ، الا أنها مختصة بالتى فى البطن ، وقيل العجرة نفخة فى الظهر (8) والبجـرة نفخـة فى السـرة ، وقيـل العجـر العقـد فى الـبطـن واللسـان والـبجـر الـعـيـوب ، وقـيـل العجر فى البطن والجنب والبجر فى السـرة . هذا أصلهما ثـم استعمـلا فى الهموم والاحزان وفى المعـايب . قال الخطابى : أرادت عيوبه الظاهرة وأسراره الكامنة .

قالت الثالثة : ـ اسمها كبشة بنت الارقـم ـ : « زوجى العشنـق » بفتـح المـهمـلة ثـم المعجـمـة ثـم النـون المشـددة وقـاف ، أى الطويـل المـذمـوم الطـول ، وقيـل القـصـيـر ، وهـو مـن الأضـداد ، وقـيـل اسـىء الخلق ، وقيل المقدام الجرىء انشرس ، وقيـل هو الطويـل النجيب الذى يملك أمر نفسه ولا يحكم النساء فيـه بـل يحكم فيهن بما شاء فزوجته تهابه أن تنطق بحضرته فهى تسكت على مضض (9) ، قال الزمخشرى : وهى من الشكايـة البليغـة ، « ان أنطق » بأمر أراجعه فيه « أطلق ، وان أسكت أعلق » أى أكون عنده معلقة لا ذات زوج فأنتفع به ولا مطلقة ، زاد ابـن السكيت بعده : « على حـد السنان المـذلق » بفتـح المعجمة وتشديد اللام ، أى المجرد وزنا ومعنى ، تشير الى أنها منـه على حـذر .

---

(8) الظهر : ت ، البطن : ع . ولعل الصواب هى الكلمة الاولى اخـذا من كلام القاضى عياض .

(9) فى الاصلين : « مغض » ، ولعل الصواب ما اثبتـه .

قالت الرابعة : ـ لم تسم ـ : « زوجى كليل تهامة » ، هو مما يضرب به المثل فى الحسن لأنها بلاد حارة وليس فيها رياح باردة فاذا كان الليل كان وهج الحر ساكنا فيطيب الليل لأهلها بالنسبة لما كانوا فيه من أذى حر النهار ، ولهذا قالت « لا حر ولا قر » أى شدة برد ، وللنسائى : « ولا برد » بدله ، وهما بالفتح بلا تنوين ، ولأبى عبيد بالرفع منونا ، « ولا مخافة ولا سآمة » أى ملل ، زاد الهيثم : « ولا وخامة » بخاء معجمة ، أى ثقل ، زاد الزبير : « والغيث غيث غمامة » والحاصل أنها وصفت زوجها بطيب العشرة وحسنها ، واعتدال الحال ، وسلامة الباطن ، وعدم الشر فلا يخاف أذاه ، وعدم السآمة منها أو منه ، لحسن عشرته ، ولين جانبه ، وخفة وطأته

قالت الخامسة : ـ اسمها حبى ، بضم المهملة وتشديد الموحدة ، مقصور ، بنت علقمة ـ : « زوجى ان دخل فهد » ، بفتح الفاء وكسر الهاء ، أى فعل فعل الفهود ، شبهته بالفهد فى لينه وغفلته مدحا ، لأن الفهد يوصف بالحياء ، وقلة الشر ، وكثرة النوم ، « وان خرج أسد » بفتح أوله وكسر السين ، أى فعل فعل الاسود من الشهامة والصرامة بين الناس ، « ولا يسأل عما عهد » : أى انه كثير الكرم ، شديد التغاضى ، لا يتفقد ما ذهب من بيته من مال وطعام ، وقيل انها أرادت الذم ، وهو أنه يثب عليها بالجماع كالفهد ، لغلظ طباعه ، وليس عنده ما عند الناس من المداعبة والملاعبة قبله ، أو بالضرب والبطش ، واذا خرج على الناس كان أمره أشد فى

الجرأة والاقدام ، ولا يتفقد حالها وحال بيتها وما تحتاج اليه . والاكثر شرحوه على المدح . ووقع فى رواية الزبير بن بكار مقلوبا : « اذا دخل أسد ، واذا خرج فهد » ، فان صح فالمراد أنه اذا خرج الى الناس كان فى غاية الرزانة والوقار وحسن السمت ، واذا دخل منزله كان متفضلا مواسيا ، لأن الاسد يوصف بأنه اذا افترس أكل من فريسته بعضا وترك الباقى لمن حوله من الوحوش ولم يهاوشهم عليها ، وزاد : « ولا يرفع اليوم لغد » ، أي لا يدخر ما حصل عنده اليوم من أجل الغد ، كناية عن جوده ، وهو يؤيد ارادة المدح .

قالت السادسة : ـ اسمها بنت أوس بن عبد ـ : « زوجى ان أكل لف » ، أى استقصى ما قدم اليه فلا يترك منه شيئا ، وروى رف بالراء بمعناه ، وللنسائى : اقتف ، بقاف ومثناه ، أى جمع واستوعب ، « وان شرب اشتف » بمعجمة ومثناة : استقصى ، مأخوذ من الشفافة بالضم والتخفيف ، وهى البقية تبقى فى الاناء ، فاذا شربها الذى شرب الاناء قيل اشتفها ، وروى بمهملة وهى بمعناها « وان اضطجع التف » : أى رقد وحده وتلفف بكسائه وانقبض عن أهله اعراضا . زاد النسائى بعد هذه : « واذا ذبح اغتث » أى تحرى الغث ، وهو الهزيل ، « ولا يولج الكف ليعلم البث » أى لا يمد يده اليها ليعلم ما بها من حزن أو مرض أو أمر مكروه ، لقلة شفقته عليها .

قالت السابعة : ـ اسمها هند ـ : « زوجى غياياء » بفتح المعجمة وتحتيتين خفيفتين ، أو عياياء بمهملة ، شك من عيسى

بن يونس ، وللنسائى من طريق غيره الجـزم بالاولـى ، وهو مأخوذ من الغى ضد الرشد ، وهو المنهمك فى الشـر . والثانى من العى بالكسر وهو الذى تعييه مباضعة النساء . « طباقاء » : هو الأحمق ، وقيل : الثقيل الصدر عند الجماع ، يطبـق صدره على صدر المرأة فيرتفع عجزه عنها ، وهو مذموم عند النساء ، « كل داء له داء » : أى كل ما تفـرق فى النـاس من المعايب موجـود فيـه . وخبـر « كـل » جـمـلـة « لـه داء » ، و « له » صفة ما قبله : « شجك » بمعجمة وجيم مشددة : أى جرحك فى رأسك . زاد ابن السكيت : « أوبجـك » بموحـدة وجيم : أى طعنك ، « أوفلك » بفـاء ولام مشددة : أى جـرح جسدك ، « أو جمع كلا لك » : المراد أنـه ضروب للنسـاء ، فاذا ضرب فاما أن يشج رأسا ، أو يجرح جسـدا ، أو يجمـع الأمرين معا . وفى رواية الزبير : « ان حدثته سبك ، وان مازحته فلك ، والا جمع كلا لك » .

قالت الثامنة : ــ اسمها عمرة بنت عمـرو ــ : « زوجـى المس مس أرنب » هى دويبة لينة المس ناعمة الوبر ، « والريح ريح زرنب » بزاى أوله ، نبت طيب الريح . واللام فيها نائبـة عن الضمير . وصفت لين جسده وطيب رائحته ، أو كنت بذلك عن حسن خلقه وجميل عشرته . زاد النسائى : « وأنا أغلبـه والناس يغلب » ، فوصفته مع جميل عشرته لها وصبره عليهـا بالشجاعة ، فهو احتراس فى غاية الحسن .

قالت التاسعة : ــ اسمها كبشة ــ : « زوجى رفيع العماد »،

أى عالى البيت ، كناية عن الشرف ، فان الاشراف كانوا يعلون بيوتهم ويضربونها فى المواضع المرتفعة ، ليقصدهم الطارقون والوافدون . « طويل النجاد » بكسر النون وتخفيف الجيم : حمائل السيف ، كناية عن طول القامة ، وكانت العرب تمدح بذلك وتذم بالقصر . « عظيم الرماد » : كناية عن كونه مضيافا . « قريب البيت من الناد » : أصله النادى ، فحذفت الياء للسجع ، وهو مجلس القوم ، وكذلك كانت بيوت الأشراف بين مجالس القوم ، لتسهل مراجعتهم فى الامور ومشاورتهم ، زاد الزبير : « لا يشبع ليلة يضاف ، ولا ينام ليلة يخاف » .

قالت العاشرة : — اسمها حبى بنت كعب — : « زوجى مالك ، وما مالك ؟ » استفهام تعظيم وتفخيم ، أى انه أمر عظيم لا يعبر عنه . « مالك خير من ذلك » أى انه أعظم مما ذكر به من خير ، وفوق ما اعتقد فيه من سؤدد ، فالاشارة بذلك الى ما تعتقده فيه من صفات المدح ، أو الى ما ستذكره به ، أو الى ما تقدم من الثناء على الذين قبله . « له ابل كثيرات المبارك » بفتح أوله : جمع مبرك ، بفتحتين ، موضع بروك الابل . « قليلات المسارح » جمع مسرح ، وهو الموضع الذى تطلق لترعى فيه ، اشارة الى كثرة ضيفانه واستعداده لهم ، فهى باركة حول بيته ليذبح منها عند مفاجأة الضيف ، ولا يوجه منها الى المسارح الا قليلا ، « اذا سمعن صوت المزهر » بكسر الميم وسكون الزاى وفتح الهاء : آلة من آلات اللهو ، وقيل دف مربع ، وغلط من زعمه بضم الميم وكسر

النهاء ، قائلا انه الذى يوقد النار فيزهرها للضيفان . « أيقن أنهن هوالك » أى لما علم من عادته بنحر الابل لقرى الضيف . زاد ابن السكيت « وهو امام القوم فى المهالك » أى الحروب ، لشجاعته .

قالت الحادية عشرة : ــ وهى أم زرع بنت اكيمل بن ساعدة ــ : « زوجى أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ » استفهام تعظيم كما تقدم ، وكذا ما بعده ، (أناس) : أى أثقل حتى تدلى واضطرب (من حلى) بضم المهملة وكسر اللام (أذنى) بالتثنية . زاد ابن السكيت : (وفرعى) أى يدى ، تعنى أنه حلى أذنيها ومعصميها (وملأ من شحم عضدى) قال أبو عبيد : لم ترد العضدين وحدهما ، بل الجسد كله لأن العضد اذا سمن سمن سائر الجسد « وبجحنى » بموحدة ثم جيم خفيفة ، والنسائى شديدة ثم مهملة ، « فبجحت » بسكون المثناة ، ولمسلم « فتبجحت الى نفسى » قال أبو عبيد : أى فرحها ففرحت . وقال ابن الأنبارى : عظمها فعظمت . وقال ابن السكيت : فخرها ففخرت . وقال ابن أبى أويس : المعنى وسع عليها وترفها (وجدنى فى أهل غنيمة) تصغير غنم (بشق) بكسر المعجمة ، قال الخطابى : والصواب فتحها ، اسم موضع كانوا فيه ، وقال الأنبارى : هو بالفتح والكسر موضع ، وقال ابن قتيبة وغيره : هو بالكسر أى بجهد من العيش كقوله : « بشق الأنفس » . (فجعلنى فى أهل صهيل) أى خيل (واطيط) أى ابل ، وهو صوت أعواد المحامل والرحال عليها ،

(ودائس) اسم فاعل من الدوس : أى زرع يداس ، أى يدرس كالقمح والشعير ، (ومنق) بضم الميم وكسر النـــون وتشديد القاف : أى أهل نقيق ، وهو أصوات المواشى ، وقيل الدجاج ، والمراد أنه :قلها من أهلها أهل الضيق فى المعيشة الى أهــــل رفاهية (10) وسعة ، (فعنده أقول فلا أقبح) أى فـــلا يقبــح قولى ، ولا يرد على ، لاكرامه لها (وأرقد فأتصبح) أى أنــام الصبحة ، وهى نوم أول النهار ، فلا أوقظ ، اكراما لهــا أيضا ، (وأشرب فأتقنح) بالقاف والنون المشددة وحاء مهملة ، وبالميم خارج الصحيحين بدل النون ، وهما بمعنى الرى بعد الــرى ، أى تشرب حتى لا تجد مساغا ، زاد الهيثم : (وآكل فأتمنح) أى أطعم غيـــرى .

(أم أبى زرع ، فما أم أبى زرع ؟ عكومها) بضم المهملة ، جمع عكم ، بكسرها وسكون الكاف : الاعــدال والاحمال التى يجمع فيها الأمتعة ، وقيل : نمط تجعل المرأة فيه ذخيرتهـــا « رداح » بكسر الراء وفتحها آخره مهملة : ملاء أو عظام كثيرة الحشو « وبيتها فساح » بفتح الفاء والمهملة خفيفة : أى واسع . ولأبى عبيد « فياح » بوزنه ومعناه .

« ابن أبى زرع ، فما ابن أبـــى زرع ؟ مضجعـــه كمســـل شطبة » هى الواحدة من سدى الحصير ، أى قدر ما يسل منها فيبقى مكانه فارغا ، كناية عن هيف القد وأنه ليس ببـــطين (11)

---

(10) رفاهية : ت ، رفاهة : ع . وكلاهما بمعنى .

(11) بيطين : ت ، بيـــطـــن : ع . والبطين : العـــظـــيم البطـــن ، ولبطن : الذى لا هم له الا بطنه . ولعل الصواب الاولى .

ولا جاف ، « ويشبعه ذراع الجفرة » بفتح الجيم وسكون الفاء : الأنثى من ولد المعز اذا كان ابن أربعة أشهر . زاد ابن الأنباري « وترويه (12) فيقة أيعرة » بكسر الفاء وسكون التحتية وقاف : ما يجتمع في الضرع بين الحلبتين ، واليعرة بفتح التحتية وسكون المهملة وراء : العناق ، أي انه قليل الاكل والشرب ، زاد أيضا : « ويميس » بمهملة ، أي يتبختر ، « في حلق النثرة » بنون وسكون المثناة (13) : الدرع اللطيفة ، أي انه ملازم لآلة الحرب .

« بنت أبي زرع ، فما بنت أبي زرع ؟ طوع أبيها وطوع أمها » أي انها بارة بهما زاد الزبير : « وزين أهلها ونسائها » أي يتجملون بها « وملء كسائها » أي ممتلئة شحما . زاد ابن السكيت : « وصفر ردائها » بكسر المهملة وسكون الفاء : أي خال فارغ لسمن أكتافها ، وقيام نهودها ، فلا يمس شيئا من ظهرها ولا من بطنها « وغيظ جارتها » أي ضرتها ، لحسنها . ولمسلم بدل وغيظ : « وعقر » ، ولغيره : « وغير » من الغيرة ، وللهيثم : « وعبر » بمهملة وموحدة ، من العبرة ، وللنسائي : « وحير » بمهملة وتحتية ، من الحيرة ، وله أيضا « وحين » بالنون ، أي : هلاك ، زاد ابن السكيت : « قباء » بفتح القاف وتشديد الموحدة ، أي ضامرة البطن ، « هضيمة (14)

---

(12) ترويه : ت ، يرويه : ع

(13) قوله « وسكون المثناة » : غلط وقع فيه تبعا لابن حجر ، والصواب : بسكون المثلثة . اما « النترة » بالمثناة فهي الطعنة النافذة .

(14) « هضيمة » : هكذا في شرحي ابن حجر والقسطلاني ، وهو الصواب ، وفي الاصل : « عظيمة » ، وهو غلط .

الحشا » وهو بمعناه ، « جائلة (15) الوشاح » أى يدور وشاحها بضمور بطنها ، « عكناء » أى ذات اعكان ، « فعماء » بمهملة ، أى ممتلئة الجسم ، « نجلاء » بنون وجيم ، أى واسعة العين ، « دعجاء » أى شديدة سواد العين ، « رجاء » بالراء وتشديد الجيم ، أى كبيرة الكفل ترتج من عظمه ، أو بالزاى ، أى مقوسة الحاجبين ، « قنواء » أى محدودبة الأنف ، « مؤنقة » بنون شديدة وقاف « مفنقة » بوزنه ، أى مغذاة بالعيش الناعم . زاد ابن الأنبارى : « برود الظل » أى حسنة العشرة ، « وفى الال » أى العهد ، « كريم الخل » بكسر المعجمة ، أى الصاحب .

« جارية أبى زرع ، فما جارية أبى زرع ؟ لا تبث حديثنا تبثيثا » وروى « تنثيثا » بالموحدة والنون ، أى لا تظهره ، وهما بمعنى ، الا أن النث بالنون فى الشر خاصة ، « ولا تنقث ميرتنا تنقيثا » بتشديد القاف بعدها مهملة ، أى لا تسرع فى الطعام بالخيانة ولا تذهبه بالسرقة ، وضبطه عياض بسكون النون وبضم القاف ، وضبطه الزمخشرى بالفاء المشددة ، وللزبير بدله : « ولا تفسد » ، وله أيضا : « ولا تنقل » ، ولابن الأنبارى : « ولا تغث » بمعجمة ومثلثة ، أى لا تفسد ، من (الغثة) بالضم وهى السوسة (16) ، وللنسفى :

---

(15) « جائلة » : هكذا فى شرحى ابن حجر والقسطلانى ، وهو الصواب ، وفى الاصل : « حائلة » ، وهو تصحيف .

(16) « الغثة » : الشىء اليسير من المرعى ، وقيل : هى البلغة من العيش ، وقد اخطأ السيوطى فى تفسيرها حيث فسرها بالسوسة . اما السوسة فهى « العثة » بالعين المهملة .

« ولا تقش » من (الاقشاش) ، وهو طلب الاكل من ها هنـا وها هنا ، وكلها راجعة الى معنى الافساد .

« ولا تملأ بيـتنا تعشيشا » بمهملة أى انها مصلحة البيت مهـتمـة بتنظيفـه ، وبمعجـمـة مـن (الـغـش) ، أى لا تملؤه بالخيانة بل هى ملازمة للنصيحة فيما هى فيه ، وقيل هو كناية عن عفة فرجها ، أى انها لا تملأ البيت وسخـا بأطفالهـا من الزنا ، وقيل : عن وصفها بأنها لا تأتيهم بشـر ولا نميمة ، وللهيثم : « ولا تنجث أخبارنا تنجيثا » بنون وجيـم ومثلثة ، أى لا تستخرجها .

زاد الحارث ابن أبى أسامة والاسماعيلى : « قالت عائشة حتى ذكرت كلب أبى زرع » .

زاد الهيثم بن عدى فى روايته : « ضيف أبى زرع ، فمـا ضيف أبى زرع ؟ فى شبع ورى ورتع ، طهـاة أبى زرع ، فمـا طهاة أبى زرع ؟ لا تفتر ولا تعدى ، تقدح قدرا وتنصب أخرى ، فتلحق الآخرة بالاولى ، مال أبى زرع ، فما مال أبى زرع ؟ على الجمم معكوس ، وعلى العفاة محبوس » . قوله « طهاة » بضم المهملة ، هم الطباخون ، « ولا تعدى » : لا تصرف ، « تقدح » أى تغرف ، و « تنصب » : ترفع على النار ، و « الجمـم » : جمع جمة : القوم يسألون فى الدية ، و « معكوس » : مـردود و « العفاة » : السائلون ، و « محبوس » : موقوف .

قالت : « خـرج أبـو زرع » زاد النسـائى من عنـدى

« والاوطاب تمخض » جمع وطب بالفتح وسكون المهملة : وعاء اللبن « فلقى امرأة معها ولدان لها كالفهدين » ، لابن الانبارى : « كالصقرين » ولغيره : « كالشبلين » اشارة الى صغر سنهما ، وشدة خلقهما « يلعبان من تحت خصرها برمانتين » قال أبو عبيد : تريد أنها ذات كفل عظيم فاذا استلقت ارتفع كفلها بها من الارض حتى تصير تحتها فجوة تجرى فيها الرمانة « فطلقنى ونكحها » زاد الحارث : « فأعجبته » وفى بعض طرقه أنه نكحها فلم تزل به حتى طلق أم زرع . « فنكحت بعده رجلا » للنسائى : « فاستبدلت وكل بدل أعور » ، وهو مثل معناه أن البدل من الشىء غالبا لا يقوم مقام المبدل منه ، بل هو دونه ، والاعور : المعيب والردىء . « سريا » من سراة الناس أى شرفائهم « ركب شريا » بمعجمة بوزن ما قبله : أى فرسا خيارا فائقا . وللحارث : « ركب فرسا عربيا » ، « وأخذ خطيا » بفتح المعجمة وكسر المهملة المشددة : هو الرمح ، ينسب الى الخط ، موضع بنواحى البحرين تجلب منه الرماح ، « وأراح » أفعل من الرواح ، وهو مجىء الابل آخر النهار « على نعما ثريا » بمثلثة : أى كثيرة « وأعطانى من كل رائحة » براء وتحتية ومهملة : أى نعم آتية وقت الرواح ، ولمسلم « ذابحة » أى من كل شىء يذبح « زوجا » أى اثنين .

« كنت لك كأبى زرع لأم زرع » زاد الهيثم : « فى الالفة والرفاء ، لا فى الفرقة والخلاء » زاد الزبير :

« الا أنه طلقها وانى (17) لا أطلقك » فقالت عائشة : بأبى أنت وأمى ، لأنت خير لى من أبى زرع لام زرع .

فائدة : فى رواية أبى يعلى فى هذا الحديث : وذكر شعر أبى زرع فى أم زرع ولم يسقه · قال ابن حجر : (ولم أقف فى شىء من طرقه عليه) (18) .

قال العلماء : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث ولم ينكره مع ما فيه من غيبة الأزواج لانهم مجهولون ، ولا حرج فى سماع الكلام فى مجهول لأنه لا يتأذى الا اذا عرف أن (19) من ذكر عنده يعرفه .

---

(17) وانـي : ت ، وانـا : ع .

(18) فتح البارى (11 : 185) .

(19) كلمة « ان » غير موجودة بالاصلين ، ولا يتم الكلام بدونها ، والتصحيح من فتح البارى (11 : 186) .

محتوى « بغية الرائد »

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

(وهو شرح مختصر لطيف لحديث ام زرع ، ارتات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ان تجعله فى ختام شرح القاضـي عيـاض رحمهما الله ليعم بهما النفع وتتم الفائدة) .